

قرجيل الانيسادة

ترجمة: كنبرة سلام الخالدي



دار العلم للملايين - بيروت

www.alkottob.com

فرجيل

النيابة

نقلتها الى العربية
عنبرة سلام الخالدي

دار العلم للملايين
بيروت

مقدمة

إن الإنياذة التي نقدمها بحلتها العربية اليوم منقولة عن الانكليزية هي في الأصل ملحمة شعرية لاتينية، وهي تدوين لأحداث أت تنمة لاحداث الإنياذة مثل الأوذيسة . ومع أن مؤلف الملحمتين السابقتين هو هوميروس اليوناني ومؤلف هذه هو فرجيل الروماني فإنها تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً إذ أنها تتيح لنا ان نتابع ما وقع للامير الطروادي انياس الذي نجى بعد سقوط مدينته طروادة والبحر مع رفاق طرواديين آخرين، وبعد معاناة دامت سنين طويلة استقروا في غربي ايطاليا حيث أسست سلالاتهم من بعدهم أو ساعدت في تأسيس روما . وقد اتقن فرجيل كتابة اسطورته اتقاناً عظيماً فجاءت رائعة محققة لما تخيله من تصورات .

وتعتبر الإنياذة ، من جهة اخرى ، المدخل والمر بين عصور الوثنية والعصور المسيحية، فقد ولد فرجيل في سنة

جميع الحقوق محفوظة

لدار العلم للملايين

ص . ب : ١٠٨٥

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

بيروت ، كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥

الطبعة الثانية

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨

٧٠ قبل الميلاد وتوفي سنة ١٩ وكان ذلك بعد ثماني سنوات من انتقال الحكم الجمهوري في روما القديمة إلى الحكم الامبراطوري وقبل بضع سنوات من ظهور المسيحية . ومع أننا لا نعرف عن حياته إلا النذر اليسير فلا بأس من ايراده هنا ؛ ومن ذلك ان اسمه الأصلي هو بيليوس فرجيليوس مارو وانه وُلِدَ في مانتوا بشمال ايطاليا حيث كانت هناك مزرعة لوالديه ، وقد اعطيت له ظروف تربوية ممتازة بالنسبة إلى أبناء زمانه ثم أُرسل إلى روما لاكمال دروسه . ويظهر انه كان يُقبل اقبالا عظيماً على جميع مواضيع الدراسة حتى العلمية منها . وقد فتحت له ثقافته العالية أبواب المجتمع الراقي حتى توطدت له صداقات وثيقة مع رجال رومانين متميزين مثل اوكتافيوس الشاب الذي أصبح فيما بعد الامبراطور الأول اوغستوس . ومع ذلك فإنه كان دائماً يفضل الحياة الهادئة خارج روما . وكان شديد الحياء عليل الصحة ، ولعل ذلك يفسر لنا سبب اثاره للعيش بعيداً وفي نابولي بالذات حيث كان يقضي معظم اوقاته في القراءة والكتابة . وفي سنة ١٩ طلب اليه اوغستوس أن يرافقه في رحلة إلى بلاد اليونان فلبى طلبه ، ولكن صحته ساءت كثيراً ولم تسعفه على تحمل مشاق السفر فقرر العودة إلى وطنه وتوفي في برنندزي في طريق العودة ؛ وقد طلب إلى

أصدقائه قبل وفاته أن يحرقوا الإنيادة ولكنهم أقنعوه بتغيير رأيه وحولوه عن قراره فوافق ان يعهد إلى اثنين منهم وهما فاريوس وتوكا أمر تقديمها ونشرها .

اما الإنيادة هذه فإنها ثالث أشعاره كما أنها أطولها وآخرها . وهي تروي قصصاً اسطورية تصور أصل الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمان طويل ، وقد نظمت بطريقة الشعر البطولي الذي عرف في القرون القديمة . هذا الشعر الذي تبدأ معرفة العالم به منذ الأشعار البابلية التي رويت عن غليغامش قبل أربعة آلاف سنة ثم جاءت أشعار هوميروس بالإلياذة والأوديسة بعد ذلك بأكثر من ألف عام . وكانت تظهر أحياناً أشعار مماثلة في أماكن وأوقات مختلفة من آسيا ومن أوروبا على الأخص .

وإذا كان من الصعب تحديد معنى الملاحم البطولية فإنه يمكننا القول ، على الأقل ، بأنها أشعار قصصية مليئة بأفعال تروي عن أبطال نتخيلهم يتحلون بقوى خارقة تضعهم بمنزلة فوق مستوى الانسان العادي ولكنها دون مستوى الآلهة . وقد نجد في الشعر العربي وفي الأشعار المنسوبة إلى عنرة على الأخص وفي فخرياته ما يقرب من ذلك .

وشعراء الملاحم أو الأشعار البطولية مثل هوميروس وفرجيل وسواهما من أعظم الشعراء في العالم قدّموا لنا عبر

عصور مضت نظريات وصوراً لا تنحصر بكائن واحد أو بعصر واحد بل تشمل الكائنات جميعاً بعصور متتالية بل قد تعني حضارات بكاملها . وربما كان بعض ما قدموه عبارة عن خلاصة لدراسة طويلة وخبرة دقيقة لأحوال تلك العصور ولكنها تنطبق على عصور شتى . وهكذا أعطانا فرجيل بكتابات وأشعاره لوحات رائعة لما يريد سرده فجاءت ناطقة متكاملة كأنها بريشة رسام بارع . وكان يجمع أجزاء ما يريد عرضه ثم يقدمها بلوحة نقية صافية . ولم يكن يقتفي أثر من سبقوه ولكنه قد يتخذ من هوميروس دليلاً في بعض الأحيان فنرى صورة بطله أنياس وهو يلعب دوراً يشبه أحياناً أدوار أبطال هوميروس مثل أخيل أو أوديس أو هكتور ، بل قد يشبه دور البطل هرقل مع أن أنياس هذا لم يكن ذا شأن يذكر في الإلياذة .

وقد جاءت الإلياذة بملحمتها البطولية تحمل في طياتها قصة مثيرة جميلة التنسيق مفعمة بالأحداث الممتعة ولذلك يمكننا أن نعتبرها قصة للقراءة تحمل رموزاً ترمي إلى معاني شتى . وقد أرادها فرجيل أن تكون صورة شعرية حقيقية تظهر للعالم كيف أن أعمال الناس تسيطر عليها ضوابط من مزايا وأفعال لقوى بشرية وقوى خفية فوق قوى البشر ،

كما أراد بالوقت ذاته أن يصف كيف نمت روما بفعل تغلب الإرادة القادرة حتى بلغت مستوى عظمتها بعد أن بدأت بداية ضعيفة يائسة . ويصف لنا أنياس بطل قصته وكيف كان ينجح إلى اليأس والقنوط أحياناً ويكاد يتخلى عن متابعة آماله ثم تعود الإرادة القادرة ذاتها فتدفعه في طريق بلوغ مراميه ويرينا إياه وهو لم يتوان مرة عن الخضوع إلى دعوة صوت الأرباب .

والمعروف أن إنيادة فرجيل كانت ، لسنين طويلة ، الكتاب الزمني الرئيسي لعالم الغرب . وبعد اختراع الطباعة بخمسمائة عام بقي طبعها يعاد مرة كل عام على الأقل . وقد لا نبالغ إذا قلنا أنها كانت أكثر الكتب الزمنية تداولاً في أوروبا قبل ذلك حتى لم تبلغ شهرة كتاب منذ أيام الرومان ما بلغته شهرة الإنيادة . فقد اعتبرت كأفضل كتاب وتنوقش كثيراً حول اعتبارها أفضل الأشعار ولهذا نرى ذكر فرجيل يقدس بعد وفاته كما تقدس الأرباب . ومع أنه عاش قبل المسيحية فقد احتل مكانة رفيعة بين دعاة كما احتل مكانة عالية في الفن المسيحي ودعي « نبي الوثنيين » . ولا بد لنا من أن نذكر أنه بلغ درجة من الابداع أنهم معها يكونه ساحراً حتى أن أحد الكتب التي تبحث في معجزاته ترجم إلى عدة لغات في القرون الوسطى .

ويجدر بي أن أذكر هنا ان الكلمات الشعرية الموزونة قد تفقد شيئاً من سحرها حينما تترجم إلى النثر . ولكننا نقدر ان نقول ، استناداً إلى رواية من عاجلوا الموضوع من كبار العلماء الغربيين ، ان هذه القصة المروية الآن نثراً عن أصلها الشعري ، وان فقدت رنينها الموسيقي ، إلا أنها لم تفقد شيئاً من معانيها الأصلية أو رموزها البعيدة المرامي . وكما حاول الذين نقلوها من اللاتينية إلى الانكليزية التزام الأمانة في اداء ما التزموا به ، فإننا نؤكد للقارئ العربي الذي نقدم له هذا الأثر العالمي الآن بأننا بذلنا الجهد لكي تأتي محاولتنا هذه بصورة عربية خالصة وعرض سليم أمين دون زيادة أو نقصان لكل ما حملته القصة من أحداث وصور ورموز ودروس للمجتمع الانساني في سلمه وحربه وللنفس البشرية في آلامها وأفراحها وفي يأسها وطموحها وفي خيرها وشرها .

عنبرة سلام الخالدي

الحصان الخشبي

حاصر الملك أغاممنون ورجال الإغريق مدينة طروادة عشر سنوات ، ومع ان القضاء سبق في الحكم عليها ، فقد تأخر يوم سقوطها ، إذ أولاها بعض الأرباب حباً عظيماً ودافعوا عنها دفاعاً صادقاً مثل أفلون ومارس إلته الحرب بل جوبيتر أبني الخلق ذاته . ولذا ألقت مينرفا في روع افيوس سيد الجزر أن يقوم بصنع مكيدة ماهرة يستولي بها على المدينة . وكانت المكيدة كما يلي : لقد صنع حصاناً عظيماً من الخشب زاعماً انه مقدمة سلام إلى مينرفا لكي تمنح الإغريق عوداً حميداً إلى بلادهم . وهناك في بطن الحصان اختبأت نخبة من أبسل زعمائهم مثل مانيلا واوديس وثواس الاتولي . وماخوون ، الطبيب العظيم ،

وفيروس بن أخيل (أما أخيل نفسه ، فكان قد قتل بيد
فارس بمعونة أفلون وهو على وشك الاستيلاء على المدينة)
وغيرهم ، واختبأ معهم افوس ذاته ، وتظاهر الباقون
بالأبحار إلى بلادهم ، ولكنهم لم يتخطوا تندوس ، تلك
الجزيرة القريبة من الشاطئ .

وعمّ طروادة الفرع العظيم حينما لغط القوم فيها بنجر
إبحار الإغريق . ففتحت الأبواب ، وخرج منها الناس
لرؤية الميدان ، والعسكر يقول أحدهم للآخر : « هنا
احتدمت المعركة ، وهناك كانت خيم أخيل الشرس ،
وهناك كانت ترسو السفن » . ووقف البعض مشدوهاً
برؤية الحصان الخشبي الذي جعل لميرفا مقدمة عظيمة من
أجل السلم . وكان تيموتيس ، وهو من أكبر رجال المدينة
سناً أولاً من أشار بإدخال الحصان داخل الأسوار ووضع
في القلعة . ولكن هل قام بهذه النصيحة وهو يضمّر السوء
في قلبه ، أم أرادته عليها الأرباب ؟ هذا ما لا يعلمه
بشر . ولكن كافيس وسواه أجمعوا على وجوب اغراق
الحصان في الماء ، أو احراقه بالنار أو أن يقوم الرجال
بثقبه ، ورؤية ما قد يكون في جوفه . وانقسم القوم بجهر
أحدهم برأي يأخذ الآخر بسواه .

عندها تقدم الكاهن لاخاوون يصحبه جمع كبير وصرخ

قائلاً : « أي حق هذا الذي فيه تختصمون ؟ أتظنون أن
رجال الإغريق قد أبحروا حقاً ، أم تظنون أن هنالك أي
نفع من عطاياهم ؟ لا ريب في أن هذا الحصان الجبار
يحمل الرجال المسلحين في أحشائه . بل لعلهم صنعوه لكي
ينظروا منه إلى أسوارنا من عل . فلا تمسّوه لأنني أخشى
هؤلاء الإغريق ، ولو حملوا إلينا العطاء بأيديهم » .

قال هذا ، ورمى الحصان برمح العظيم فرنّ رجع
الصوت ، ولكن مشيئة الأرباب لم تقض بنجاة طروادة .

وقدم في هذا الحين بعض الرعاة يجرون معهم رجلاً
أوثقت يده خلف ظهره . وقالوا أنه أتى إليهم في الحقل
من تلقاء نفسه ، وقد تجمع الفتيان من حوله بهزأون منه ،
ولكنه صرخ بصوت عال ، يقول : « أي مكان بقي لي ،
فقد حرّم عليّ الإغريق الحياة وها رجال طروادة يطلبون
الانتقام مني » . فرفقوا به وطلبوا إليه الإفضاء بما عنده ،
وباسم المكان الذي جاء منه .

فالتفت الرجل إلى الملك فريام ، وقال : « سأقول
الصدق مهما نالني من جرّائه . إن اسمي سينون ، ولا أنكر
أنني أخذ الإغريق . ولعلّه بلغكم خبر فلاميد الذي فتك
به الإغريق ، ولكنهم سيكونه الآن بعد أن قضى نحبه .

وكان نصحه لهم بالسلم سبب هلاكه ، فقد اتهموه بالخيانة باطلاً .

وأنا أحد أنسباء فلاميد هذا ، وقد صحبتته إلى طروادة .
ولما مات بعد أن قضت عليه شهادة أوديس الكاذبة ، نالني من ذلك أسى وغم عظيم ، ولم أتمكن من حفظ هدوئي ، بل أقسمت لئن رجعت إلى أرغوس لأنتقم من ذاك الذي كان سبب هلاكه . وتحيّن أوديس الفرص لإيذائي ، فصار يهمس بأقوال السوء عني ، لا تأخذه في ذلك هواة ، حتى أتى كلخاس العراف لمعونته . ولكن ماذا تنفعني هذه الأقوال التي أدلي بها إليكم ؟ إذ لا شك في انكم تنظرون إلى كل إغريقي نظرتكم إلى أيّ سواه . فاقتلوني اذن ، ولا ريب في أنكم بعملكم هذا ستسدون لأوديس وابني اتريد منة وفضلاً ... »

فطلبوا إليه أن يتابع قصته فقال : « لطالما ودّ الإغريق الحرب إلى أوطانهم بعد أن أنهكتهم الحرب ، ولكن البحر الصاخب كان لا يفتأ يعيقهم . ولما تم صنع هذا الحصان الذي ترون أمامكم ، ثارت العاصفة المريعة تقلبُه من أقصى الأرض إلى أقصاها ، فأرسل الإغريق من يستوضح أفلون الأمر فأجابهم بما يلي : « يا رجال الإغريق . لقد هدأتم

ثورة الرياح بالدماء حين قدومكم إلى طروادة ، فعليكم أن تسكنوها الآن بالدماء وأنتم تبغون الرحيل عنها . » فارتجف الرجال رعباً ، وهم يفكرون بمن سيحقّ عليه الهلاك . فأثار أوديس صخباً عظيماً وهو يحضر كلخاس العراف إلى وسطهم ، ويطلب إليه أن يخبرهم باسم ذاك الذي ترضاه الأرباب للتضحية .

وقد حرّم الكثيرون إيذائي . أما العراف فلزم الصمت عشرة أيام قائلاً إنه لن يقدم أي رجل للتضحية . ثم تكلم مشيراً إليّ بحكم الموت بعد ان اتفق الاثنان ، ووافق الجميع على ذلك ، وكلهم مغتبط بأن الأمر الذي كان يخشاه قد تحولّ عنه إلى سواه . ولما حان اليوم ، وتم إعداد الأمور من طعام مملّح للتضحية ، وأكاليل معقودة ، عندها قطعت وثاقي وأركنت إلى القرار ، واختبأت في حلفاء إحدى البحيرات أنتظر إبحارهم ، إذا كانوا حقاً فاعلين . ولكنني لن أرى الوطن والأب والأولاد من بعد . إذ لا شك في أنهم سينتقمون منهم لهربي . فأشفق عليّ أيها الملك لكثرة ما عانيت من الآلام دون أن أؤدي أحداً .

فأخذت الملك فريام الشفقة عليه ، وطلب إلى الرجال حلّ وثاقه قائلاً : « انس الآن بلدك أياً كنت ، فانت

هنا واحد منا ، ولكن أصدقني القول : لم صنعوا هذا الحصان الضخم ؟ ومن ابتدعه وماذا ييغون منه ؟ هل يسعون الى مرضاة الأرباب أم إلى إطالة مدة الحصار ؟ »

فقال سينون باسطاً يديه نحو السماء : « أيتها النيران الدائمة في العلى ! إنني أناديك لتشهدني بأنني أحث الآن في قسم الولاء ، وأكشف عن أسرار قومي وأنا على حق فيما أفعل . فأصنع اذن أيها الملك . إن آمالنا كانت معلقة على عون مينرفا ولكنها أشاحت بوجهها عنا منذ اليوم الذي جرؤ فيه ذيوميد وأوذيس على نزع تماثلها من مكانه المقدس في طروادة ، وأيديهما ملوثة بالدماء . وإنني لأذكر جيداً كيف التمعت عينا التمثال بالغضب قبيل وضعه في المعسكر ، وكيف تجمد العرق المالح على أطرافه ، أجل ، بل إنني لأذكر كيف وثب التمثال عن الأرض ثلاثاً ، فهز الدروع والرماح . وانبأنا كلخاس عند ذاك بأننا يجب ان نرجع إلى اجتياز البحار لكي نعود من بلادنا برموز يمن جديدة لحربنا . وهذا ما يفعلونه الآن حقاً وهم بعد قليل عائدون . وقال العراف أيضاً . ويجب في أثناء ذلك ان تصنعوا شبه حصان تجعلون منه مقدمة سلام إلى مينرفا ، وعليكم ان تراعوا في صنعه ضخامة الحجم لكي لا يقدر رجال طروادة

على أخذه داخل أبوابهم ، أو إدخاله ضمن أسوارهم فيكون لهم حامياً ونجياً . وأردف قائلاً : وان الهلاك المحقق سينزل برجال طروادة إذا ما مُسَّ منهم بأذى . اما إذا ما اخذوه داخل مدينتهم فإن اسيا ستطوق مدينة فيلوبس بعد ذلك بالحصار ، وسيلقى أبناؤنا الهلاك الذي املناه لطرودة » .

وعملت هذه الكلمات عملها في رجال طروادة ، وبينما كانوا يتدبرون أمرها ، أرسلت اليهم الأرباب معجزة ثانية لخداعهم . إذ بينما كان لاقاوون كساهن نبتون يذبح ثوراً عند هيكل إلهة ، قدم ثعبانان بجوزان البحر من تندوس ، وقد غطت رأسيهما وعنقيهما لبدات كثيفة من الشعر ، وهما يعلوان الأمواج ، ويسحبان وراءهما حلقات متعاقدة عديدة من المياه . ولما بلغا اليابسة أسرعاً قدماً . وكانت عيونهما حمراء كالدم ترسل شرراً كالنيران . كما أرسل لساناهما المتشعبان فحيحاً عالياً هياجاً منهما واحتداماً . فعلت الصفرة وجوه الطرواديين رعباً ، وفروا من أمامهما هاربين ، ولكن الثعبانين لم يتجها بمنة ولا يسرة ، بل قصدا لاقاوون حيث أقام . والتف كل منهما حول أحد ولديه الصغيرين وأخذا يلتهمانهما . ولما كان الأب يحاول معونة ولديه ، مشرعاً سيفه ، كانا يقبضان عليه ويوثقانه إيثاقاً محكماً بالتفافهما

حوله . وقد طوقا جسده مرتين ، كما طوقا عنقه وهما
يرفعان رأسيهما عالياً من فوقه . ولكنه كان يجهد كل هذه
الأثناء ، محاولاً تمزيقها بيديه ، وقد قطرت الدماء من
أكاليله الكهنوتية ، ولم ينفك عن الصراخ بصوت عال
مروّع كأنه جؤار ثور هرب من المذبح بعد أن أصيب
بضربة فأس خاطئة .

أما الشعبان فقد انسلا بعد أن أتما عملهما إلى قلعة مينرفا
واختبأ تحت رجلي الإلهة ودرعها . فقال الرجال أحدهم
للآخر : « هاكم الكاهن لاقاوون ! حكم عليه بأعماله ،
فقد رمى هذا الشيء المقدس برمحه ، فعاقبته الأرباب على
ذلك بالهلاك » . عندها صاحوا جميعاً بوجوب جر الحصان
الحشي إلى القلعة . ففتحوا باب اسكية ، وهدموا الجدار
القائم هناك ، ووضعوا تحت قوائم الحصان عجلات ربطوها
بجبال . واحتفلوا بإدخاله المدينة فرحين مرحين ، يرافقه
الفتيان والفتيات بأهازيجهم ، تأخذهم نشوة من السرور
وهم يضعون أيديهم على الجبال . ومع ذلك فلن نذر
الشر وعلامات السوء لازمت عملهم ، فقد توقف عند
عتبة الباب أربع مرات ، وكان بمقدور الرجال أن يسمعوا
صليل السلاح في داخله . وفتحت كساندرا فيها تنذرهم
بالشر : ولكن لم يصغ إليها منهم رجل . وقد قدّر لها

منذ الأزل بأن تكون قسمتها أن لا يؤمن بكلامها إذا
نطقت صدقاً . وهكذا جر رجال طروادة الحصان إلى
المدينة . وأقاموا تلك الليلة احتفالاً للأرباب جميعاً ،
يحدوهم ابتهاج عظيم ومسرة بالغة ، غير عالمين بأن آخر
أيام المدينة العظيمة قد حان .

نهب طروادة

بعد أن أرخى الليل سدوله ، واستسلم الطرواديون إلى النوم ، سطعت من سفينة الملك أغاممنون شعلة كانت فيها للاغريق إشارة . فجهّز هؤلاء سفنهم فوراً ، وقطعوا البحر من تندوس ، بحفّهم منه هدوء شامل ، كما أرسل عليهم القمر نوراً . أما سينون فقد فتح من الحصان العظيم باباً سرياً ، خرج منه الزعماء وفتحوا أبواب المدينة ، وفتكوا بأولئك القائمين على الحراسة .

ورأى انياس في هذه الاثناء رؤيا . وكان انياس هذا معقد أمل الطرواديين - بعد موت هكتور - وسندهم المكين . فقد خيّل اليه أنه يرى هكتور بالذات . ولكنه لم يكن هكتور الراجع من المعركة بأسلحة أخيل يحدوه الفرع ،

ولا ذاك المشعل النيران بالسفن . ولكنه كان كما جعله أخيل مربوطاً إلى عجلات مركبة تجرّجره وراءها وقد لفع بالغبار والدماء . وتورّمت رجلاه اللتان اخترقتها السيور . فقال له انياس وهو لا يعلم ما يقول : « لم تأخرت طويلاً وقد مضى الألم ونحن بانتظارك ! وأي عناء هذا الذي ترك آثاره على وجهك ؟ وأنّى لك هذه الجروح ؟ » ولم تجب الروح على شيء من هذا ، بل قالت وهي تشن : « اهرب يا ابن فينوس اهرب ، وق نفسك هذه النيران الملتهبة . فإن العدو على الأسوار ، وقد بادت طروادة عن آخرها ، ولو كان بمقدور يد ان تُمدّ إلى إنقاذ مدينتنا ، لقامت هذه اليد بذلك ، وأنت الآن أمل طروادة ، فخذ أربابها واهرب بهم يرافقونك . واقصد المدينة التي ستبنيها يوماً عبر البحر » .

واقرب نذير المعركة الآن ، ثم اقرب ، حتى استيقظ انياس من نومه ، فتسلق سطح المنزل مشرفاً على المدينة .

وكما يقف الراعي مشدوهاً أمام منظر اللهب الملتهم يحتاج حقول الحنطة ، وتدفعه ريح الجنوب ، أو أمام منظر السيل المنهمر من أعالي الجبال ، هكذا وقف انياس لا يريم . ورأى فيما رأى قصر ذي فوب العظيم تبتلعه النيران ، ومنزل او كالجون الذي يحاذيه يشتعل حتى ليكشف ضياؤه عن البحر

قرب سيجوم ، فتقلد سلاحه ، وهو يكاد لا يعلم بغيته من ذلك ، حاسباً أنه قد يربح مع ذلك مكاناً ذا ميزة ، أو قد ينتقم لنفسه من العدو على الأقل ، أو قد ينال في موته شرفاً . ولكنه لم يكد يخرج من منزله حتى لاقاه فنشوس كاهن افلون الذي كان في القلعة ، فناداه قائلاً : « لقد بارح المجد طروادة يا انياس ، وتسلط الإغريق على المدينة ، وخرج من الحصان الحشبي العظيم رجال مسلحون ، كما تدفق الألوف من الأبواب التي فتحتها سينون خيانة وغدرًا » . وحضر في أثناء كلامه آخرون يهتدون بنور القمر مثل هيفانيس وذيماس والفتي كوروبس ، الذي جاء طروادة منذ زمن قصير يطلب كسندرا زوجة له ، فخاطبه انياس قائلاً : « إذا كنت ترغب أن تتبعني إلى الموت يا أخي فتقدم . وأنت تشاهد مسير الأمور هذه الليلة . فإن الأرباب الذين كانوا حماة المدينة قد بارحوها ، ولم يبق لنا شيء نعتمد عليه في إنقاذنا . ومع ذلك فإن بمقدورنا أن نموت كما يموت الأبطال في المعركة . وما أسعد ذاك الذي يعتقد أن حياته قد قضي عليها ، وهو يتمكن مع ذلك من إنقاذها » .

وراحوا يخترقون المدينة ، ويقومون بأعمال فظيعة شأنهم في ذلك شأن الذئاب المفترسة تسرع في وسط الضباب تطلب

صيداً . وقد هرب أمامهم رجال الإغريق بادية الأمر .

وكان اندروغوس أول من لقيهم يتبعه جمع عظيم من رفاقه . فخاطبهم وهو يظنهم من صحبه قائلاً : « أسرعوا أيها الرفاق وعلام إبطاؤكم ، إننا نسلب مدينة طروادة هذه ، ولم يمض على مجيئكم من السفن إلا زمن يسير » . ولكنه حينما لم يتلق منهم ما كان ينتظره من جواب ، أدرك فوراً أنه واقع بين أعداء . عمد إلى الهرب كما يعتمد رجل وطبيء بين الأشواك حية على حين غرة ، فثار ثائرها واندفعت نحوه بعنق ممدود . ولكن رجال طروادة هاجموهم ، وبما أنهم كانوا على علم تام بكل مكان ، وبما أن رجال الإغريق نالهم جزع عظيم ، فقد فتكوا منهم بالكثيرين ، فقال كوروبس : « إن الحظ السعيد يحالفنا في هذا الأمر أيها الرفاق ، فتعالوا الآن نبدل تروسنا ، ونرتدي أسلحة هؤلاء الإغريق ، ومن ذا الذي سيناقشنا الحساب إذا سلطنا مع أعدائنا سبيل المكر أو سبيل القوة ؟ » ثم أخذ لنفسه خوذة اندروغوس ، وارتدى سيفه ، وهكذا فعل الباقون ، وذهبوا بين الإغريق متنكرين ، وفتكوا بالكثيرين منهم ، حتى هرب بعضهم إلى السفن ، واكتفى البعض الآخر بتسلق الحصان الحشبي . ولكن ويا للهول ! ها إن رجالاً يفدون من هيكل مينرفا وهم

يجرّون العذراء كسندرا من شعرها . ولما أبصرها كوروبس وهي ترفع عينيها نحو السماء (لأن يديها كانتا مغلولتين بالحديد) ، لم يطق على هذا المشهد صبراً ، فرمى بنفسه على هؤلاء الذين يجرّونها وتبعه الباكون . ولحقهم من ذلك ضرّ جسيم لأن رجال طروادة الواقفين على سطح الهيكل شاهدوهم فحسبوهم من الأعداء ، فأطبقوا عليهم بنبالهم . كما غاظ الإغريق أخذ العذراء من أيديهم ، فقاتلوا بقوة ، ورجع لقتالهم الكثيرون ممن الذين اضطروا إلى اللجوء للمدينة . فتمكنوا من غلبتهم حقاً ، لأنهم كثرة أمام قليلة . وكان كوروبس أول من صرع بيد فنلوس البيوتيقي ؛ ثم صرع ريفوس أبرّ أبناء طروادة ، ولكن الأرباب لم تجزه حسب عمله . وفتك بهيفائيس وذيماس ، أما فنوس فنجا ، ولم يكن ذلك لأنه كان يخشى الأرباب أكثر من سواه ، أو لأنه كان كاهن أفلون .

وهكذا فصل انياس عن رفاقه ، ولم يبق معه منهم إلا اثنان هما افيتوس وفيلياس ، وكان الأول شيخاً هرمّاً . أما الثاني فجرحه أوديس جرحاً بليغاً ، وقد هرع هذان إلى قصر الملك فريام لسماعها صراخاً عظيماً يصدر عنه ، وقد احتدمت فيه معركة حامية فاقت كل مكان سواه . فقد كان هناك بعض الإغريق يعمدون إلى تسلق الجدران ،

وقد ألقوا عليها المراقبي يقفون عليها ، ويحملون أمامهم التروس في أيديهم اليسرى ، ويتشبثون بالسقوف في أيديهم اليمنى .

وكان رجال طروادة من جهة ثانية يقفون في أقصى المكان يدكون الشرفات والدعائم المموهة بالذهب ، التي قام بتزيينها رجال الأيام السالفة . وكان انياس يعرف باباً سرياً كانت تستعمله اندروماخ التيسة ، عندما كانت تأخذ ولدها ايتيناس إلى جده في ما مضى من الأيام ، فنفذ منه صاعداً إلى السطح ، منضماً إلى المقاتلين هناك . وكان فوق السطح برج تُرى منه طروادة جميعها ، كما يُرى معسكر الإغريق والسفن فعمد إليه الطرواديون يقتلعون أسسه بقضبان حديدية ويقذفون بها ، فتقع على الأعداء ، ويُقضى على الكثيرين منهم . هذا كله لم يمنع هؤلاء من التقدم ، وهم يرشقون بالنبال وبالحجارة وبكل ما وصلت إليه أيديهم .

وكان بعضهم يسعى في هذه الأثناء إلى دك الأبواب ، يتقدم الجميع فيروس بن أخيل لابساً لأمة وضاعة من البرونز ، وهو في ذلك يشبه الأفعى التي تنام شتاء، ولكنها إذا ما أتى الربيع خرجت إلى الضياء ، وقد نالت قسطها من الغذاء بالحشائش الضاربة . وخلعت عنها جلدها وتجدد

شبابها فرفعت رأسها إلى نور الشمس وفحت بلسانها المشقوق .

وصحب فيروس فريغاس الفارح القدة ، واطميدون حامل أسلحة أبيه أخيل ، يتبعهم فتيان سيروس مملكة جده ليقوميد . فاخترق الأبواب ببلمة كبيرة محطاً أعمدة الباب المصفحة بالبرونز ، محدثاً فيها ثغرات واسعة تمكن الرائي من رؤية داخل القصر وهو الملك فريام والملوك الذين حكموا طروادة قبله . ولما أبصر أولئك الذين كانوا داخلاً ما حدث في الخارج ، ارتفع صياح النساء يندبن ويتعلقن بالأبواب يقبلنها . ولكن فيروس بقي على اندفاعه شرساً قوياً كما كان أبوه أخيل من قبله . ولم تقف في سبيله الأبواب ولا الحراس القائمون عليها . وكما يفيض النهر فيقتحم ماؤه ضفتيه ويطفو على السهول ، هكذا تدفق الإغريق يهاجمون القصر .

ولما رأى الملك الشيخ فريام أن الأعداء أصبحوا في أمهاته ، ارتدى أسلحته التي كان قد وضعها جانباً لكبر سنه ، وحمل رمحاً بيده ، وتوجه لملاقاة عدوه . ولكن الملكة ايقاب نادته من حيث اقامت . فقد لجأت مع بناتها إلى هيكل الأرباب في القصر ، وتجمعن من حوله كسرب من الحمام تطارده العاصفة . وكان الهيكل قائماً في فناء

مكشوف يتوسط القصر ، وقد ظللته شجرة كبيرة من الغار . فلما رأت فريام يرتدي سلاحه كأنه شاب يافع ، نادته قائلة : « ماذا دهاك حتى قمت تحمل نفسك هذه الأسلحة ؟ إن نجاتنا ليست بالسيف ، ولن ينفعنا حتى ولدي هكطور نفسه لو بُعث اليوم حياً . ولكن الأرباب وهياكلهم هي ملاذنا ، فتعال إلينا تجد النجاة عندها ، وإذا مت فستموت معنا على الأقل » .

وهكذا جعلت الشيخ يجلس في وسطهن ، ولكن يا للفظاعة ! هاك فوليت ولده يهرع اليهم مخترقاً القصر ، ويأتيهم مشخناً بجراح مميتة ، لحقته من رمح فيروس، الذي ما زال يلاحقه حتى دنا منهم . ولما أصبح على مشهد من أمه وأبيه تهالك على الأرض وقد فارق الحياة . ولما رأى الملك فريام ذلك لم يتمالك نفسه ، فصرخ قائلاً : « فلتعاقبك الأرباب على ما اقترفت يداك إذا كان هنالك أي عدل في السماء . فانك لم تتورع عن قتل ولد أمام عيني أبيه . ان أخيل العظيم ، الذي تدعوه أباك افكاً وبهتاناً ، لم يعامل فريام بهذا وهو له عدو لدود ، بل احترام الحق والصدق وأعطى جثة هكطور للدفن، وأرجعني إلى بلدي » . ورمى الشيخ وهو يتكلم رمحاً . ولكن دون هدف أو قوة . فلم يصب من الترس حتى ولا حدبته . فقال ابن أخيل :

« اذهب وأخبر أبي عن ولده الذي لا يليق به ، وعن هذه الأعمال الشريرة جميعها . ولتمت الآن لكي تجربته بهذا ! » قال هذا وهو يقبض بيده اليسرى على الرجل العجوز من شعره الأبيض ويجره فوق الدماء ، دماء ولده ، نحو الهيكل ، وهناك رفع سيفه عالياً وأغمده في جنب الشيخ حتى غاص فيه إلى مقبضه . وهكذا ذبح في تلك الليلة فريام الملك الذي بسط سلطانه الجبار على العدد العظيم من الشعوب والأوطان من أرض آسيا ، وقد رأى قبل هلاكه طروادة تحترق من حوله ، ورأى قلعته تندك إلى الحضيض . أما رمته فقد طرحت إلى الثرى بلا رأس لها ولا اسمٍ تحمله .

انياس وأنخيس

لقد رأى انياس هذا جميعه ، ولم يستطع أن يمدّ بمعونة يداً ، فهو واحد إزاء كثيرين . ولكنه لما رأى هذا الإثم ، وشاهد الشيخ مطروحاً أرضاً فكّر في أبيه انجيس وزوجه كروسا وولده الصغير اسكانيوس ، وكيف تركهم في منزله لا حامي لهم . ولما عاد يبحث عنهم ، وقد حوّل ظلام الليل بفعل النيران المشتعلة إلى ضياء النهار ، لمح هيلانة تجلس في هيكل فستا تطلب عنده ملاذاً . فقد كانت تخشى رجال طروادة ، بعد أن جلبت لبلدهم الحراب والدمار ، كما تخشى زوجها الذي خدعته وخانته . ولما رآها اشتعل غيظه ، وخاطب نفسه قائلاً : « أترجع هذه المرأة الشريرة إلى إسبارطة آمنة سالمة ؟ أتعود إلى بيتها وأولادها وبصحبتها الطرواديات يقفن منها موقف

الوصيفات ؟ أتحرق طروادة ، ويدبح الملك فريام ولا ينالها
 ضر ولا أذى ؟ حقاً اني لن أصيب بالانتقام منها أي فخر ،
 ولكن نفسي سينالها بعض الرضى إذا ثارت لأهلي وبني
 قومي » . وبينما كان يهجم بهذا في قرارة نفسه ، ظهرت
 له فينس أمه بمظهر لم يرها عليه من قبل . فقد كانت
 بارعة الجمال فارعة القوام كما يراها سكان السماء . فخاطبته
 قائلة : « ما معنى كل هذا الحق يا بني ألا تأبه بي ؟
 هل نسيت أباك أنخيس ؟ ونسيت امرأتك وولدك الصغير ؟
 لا ريب في أن النار والسيوف كانا يلتهمانهم منذ زمن طويل ،
 لو لم أهتم بأمرهم وأنقذ حياتهم ، وليست هيلانة ولا فاريس
 سبب خراب هذه المدينة العظيمة ، بل هو غضب الأرباب .
 وسأزيل الآن الغشاوة التي تظلل عينيك فانظر جلياً . أنظر
 نبتون يدك الأسوار برمح المتشعب ، ويقتلع المدينة من
 أسسها ، وانظر الى جينو تقف برمحها وصحبها على باب
 أسكية ، تدعو من السفن جيوشاً جديدة الى الدخول .
 وانظر إلى فالاس تطل من عل ، وهي محاطة بغيوم العاصفة
 مرتدية درعها الغورغوني . وهذا أبو الأرباب جوبيتر بعينه ،
 يشير العدو ضد طروادة ، فبادر إلى الهرب إذن يا بني ،
 ولن أتركك حتى تبلغ منزل أبيك » . قالت هذا وهي
 تتوارى في الظلام .

ورأى انياس أشباحاً فظيعة وأرباباً كانوا أعداء طروادة.
 ورأى المدينة جميعها تلتهمها النيران أمام عينيه . وكانت
 أشبه بشجرة جبلية من السنديان تعتلي الأكبات ، وقد عدا
 عليها الخطابون يكدحون بفؤوسهم ، فحنت رأسها ،
 واهتزت أغصانها من حولها ، وتوالت عليها الضربات تترى
 حتى خرّت إلى الأرض حطاماً . وهي تجار بدوي عظيم.
 وتابع انياس طريقه تقوده الإلهة ، وتضيء النيران سبيله
 دون أن تمسه النبال بأذى .

ولكنه لما بلغ منزله ، وحدثته نفسه بأن يحمل أباه إلى
 الهضاب أولاً ، أبى أنخيس العيش في بلد غريب بعد
 خراب طروادة . وقال : « بل اهرب أنت يا ولدي ،
 فأنت في عنفوان قوتك وزهرة أيامك . أما أنا فإذا شاءت
 الأرباب أن أعيش ، أنقذت هذا المسكن لأجلي . ويكفيني
 ألماً ، بل هو أكثر من الكفاية ، أن أشاهد سقوط هذه
 المدينة ، وأبقى على قيد الحياة . فودّعني إذن وداع
 الموت . هذا الموت الذي سأعرف كيف أجده لنفسه ،
 وحقاً لقد تريت هنا طويلاً ، وأنا كمية مهمة مكروهة
 من الأرباب ، بعد أن قصفتني جوبيتر بصواعقه الراجعة » .

ولم تكن زحزحة الشيخ عن مقاصده بالإمكان ، وقد
 تضرع إليه ولده وزوج ولده ، حتى الصغير اسكانيوس

وهم يذرفون الدموع ، ويسألونه أن لا يزيد في ثقل المصاب الملقى على عواتقهم . ثم إن انياس أراد الرجوع الى المعركة والموت هناك . إذ لم يبق لهم في الحياة أي أمل ، وقال لأبيه : « هل تظنن يا أبي أنني ناجٍ بنفسى وتاركك ورائي ؟ أي كلمات ضر هذه التي تتساقط من بين شفتيك ؟ وإذا سبقت إرادة الأرباب بأن لا يبقى من طروادة باق ، وكانت بغيتك الهلاك وأهلك مع المدينة ، فليكن ما تريد ، وسبيل ذلك يسير ، فإن فيروس سيكون هنا بعد قليل مخضباً بدماء فريام . أجل فيروس الذي ذبح الولد أمام عيني أبيه ، وذبح الوالد أمام المحراب . لأجل هذا أنقذتني أيتها الأم العطوف ثنيس ، وأحضرتني إلى هنا بين السيف والنار ، لكي أرى العدو في بيتي وأرى أبي وزوجي وولدي الصغير ، وقد نُحروا جميعاً وطرحوا أرضاً ؟ فإلي يا أصحاب وهاتوا سلاحى ، وأعيدوني إلى المعركة ، فسأموت على الأقل وأنا أطلب ثأراً » .

ولكنه بينما كان يرتدي أسلحته ، وهو يوشك أن يبرح البيت ، أمسكت زوجه كروساً بقدميه على عتبة الباب ، ترجوه البقاء ، وقد حملت الصغير اسكانيوس ، وقالت : « إذا كنت ذاهباً الى الموت فخذ معك الزوج والولد ،

أما إذا كان لا أمل لك في السلاح ، فاحمِ منزلك أولاً ، حيث يقيم الأب والزوج والولد » .

ولكن ! بينما كانت تقول هذا ، وقعت معجزة ، كانت إحدى العبر ، فقد رُوي نور يتألق فوق رأس الولد ، أمام وجه أمه وأبيه ، ويتراقص على شعره المتموج موهجاً على صدغيه . ولما جزع والداه لرؤيته ذلك ، وسعيا لإخماد اللهب أو إطفائه بالماء ، رفع الشيخ النخيس عينيه إلى السماء ، وقد طرب طرباً عظيماً ، وصرخ قائلاً : « جوبيتر يا أبا الخلق . إذا كانت تثيرك الدعوات ، فامنحنا العون وحقق هذه البشرى » . ومرّ الرعد عن يساره ، وهو لا يزال يتكلم . كما أن نجماً مرق بين السماوات تاركاً ذيلاً طويلاً من الضياء وراءه . واجتاز أعالي المنزل حتى اختفى في غابات ايذا . فنهض الشيخ ، وأظهر الخضوع للنجم ، وقال : « لن أعيقكم بعد الآن ، بل سأتبعكم الى حيث شئتم . ويا آلهة موطني ! أنقذوا بيتي وحفيدي ، فهذه هي بشراكم . وهيا بنا الآن يا ولدي فإنني لن أرفض الذهاب » .

وكانت النيران تقترب ، والضياء يتضح للعيان ،

والحرارة تشد . فقال انياس : « تسلق كتفي يا أبي ، ولن يؤودني حملك ، وسننجو أو نهلك معاً . وسيرافقني اسكانيوس الصغير ، تتبعنا امرأتي عن كثب . أما أنتم ، يا خدم منزلي ، فأصغوا إلي . تذكرون أن هنالك قبراً وهيكلًا لسيرس ، يقومان في مكان مهجور ، يراهما الخارج من المدينة ، وبقرهما شجرة قديمة من السرو . وهنالك سنلتقي بعد أن نسلك مختلف السبل . وخذ يا أبي التماثيل المقدسة بيدك ؛ لأنني حضرت حديثاً من الميدان ، ولا يمكنني لمسها بيدي ، قبل أن أغتسل بالماء الجاري » .

وألقى على كتفيه معطفاً من جلد أسد ، جلس عليه والده العجوز ، وأمسك اسكانيوس من يده ، تتبعهم كروسا . وهكذا مشى يأخذه الفرع ، ويملاؤه الرعب . فقد كان لا يعبأ برماح الأعداء وسيوفهم ، أما الآن فإنه يخشاها على الذين بصحبته ، ولكنه حينما اقترب من بوابة المدينة ، وكادت الرحلة تقترب من نهايتها ، أصابهم شرٌّ عظيم فقد سُمع صوت كأنه وقع أقدام كثيرة تسير في الظلام . فصاح الشيخ على ولده يقول : « الهرب يا بني الهرب ، فإنهم قادمون ، وإنني لأرى وميض التروس والسيوف » .

ولما جد انياس في سيره ، انفصلت عنه زوجته كروسا ،

فهل ضلّت الطريق أو ان طول المسير قد اتعبها ، فجلست تستريح ، هذا ما لا يعلمه أحد . ولكنه يعلم انه لم يعد يراها . وانه لم يعلم بضياها إلا حينما اجتمع الركب كله عند هيكل سيريس ، وكانت الوحيدة من بينهم ، التي افتقدوها فلم يجدوها . وقد آلمه الأمر فأمضته . ولم يكفّ عن البكاء في حنقه على الأرباب والناس . ثم طلب إلى صاحبه العناية بأمر أبيه وولده وأرباب بيته ، وعاد إلى ارتداء سلاحه ، ودخل المدينة . فقصد الأسوار أولاً ثم الباب الذي خرج منه ، فنزله الذي تركه على امرأته تكون قد عادت إليه . ولكن الإغريق كانوا قد وصلوه ، والتهمته الزيران على قرب منه . وذهب بعد ذلك إلى القلعة ثم إلى قصر الملك فريام . ويا لهول ما رأى ! هنالك عند طنف هيكل جينسو ، وقف فونيكس وأوذيس حارسين على الأسلاب ، فهنالك كنوز الهياكل ، من مناضد الأرباب ، والكؤوس الذهبية الصلبة والحلي والكساء . وهنالك صف طويل من الأسرى أولاداً ونساء . ولكنه لم يكفّ عن التفتيش عن زوجه في شوارع المدينة والنداء باسمها عالياً . وكان ينظر فيرى وهو ينادي صورة تلك التي يبحث عنها تقف أمامه ، ويخيل إليه أنها أكبر من عهده بها وهي على

قيد الحياة . وقد خاطبته الروح قائلة : « لم اضطرابك عبثاً ؟ إن هذه الأحداث لم تقع علينا بغير رضى الآلهة . فإن حاكم الأولب لا يريد أن ترافقكم كروسا في رحلتك هذه . فأنت ستقوم برحلة طويلة ، وستجتاز بحاراً علة ، حتى تأتي شاطئ هسبيريا ، حيث يجري نهر التير الليدي عذباً هادئاً ، في أرض طيبة خصبة . هنالك ستلقى نجاحاً عظيماً ، وتتخذ لك زوجاً من نسل ملكي . فلا تبك اذن كروسا التي تحب ، ولا تظن أنني سأحمل بعيداً ، أو ألقى الأسر في خدمة امرأة اغريقية . فإن هذا المصير لا يليق بمن كانت لدردنوس ابنة ولفينوس كنة . وإن أم الأرباب العظيمة تحتفظ بي في هذه الأرض لخدمتها . فالوداع الآن ، وخص بحبك اسكانيوس الصغير ولدك وولدي » .

قالت الروح هذا ، ولما أراد انياس ان يُجيبها وهو ينتحب ، اختفت عن ناظره . وقد حاول ثلاثاً أن يطوق عنقها بذراعيه ، ولكن الصورة سخرت منه ثلاثاً ، فقد كانت لها رقة النسيم ، وسرعة الأحلام . ولما انقضى الليل طلب رفاقه ، واشتد به السرور والعجب عندما وجد هذا العدد العظيم من الرجال والنساء يتجمعون معاً ، وكلهم

على استعداد لمرافقته إلى حيث يشاء . وسطع الآن نجم الصباح فوق جبل ايذا ، ورأى انياس أن الإغريق يملكون المدينة ، وأن لم يبق من أمل بخلاصها ، فاتخذ نحو الجبال سبيله ، يحمل معه أباه .

فوليد وروس – دلوس – كريت الهاريون

قام انياس وصحبه ، الذين اجتمعوا لديه ، بصنع السفن في هذا الوقت الذي تبقى لهم من السنة ؛ لأن سقوط طروادة كان في وقت الصيف ، واتخذوا من سفح جبل ايذا لهم سكناً . ولما قارب حلول الصيف الثاني ، كان عملهم قد انتهى ، ونصح لهم انخيس بأن لا يؤخروا سيرهم . فأبحروا يحملون اربابهم معهم .

وكانت هنالك بلاد تراقه ، التي خصها الإله مارس بحبه من دون الأرض جميعاً . حيث حكم في الأيام السالفة ليكرغوس الشرس الذي حاول قتل باخوس ، وكان أهلها

على شيء من الود ، أو أنهم على الأقل كانوا يظهرون ذلك قبل البلاء الذي نزل بطروادة . وهنالك بنى انياس لنفسه بلداً دعاها باسمه . ولكن بعد مدة ما ، حدث له يوماً حدث مريع ، وهو يقدم القرايين لأمه فينوس ، كي تبارك العمل الذي يقوم به ، كما نحر ثوراً أبيض للإله جوبيتر للغاية نفسها . وكان بقرب المكان الذي قدم فيه القرايين أكمة صغيرة يعلوها الكثير من شجيرات الآس والكرز، فأثاها انياس يبغى قطع بعض أغصانها المورقة، ليغطي بها المذابح ، ولكنه لما جذب إليه غصناً منها قطرت منه قطرات من الدماء . فأخذته الرعدة ، وساوره العجب ، ثم رغب في معرفة السبب فجذب أغصاناً أخرى ، ولكن الدماء قطرت منها مثل سابقاتها ، فتضرع الى حوريات الأرض والإله مارس بأن يحولاً عنه كل شر ، وعمد الى التجربة مرة ثالثة ، وحبا على الأرض ، ثم جذب اليه غصناً بأقصى قدرته ، وهناك سمع من جانب الأكمة صوتاً مفاجئاً يقول : « لم تقسو عليّ بهذا العنف يا انياس ، ولا تدعني آمناً في لحدي ؟ ولست عنك بغريب ، وهذه الدماء التي تراها تمت اليك من النسب نبصلة . فاهرب اذن ، فإن الأرض هذه لارحة فيها ، والشاطئء شره طمّاع للكسب . وأنا فوليدروس . وهنا نفدت في الرماح التي تحولت الى هذه الأغصان التي ترى » .

واشتد بأنياس الرعب حينما سمع الصوت ، وذكر كيف ان الملك فريام حينما خشي ان تدور الدائرة عليه وعلى طروادة العظيمة ، أرسل بولده فوليدروس خفية ، ومعه الكثير من الذهب إلى فولسدور ، ملك تراقه ، وكيف أن هذا فتك بالصبي حينما علم بسقوط طروادة ، وسلبه ما معه من الذهب . ولا ريب في أن حب الذهب هو أصل الشرور جميعاً .

وقص انياس الخبر على أبيه والزعماء ، فأجمعوا رأيهم على براح هذه الأرض الآثمة . ولكنهم أقاموا قبل ذلك مأتماً عظيماً لفوليدروس ، فجمعوا أكمة عالية من التراب ، بنوا عليها مذبحاً للميت . وطوقوه بأكاليل كثيفة الألوان من الصوف والسرو . ووقفت نساء طروادة من حوله محلولات الشعور ، شأنهن في حالات التفجع والحداد .

وقدموا طاسات من الحليب الدافئ والدماء ، ثم وضعوا الروح في اللحد . وودعوها ثلاثاً بصوت عال .

ولما حانت ساعة الرحيل ، وهبت الريح الجنوبية رقيقة ، أقبلوا سفنهم ، ومخروا البحر . فأتوا أول ما أتوا جزيرة ذلوس ، التي اعتادت أن تتيه في البحر إلى أن ثبتها رب القوس الفضية ، فأوثقها إلى ميكونوس وجياروس ، وجعل فيها مرفأ هادئاً . ولما نزلوا هناك للصلاة ، لقيهم انيوس

كاهن الأرض وحاكمها ، وعلى رأسه تاج من ورق الغار ، وكان يعرف انخيس في ما مضى من الأيام معرفة الصديق ، فاحتفى بمقدمهم وببالغ في إكرامهم . ثم دعوا للإله قائلين : « نتوسل اليك يا إلهي أن تمنحنا موطناً نأوي إليه ، واسماً راسخاً على الأرض ، وبلداً نسكنه ، ويجد فيه الناجون من قبضة أخيل والإغريق طروادة ثانية ، واستجب يا رب هذا الرجاء ، واعطف قلوبنا نحو المعرفة » .

وما كاد انياس ينهي كلماته هذه حتى اهتز المكان بالحال ، وارتجت أبواب الهيكل وأشجار الغار القريبة منه . ولما طرّحوا جميعهم أرضاً ، سمعوا صوتاً يقول : « إن الأرض التي حملتك أولاً يا ابن دردنوس ستعود إلى استقبالك ، فاطلب اذن أمك القديمة ، فهناك سيكون لأولاد انياس الحكم على الأرض جميعها . أجل وسيحكم أولادهم وأولاد أولادهم من بعدهم إلى أجيال عدة » . وداخلهم سرور عظيم لسماعهم هاته الكلمات ، ولكنهم لم يدركوا تماماً إلى أي أرض يريدون فوبوس ان يقصدوا ، لكي لا يظلوا على طوافهم . ثم تدبر انخيس في نفسه ما كان يتعلمه من رجال الأزمان السالفة ، فقال : « هنالك في وسط الاوقيانوس تقوم جزيرة تدعى كريت ، حيث جبل ايذا ، وهنالك كان منشأ امتنا . ومن هنالك قدم

طفقير أبونا الأول إلى أرض طروادة . فلنذهب اذن إلى حيث تريد الآلهة إرسالنا ، ولنقدم الضحايا للرياح أولاً ، وإذا شاء جوبيتر عوننا ، فإننا لبالغوها بمراكبنا في ثلاثة أيام » .

وقدموا الضحايا ثوراً لنبتون وآخر لأفلون الجميل ، وخروفاً أسود للعاصفة ، وأبيض للريح الغربية . وسمعوا هنالك شائعة تقول بأن إيدومين الكريتي هرب من مملكة أبيه ، وأن الأرض مهيأة لمن يأخذها . فأبحر رجال طروادة بقلوب مرحة . ومرتوا ما بين الجزر المسماة بالسيكلاد ، وقد هبت وراءهم ريح مؤاتية ، إلى أن بلغوا كريت . وهنالك بنوا مدينة دعوها فرغامة ، نسبة إلى فرغام قلعة طروادة . وحرثوا الأرض مدة ثم تزوجوا جاعلين من الزواج حجة لإقامتهم على هذه الأرض . ولكن أتى على الرجال مرض مهلك ، كما أتى على الأشجار والحصاد وباء ، ملأ تلك السنة بالموت . ولفحت الحقول تيارات من الهواء . وباء محصول الدقيق بالخسران . فطلب اليهم أنخيس العجوز أن يذهبوا إلى كاهن ذلوس ، ويستنبثوا الإله عن نهاية هذه الأرزاء ، وعمتن يجب أن يقصدوا لطلب المعونة ، وعما إذا كان يجب ان يبرحوا هذا المكان ، وأين يجب أن تكون وجهتهم .

ونام انياس ، فظهرت له آلهة بيته ، التي حملها معه وأنقذها من حريق طروادة ، وكانت على غاية الوضوح في نور القمر الذي كان يضيء من نافذة غرفته ، فخاطبته قائلة : « لقد طلب إلينا أفلون أن ننبثك هنا ما كان سيخبرك به لو ذهبت إلى ذلوس . ونحن الذين تبعناك نجتاز معك البحار العديدة ، سنجلب لأولاد أولادك شرفاً عظيماً ، وسنجعل لمدينتهم سلطاناً على الكثير من الأمم . فلا تنهن إذن في تجوالك الطويل ، إذ لا يزال عليك أن تبحث عن وطن آخر . فليست كريت هي البلد التي أشار عليكم أفلون بسكنائها . بل هنالك أرض يدعوها الإغريق هسبيريا ، وهي أرض قديمة ، سكانها ذوو بأس وقوة ، أرض تنبت الكرمة والحنطة . هنالك موطننا الحق ، ومن هناك قدم أبونا دردانوس . فأخبر العجوز انخيس بذلك ، واقصدوا إلى أرض هسبيريا التي يدعوها الناس إيطاليا . أما كريت فليست ارادة جوبيتر بأن تقيموا فيها » .

وبقي انياس مضطجعاً يعروه الفرع الشديد ، ويعلوه العرق البارد . وكان ما رأى على غاية الوضوح حتى انه لم يكن يشبه الأحلام في شيء . فانتصب من فراشه قائماً ، وبعد الصلاة والتضحية أخبر انخيس بما رأى .

ورأى العجوز بأنه خدع في هذا الأمر ، فقال :

« إنني أذكر الآن يا ولدي ما كانت كسندرا ترغب في إنباتي به ، وكانت تتكلم عن هسبيريا وعن أرض إيطاليا . ولكن لم يكن من رجل في تلك الأيام يظن بأن رجال طروادة سيسافرون إلى هسبيريا ولم يأبه أحد لكلمات كسندرا . أما الآن فلنحذر عرّاف افلون ، ولنبرح المكان » . وهكذا هياً رجال طروادة سفنهم ، وأبحروا عليها . وبعد برهة ما ، حينما لم يعد بإمكانهم رؤية اليابسة ، هبت عليهم عاصفة عظيمة بريح عاتية ، وكانت الأمواج تلتف عالية والبرق يسطع بشدة . فحولوا عن مقصدهم السوي ، وظلوا ثلاثة أيام بلياليها ، لا يرون شمساً ولا نجوماً ، ولكنهم بلغوا في اليوم الرابع أرضاً شاهدوا هضابها ، ورأوا الدخان يتصاعد منها ، فكدح الرجال على مجاذيفهم مسرعين حتى أتوا الشاطئ . فوجدوا أن هذا المكان هو إحدى الجزر التي يدعوها الناس ستروفاد . ويسكن هذه الجزر مخلوقات تدعى الهاربية ، وهم قوم ذوو شر لهم ملامح النساء ، وأجنحة الطيور ، ولهم إلى ذلك مخالب طويلة . وقد اصفرت وجوههم فأصبحت كوجوه المتضورين جوعاً .

ولما أتى رجال طروادة هذه الأرض ، رأوا الكثير من قطعان الثيران ، وأسراب الماعز وليس هنالك من يرعاها .

فذبحوا منها ما شاءت حاجتهم ، ولم يغفلوا عن نصيب الأرباب يتقربون بها اليها ، وأقاموا على شاطئ البحر يحتفلون . ولكن حدث ما لم يكن بحسبانهم ؛ إذ بينما كانوا في مرحهم لاهين ، أطبقت عليهم أجنحة عظيمة ، وأتاهم الهاربون يغزون الطعام غزواً فظيماً ، ويلطخون كل ما وقعت عليه أيديهم . ولما ذهبوا ، قصد الطرواديون مكاناً آخر ، يقدمون فيه ضحاياهم ، ويتناولون طعامهم بأمان . ولكن الهاربين لحقوا بهم ، وفعلوا ما فعلوه سابقاً ، مما حدا بأنياس أن يأمر رجاله بسل سيوفهم ومحاربة هؤلاء الوحوش .

ولما عاود الهاربون الكرّة ، نفخ ميزانوس نفيه ، معلناً بدء القتال ، ويا لهول هذا القتال ! لقد حاربوا وكأنهم يضربون في الهواء ، فقد وجدوا أنه لا الرمح ولا السيف قادران على أن ينالا من هؤلاء الوحوش ، الذين عادوا أدراجهم ، ولم يتخلف منهم إلا واحدة تدعى سيلانو ، خاطبتهم وهي تجلس على إحدى الصخور بما معناه : « هل تقصدون يا أبناء لاوميذون إلى القتال في سبيل هذه القطعان التي استوليت عليها جوراً وظلماً ، أم تبغون إجلاء الهاربين عن مملكتهم ، وسلبهم ميراثهم ؟ اسمعوا إذن كلماتي التي ألقاها الإله ذو البأس القوي العظيم

على فوبوس ، وبلغني هذا إياها . سافروا إلى إيطاليا ،
والى إيطاليا ستقدمون ، ولكنكم لن تبثوا مدينة ، ولن
تقيموا حولها الأسوار إلا بعد أن يجتاحكم جوع فظيع يلجئكم
إلى أكل الموائد عينها ، التي تتناولون طعامكم عليها الآن » .

قالت هذا وبرحت المكان ، وقد تملك الجميع رعب
عظيم ، فرفع أنخيس يديه إلى السماء ودعا الآلهة بأن تدرأ
عنهم هذا البلاء .

الملك هيلانس - السيكلوبيون

ثم أبحروا تهبّ عليهم الريح الجنوبية ، ففروا قرب
زاسيتوس ودولخيوم ، كما مروا بإيثاكة التي لعنوها وهم
يمرّون بها ، فهي أرض أوديس الذي يكرهون . وهكذا
وصلوا أكتيوم فنزلوها . وهناك قدّموا الضحايا للأرباب ،
وأقاموا مباريات المصارعة وغيرها احتفاءً بنجاتهم بعد
مرورهم بالكثير من مدن أعدائهم . وأقاموا حتى نهاية
فصل الشتاء . وقد ثبت أنياس على أبواب هيكل أفلون
درعاً من البرونز ، ربحه في المعركة من البطل إياس ،
وكتب فوقه هذه الكلمات : « إن أنياس يُوقِفُ هذه
الأسلحة التي ربحها من الإغريق الظافرين على هذا الهيكل » .

ولما جاء الربيع ، أبحروا تاركين وراءهم أرض فياسيا .

وانتوا بروتوم الكائنة في أفروس . وهناك سمعوا أمراً عجباً . سمعوا ان هيلانس ابن فريام يملك هذه الأرجاء وهو يقيم في غرفة فيروس بن أخيل ، وقد اتخذ اندروماخ أرملة هكتور له زوجاً . وشاء انياس أن يعلم مبلغ الخبر من الصحة فاتجه نحو المدينة ، وهناك نظر ، فرأى كهفاً قريباً منه وعلى مقربة من نهر يدعى سيمويس ، أندروماخ نفسها ، وقد وقفت هناك تقدم العطاء لروح هكتور وتذرف الدمع السخي . ولما رأت أنياس وهو يرتدي الأسلحة التي اعتاد الطرواديون ارتداؤها غشي عليها رعباً . ولكنها تكلمت بعد برهة ، وقالت : « هل ما أراه حقيقة ماثلة ؟ وهل أنت حي حقاً ؟ وإذا كنت ميتاً فقل لي أين هكتور زوجي ؟ » صرخت بهذا وقد علا صوتها بالنحيب . فأجابها انياس : « أجل يا سيدتي إن ما ترين أمامك هو شحم ودم وليس روحاً . أما أنت فأنت مصير كان نصيبك ؟ ألا ترالين زوجة لفيروس ؟ »

فأطرقت بعينيها ، وأجابت : « لقد كنت يا ابنة فريام أسعد أخواتك حظاً ، فقد ذبحت عند قبر أخيل ، ولم تتركي لرحمة المنتصر ! أما أنا فقد حملت عبر البحر ، لأكون أسيرة لابن أخيل المتغطرس . ولما تزوج من هرميونة ابنة هيلانة أعطاني إلى هيلانس ، كما تعطي عبدة ذليلة

لعبد ذليل ، ولكن أurst فتك بفيروس ، وأخذه على غرة عند مذبح أبيه . ولما مات عاد نصف ملكه إلى هيلانس ، الذي سمّاه خاوونيا ، نسبة إلى خاوون الطروادي . كما بنى قلعة فوق الهضاب كانت فرغاما الجديدة . ولكن قل لي هل دفعتك إلى هنا عاصفة ؟ أم رماك الحظ ؟ أم هي إحدى رسالات الأرباب ؟ وهل ما زال أسكانيوس حياً .. ذلك الصبي الذي لا تزال ذكره ماثلة أمامي ، ألا يزال يذكر أمه المائتة ؟ وهل هو قوي البنية جريء القلب كما يليق بمن كان انياس أباه ، وهكتور خاله ؟ »

وقدم هيلانس من المدينة في أثناء الخطاب ، ومعه جمع كبير ، ورحّب بأصدقائه فرحاً بلقائهم . ورأى انياس أن الأمور قد سبّرت ودعيت كما كانت في طروادة . ولكنها كانت عظيمة في طروادة ، وهي ضئيلة هنا . وبعد ذلك أقام لهم الملك هيلانس وليمة في بيته ، فشربوا معاً وأقاموا يمرحون .

ولكن انياس رأى بعد بضعة أيام أن الريح تؤاتهم فكلّم هيلانس ، وهو يعلم أنه نبي الأرباب ، وقال : « هيا خبرني الآن ، وأنت الحكيم العالم بكل أنواع العرافة والتنبؤ ، كيف ستسير معنا الأمور ؟ يخيل إليّ أنها في خيرنا إلى الآن ، ومع ذلك فإننا لا نذهب في سفرنا هذا

ضد إرادة الأرباب . ولكن سلينو الهاربة تنبأت لنا سراً ،
وقالت إننا سنلاقي جوعاً مهلكاً . فقل لي الآن أي الأمور
أولى بالتجنب ، وأياها أحق بالنجاح . »

وبعد ان قدم هيلانس التضحية اللائقة ، سار بأنياس
إلى هيكل فوبوس . ولما بلغا المكان ، ونفخ الإله في روع
العرّاف هيلانس روح التنبؤ ، تكلم قائلاً : « من الجلي
يا ابن فينوس انك لم تقم بهذه الرحلة عبر البحر إلا برضى
الآلهة . فأصغِ إليّ الآن ، أخبرك بعض الأمور ، وليست
هي إلا قليل من كثير علّتها تعينك في اجتيازك البحر
المجهول آمناً وبلوغك نعيمك في ايطاليا . حقاً إنّ الأقدار
لتحول بني وبين المعرفة ، كما ان جينو تحرّم عليّ الإفشاء
بكل ما أعرف . واعلم قبل كل شيء بأن ايطاليا التي
نحسبها ، جهلاً منك ، قريبة المنال ، لا تزال بعيدة جداً ،
ولا تزال وراء بحار كثيرة . ولتكن الإشارة لك ببلوغ
الذي تقصد هي رؤيتك عنده خنزيرة بيضاء ، حول أئدائها
ثلاثون خنزيراً : هنالك سيكون مكان بلدتك العتيدة .
أما التهامك المائدة جوعاً ، فلا تكثر به ، لأن أفلون
سيكون في عونك عند الحاجة . ولكن لا تجعل اختيارك
يقع على الشاطئ القريب من ايطاليا ، فهناك يسكن اللّعناء
من أبناء الإغريق . وحينما نجتازه آتياً أرض صقلية ، وترى

مضيق فيلوروس أمامك ، فامض يساراً ، وتجنب السير
إلى اليمين . فهناك انشقت الأرض إلى نصفين منذ الأيام
السالفة ؛ لأن مياه البحر فاضت قديماً بين البلاد والحقول ،
التي كانت متصلة معاً ، وعلى يمين القاصد سيلاً وعن يساره
خاربديس الدوامة . ولكن سيلاً تسكن كهفها ، وهي وحش
جبار ، مريع المنظر في هيئة امرأة حسناء إلى وسطها ، أما
قسمها الأسفل فهو - شبح بحر ، له بطن دلفين ذي رؤوس
كرؤوس الذئب ، فالأفضل لك أن تدور حول أرض
صقلية جميعها ، من أن تقترب من هذه الأشياء ، أو أن
تراها بعينيك . واذكر أن تعبد جينو قبل كل الآلهة في
كل زمان وكل مكان ؛ فلعلك تستطيع إقناعها ، ومن
ثم تبلغ أرض ايطاليا آمناً . وإذا ما بلغت هنالك ، فاقصد
إلى سيبيل المقيمة في كومي ، وهي العرافة المجنونة ، التي
تكتب المصير المقدور على أوراق الشجر . وتبقى هذه
الأوراق في أماكنها إلى أن يفتح الباب فتدروها الريح هنا
وهناك . وإذا ما بُدّدت ، فلا تأبه لجمعها ، ولذا يرجع
سائلوها دون أن يحظوا منها بجواب . فلا ترفض التريث
قليلاً في سبيل نيل نصيحها ، ولو خيّل إليك أن الأسباب
قد توفرت لنجاح رحلتك ، أو لو تدمر الرفاق لهذا
التأخير ؛ لأنها ستخبرك بكل ما سيقع لك في ايطاليا -

ستخبرك أين وفي أي نضال ستشتبك ، وعلى أي خطر
يجب ان تصبر وأياً تتقي . هذا فقط ما يباح لي أن أفصي
به اليك دون زيادة . فابرح اذن ، ومجدد وطننا طروادة ،
ولو كان ذلك في السماء » .

ولما أتمّ الكاهن كلماته هذه ، أمر قومه بحمل الهدايا
إلى السفن : وكانت من الذهب والعاج المزين بالنقوش
والكثير من الفضة ، والمراجل المصنوعة في ذوذونا ، ودرعاً
من الزرد المصفح ، وخوذة ذات ريش جميل كان يرتديها
فيروس ، وأعطى أنخيس العجوز بعض الهدايا . كما قدم
لهم خيولاً ورجالاً يهدونهم في رحلتهم سواء السبيل ،
وحبال جذب للسفن ، وأسلحة لجميع رجال القافلة ، ثم
حيا أنخيس العجوز مودّعاً . وحضرت أندروماخ تحمل
أردية مطرزة ، ومعطفاً فريجياً خصت به اسكانيوس ، كما
خصته بالكثير من أشباهه ، وقدمتها له قائلة : « خذ هذه
من صنع يديّ لتكون برهاناً لديك على هذا الحب الدائم
الذي تكنه لك تلك التي كانت مرة لهكتور زوجاً . فأنت
حقاً صورة حية لولدي استياناس ، وما أشبه عينيك بعينه
ويديك بيديه . ولو بقي لكان في مثل سنك الآن » . ثم
ودعهم انياس وهو ينتحب قائلاً : « هنيئاً لكم يا من
بلغتم من التطواف نهايته ، ونلتم من الراحة غايتها . فليس

أمامكم البحار تقطعونها ، ولا السهول تجوبونها للوصول إلى
إيطاليا ، التي توغل بالبعد كلما امعنّا نحوها تقدماً . بل
إن أمام أعينكم هنا شبه طروادة . وثقوا أنني إذا ما بلغت
إيطاليا هذه التي أبغي ، فإن الصداقة المكيّنة ستدوم بيني
وبينكم وبين أولادي وأولادكم إلى الأبد » .

ثم تهبّأوا للإبحار ، وجروا سفنهم إلى البر منذ العشية ،
وناموا عند الشاطئ ، ولما انتصف الليل ، نهض الرّبان
فاليرونوس من فراشه يرصد الرياح والنجوم ، مثل الدب
الأكبر والدب الأصغر ، والسمك وكوكبة الجبار بمنطقته
الذهبية . ولما رأى أن كل هذه الأمور تنبئ بالإقبال على
جَوِّ رائق ، نفخ بوقه عالياً ، معلناً الجماعة وجوب السفر ،
فاستجابوا له فوراً . ولما قرب الصباح ، واحمر الشفق الشرقي ،
تبينوا من غير وضوح أرضاً تعلوها الهضاب ، وتنحدر
شواطئها منبسطة نحو البحر .

وكان أنخيس العجوز أول من صرخ قائلاً : « انظروا !
هذه هي إيطاليا » . وتبعته الجماعة كلها ، ثم أمسك أنخيس
كأساً عظيمة ، ملاًها خمرأ ووقف عند مؤخر السفينة قائلاً :
« أيتها الآلهة ، يا أرباب البر والبحر ، وأنتم يا مسخري
الرياح ، هبونا رحلة يسر ، وأرسلوا علينا ريحاً مؤاتية » .
واشتد دفع الريح للسفينة ، وهو لما ينه كلامه بعدُ .

واتسع أمام أعينهم فم الميناء جلياً ، وظهر لأعينهم هيكلم
لميرفا يعتلي الهضاب . ولكنهم رأوا عند الشاطئ أربعة
جباد بيضاء كالثلج ، ما ان رآها الشيخ حتى قال : « إنك
تعنين حرباً أيتها الأرض الغربية ، فإن الخيل تفسر الحرب
كما انها تقود المركبات وتحمل الأثقال مجتمعة . ولذا فإننا
نأمل فيها السلام » . ثم قدّموا الضحايا لميرفا وللإلهة جينو
التي حضّتهم العراف هيلانس على وجوب خصتها بالإكرام .
ولما فعلوا ذلك ، رتبوا رحيلهم ، وابتعدوا عن الشاطئ
خوفاً من عدوّ مداهم ؛ لأن الإغريق يقيمون هناك . ثم
اجتازوا تارنتوم ، التي بناها هرقل ، وهضاب قولون ،
وسيلاسيوم حيث تحطّم الكثير من السفن . ومن سيلاسيوم
شاهدوا أتنا ، وسمعوا للبحر هديرأ عظيماً . ورأوا الموج
يصطخب فيبلغ عنان السماء . عندها قال أنخيس : « هذه
هي خاربديس التي أخبرنا عنها العراف هيلانس ، فأعملوا
مجازيفكم أيها الرفاق وهيا نبتعد عنها » . فكادحوا يجذّفون
بقوّة ، وسيّر فالبرونوس دفته إلى اليسار ، تتبعه بقية السفن .
وكانت الأمواج ترفعهم إلى السماء حيناً ، وتخفضهم إلى
الأعماق حيناً ، ولما حان المساء وبلغت الشمس الغروب ،
وصلوا أرض السيكلوبيين .

هنالك ألقوا مراسيهم في ميناء حمي من هبوب الرياح

المختلفة . ولكن أتنا كان يزجر الليل بطوله زجرجة هائلة ،
ويقذف سُحباً من دُخان الزّفت ، وحماً حارّة كالنيران ،
وكرات من النار ، وصخوراً ، وكلّ ما مزج بالحرارة ،
ويقول الناس بأن انكيلادس الجبار يجثم تحت هذا الجبل ،
وهو يُصلّي بضياء جوبيتر ، فيخرج منه هذا اللّهب .
وحينما كان يناله التعب ، فينقلب من الجانب الواحد إلى
الجانب الآخر ، كانت أرض القلانيس الثلاث تصاب بهزّة
ترجها رجاً . واضطجعوا تلك الليلة بطولها يعروهم الخوف
الشديد ، ولا يعلمون لهذا الصخب سبباً ، فإن السماء كانت
حقاً غائمة ، ولم تكن رؤية القمر بالإمكان .

وحينما أتى الصباح ، جاءهم غريب من ناحية الغابات ،
زري المنظر كثيبه ، قد تمزّقت ثيابه ، فشبكها بالشوك ،
وأرسل لحية كثّة لم تشدّب ، ومدّ نحوهم يديه كمن
يتضرّع إليهم ، وقد عرف به الطرواديون رجلاً من
الإغريق . كما انه لم يكذبهم ، ويتعرف إليهم ، فيعلم
إلى أي البلاد ينتمون ، حتى اعتراه جزع شديد . فوقف
جانباً ، ثم ركض إليهم مسرعاً ، يدعوهم بمختلف الأدعية ،
وهو ينتحب ، ويقول : « أتوسل إليكم يا رجال طروادة
بالنجوم والأرباب ، وبهذا الهواء الذي نستنشقه بأن تأخذوني
من هذه الأرض إلى حيث تشاؤون ، ولن أسألكم إلى أين

المصير . ولا أنكر أنني من الإغريق ، وأعترف بأنني حملت السلاح ضد طروادة . فأغرقوني في البحر إذا شئتم ، وإذا لم يكن من الموت بدّ ، فلأمت بيد البشر » .

وتشبّث بركبهم ، فطلب إليه انياس أن يخبرهم عن نفسه ، وعن سبب وجوده في هذا المأزق . فأجابه الرجل قائلاً : « إنني رجل من إيثاكة ، وأنا أحد رفاق التمس أوديس ، واسمي اخيمينيدس ، أما أبي فهو اذامستوس . ولما هرب رفاقي من هذا الشاطئ اللعين ، تركوني في كهف السيكلوب وهو مخيف الهيئة ، وحشي المنظر ، قد جاوز الحدّ من ضخامة الجسم ، ويتغذى بلحم البشر . وقد رأيت بهاتين العينين كيف مدّ يده ، وقبض على اثنين من رفاقي ، وسحقهما على الحجارة سحقاً ، أجل ، وقد رأيت أطرافهما ترتجف بين أسنانه ، ولكن أعماله هذه لم تمض من غير عقاب ، فإن أوديس لم يُطِيقْ على رؤية هذه الأعمال صبراً ، فلما استسلم العملاق إلى نومه بعد أن سطت عليه الحمرة ، ألقينا القرعة لنعلم نصيب كل منا من العمل ، الذي يجب أن نقوم به ، وهو سمل عينه ، إذ لم تكن له إلا عين واحدة ، اتسعت واستدارت حتى أصبحت كترس ارغوس ، أو كدائرة الشمس ، وهكذا

انتقمنا لهلاك رفاقنا . فأسرعوا إلى الهرب بكل ما تملكون من سرعة .

وهناك غير الراعي فوليفيم هذا - لأن عمله كان راعياً - كثيرون من السيكلوبيين أمثاله ، العالقة الوحشين الذين يسكنون هذه الشواطئ ، ويطوفون فوق الهضاب . والآن فإنني منذ ثلاثة أشهر وأنا أقيم هنا في الغابات آكل التوت البري ، وأوراق الشجر ، وحشائش المروج . ولما رأيت سفنكم أسرع إلى لقائها . فافعلوا بي ما تشاؤون على أن أهرب من هذه السلالة اللعينة » .

وقد رأى رجال طروادة فوليفيم بين قطعانه ، وهم لا يزالون يستمعون إلى حديث هذا الإغريقي ، وتراءى لهم أنه كان يقصد الشاطئ ، وكان مخيف الهيئة ضخماً ، لا شكل له ، وفاقد البصر . ولما أتى البحر غسل الدماء عن جرحه ، وهو يصير بأسنانه . ومع أنه أوغل في البحر بعيداً ، فإن الأمواج لم تنل منه أكثر من الوسط . وقد أسرع رجال طروادة إلى الهرب بكل قواهم حاملين معهم ذلك المستجير . أما فوليفيم فلما سمع جَدْفَهُمْ ، ودّ لو قدر على الوصول إليهم ، ولكن ذلك لم يكن في طاقته . فأرسل صيحة عالية ، هرع على أثرها السيكلوبيون إلى الشاطئ . فرآهم رجال طروادة ، ورأوا فيهم جماعة هائلة

المنظر ، وقد طالت منهم القامات حتى أشبهوا غابة من
البلوط أو العرعر . واشتدّ بالطرّواديين الهلع ، حتى لم يعودوا
يعرفون ماذا يفعلون ، فقد وجدوا أنفسهم بين أرض
السيكلوبيين من جهة ، وسيلا وخاربديس من جهة ثانية ،
وقد حذرهم منها العراف هيلانس . ولكن الريح الشمالية
هبت عليهم من فيلوروس ، وهم في بلبتهم هذه ، فمخروا
إلى الأمام ، ومعهم اخنديس . فوصلوا إلى أورتيجيا ،
حيث يجري نهر الفوس ، كما يزعم الناس ، تحت البحر
آتياً من أرض فلوبس ، ويختلط مع ارتوسا ، ثم اجتازوا
شوامخ جبل فاخينوس . كما اجتازوا كامارينا وجيلا وغيرها
من المدن ، حتى بلغوا ليلبيوم ، ثم دربانوم أخيراً .
وهناك مات العجوز النخيس ودفن .

٦

تحطم السفينة

إن ما وقع لأنياس وصحبه لم يكن بعد مدة طويلة من
إبحارهم ، بل لم تكد تختفي أرض صقلية عن أنظارهم ،
حتى شاهدتهم جينو ، فاشتدّ سخطها على دنّوهم الآن من
نهاية رحلتهم ، وقالت في نفسها : « أهكذا يخيب مقصدي ،
فلا أقدر على صدّ رجال طروادة هؤلاء عن إيطاليا ؟ فإن
مينرفا أحرقت سفن الاغريق ، وأغرقت رجالها في البحر
لخطيئة واحدة اقترفها رجل هو اياس بن ويليوس . فقد
ضربت السفن بصواعق جوبيتر ، وأخذت اياس هذا
بإعصار ، ثم قذفت به فوق الصخور فزق تمزيقاً . أما
أنا فأبقى من دون الآخرين ، غير قادرة على الإتيان بأي
عمل ضد هؤلاء القوم ، مع أنني أمّت إلى جوبيتر بأوثق
الأسباب ، فأنا أخته ، وزوجه بآن واحد . وهل في

الأجيال القادمة من يسمع بهذا ، ثم يوليني شرفاً ، أو يقدم لي حقي من التضحية ؟ »

وذهبت إلى أرض ايوليا ، وهي تهجس بهذه الأمور وبلغت إلى حيث يحتفظ الملك اوليوس بالرياح ، محكماً الرّجاج من دونها ، وكان يُسمع لها في داخل الجبال هدير عظيم ، ولكن ملكها كان يكبح جماحها ، ويحفظها ضمن حدودها . وقد نُصب خصيصاً لهذا العمل ، حتى لا تثور الرياح ثورتها ، فتجتاح في طريقها السماوات والأرض . فخاطبت جينو الملك قائلة : « أيها الملك اوليوس ! يا من أقامه جويتر ملكاً على الرياح ، إن شعباً ممقوتاً مني يُمخر الآن بحر توسكان ، فأرخ لعواصفك العنان ، وادفعها اليهم لكي تغرق سفنهم في أعماق البحر ، وأصغ إلى ما أعدك به . إن لي من الوصيفات القائرات على خدمتي اثنتي عشرة ، ذوات دلّ وجال ، وسأمنحك ذيوفا أبرعهن جمالاً لكي تكون لك زوجاً » . فأجابها الملك اوليوس : « إن الأمر إليك في كل ما تشائين أيتها الملكة ، وليس هذا السلطان الذي أملكه إلا من عطايك ، وإليك يرجع الفضل في جلوسي للأكل على مائدة الأرباب » .

قال هذا ودفع برمحه أبواب السجن المغلقة من دون الرياح ، فاندفعت هذه إلى الأمام فوراً ، وتقدمت معاً

نحو الشاطئ تلتف عليه أمواجاً عظيمة . وارتفعت أصوات الرجال متصاحجة ، وجذبت سلاسل السفن ، ولم يعد بالإمكان رؤية السماء أو ضوء النهار . بل جُلل البحر بظلام ليل دامس وعمت السماوات الرعود والبروق .

وارتجف انياس برداً ورعباً ، فبسط يديه نحو السماء ، وصاح قائلاً : « يا لسعادة أولئك الذين سقطوا تحت أسوار طروادة أمام أعين آبائهم ! وددت لو أن الأرباب سمحت لك بقتلي يا ذيوميذ ، يا أشجع الإغريق وأبسلهم ، لسقطتُ اذن كما سقط هكتور برمح أخيل . وكما سقط سرفيدون الطويل النّجاد ، أو كجميع أولئك المحاربين الأبطال ، الذين حمل سيمويس جثثهم ، ودحرجها إلى البحر ! »

وبينما هو في دعائه ، عصفت الريح بشرائه الأمامي فضربته واستدارت سفينته تعترض الأمواج . والتطمت ثلاث من السفن على الصخور التي يدعونها « المحاريب » ، كما غُيبت ثلاث آخر في اوعاس سيرتيس ، وضربت أمواج الخضم مؤخر سفينة الليقيين الذين يتزعمهم اورونتيس ، فأغرقتها . ونظر انياس من حوله ، ويا لهول ما رأى ! رأى البعض يكافحون الموج . كما رأى الألواح المتحطمة وأسلحة طروادة ونفائسها . وحطمت الأمواج غير

هذه كُلاًّ من سفن اليونوس واختات واباس وأليس
العجوز .

وأحس الملك نبتون بالضجة ، وهو قائم في أعماق
البحر ، فرفع رأسه فوق الأمواج ، ونظر من حوله ،
فرأى السفن تتبعثر هنا وهناك ، ورأى رجال طروادة يعانون
أقسى العذاب . وكان يعلم بسخط اخته ومهارتها ، فدعا
الرياح وقال : « ما هذا الذي تصنعين أيتها الرياح ، فتقلقين
الأرض والسماء بغير إذن مني ؟ والآن فإنني أطلب أولاً
إلى الموج أن يهدأ ، وثقي بأنني لن ادعك تفلتين مرة
أخرى ، فاذهبي وقولي للمليك إن سلطان البحر من شأني
أنا ، فليلزم هو حدود صخوره » .

ثم أمر الموج بالسكينة ، وشتت الغيوم ، وأعاد الشمس
إلى الظهور . وقام إله البحر سيموتي وتريتون بإنقاذ
السفن من الصخور يساعدهما نبتون وهو يرفعها بعصاه ذات
الشعب الثلاث . ثم فتح اوعاس الرمل ، وأخرج ما في
باطنها من السفن . وبعد أن قام بهذا قطع البحر بمركبته ،
فما أن رآه الموج حتى غشيه السكون . وكان شأنه معه
شأن الفتنة تقوم في مدينة ، ويأخذ أهلها السخط فيرمون
بالحجارة والنيران . وما أن يطلّ عليهم بغتة سيد مطاع ،
هو عندهم رجل حق وصدق ، حتى يخيم عليهم عند

ظهوره السكون ، ويصغون إلى قوله فيهدأ الشغب ، ويعم
الهدوء ، وهكذا هداً البحر حيناً رأى ملكه .

وبرح الجهد بأنياس وصحبه من شدة ما عانوا من
العاصفة ، فقصدوا إلى أقرب شاطئ ، فكان شاطئ
أفريقيا ، حيث توغل السماء بعداً ، حتى تتصل بالأرض
فلا تبلغها الأمواج إلا متلاشية القوى . وقامت على جانبي
الشاطئ جرف تنهات في العلو ، واكتست بالغابات البهيجة .
وكان على رأس المرفأ كهف في داخله ينبوع عذب ، قد
اتخذته حوريات الماء سكناً . وإلى هذا المكان قدم انياس
بسبع سفن ، وقد ملأ الفرح قلوب رجال طروادة ،
لوطنهم الأرض اليابسة مرة أخرى .

وعمد أخات إلى قدح الشر من الصوتان ، فأشعلوا
النيران بأوراق الشجر وما إليها ، ثم أخذوا مما لديهم في
السفن من الحبوب ، فجففوها وجرشوها وأعدوها للطعام .
أما انياس فتسلق الجرف ، علّه يشاهد لسفن رفاقه أثراً .
ولكنه شاهد على الشاطئ ثلاثة طباء ، يتبعها قطع ،
فأسرع إلى سهامه وقوسه التي يحملها أخات ، ورمى بها فأصاب
من الأطباء الثلاثة مقتلاً ، وثنى على القطيع ، حتى بلغ
مجموع صيده سبعة خص كل سفينة من سفنه بواحدة
منها . ثم قصد مكان رسوهم ، ووزع على رفاقه صيده ، كما

وزَّعَ عليهم شيئاً من النبيذ ، الذي أهداهُ إليهم مضيفهم
 أستيس وهم يرحون صقلية ، وخاطبهم بكلمات الناسي
 قائلاً : « ثقوا يا رفاقي أن لا بدَّ لهذا العذاب من نهاية .
 وقد عانيتم في الماضي ما هو أشدُّ وأدهى ، فاحتفظوا بمرحكم
 إذن ، ولعلكم بالغوا اليوم الذي ستجدون فيه السرور عند ذكر
 ما يمر بكم الآن من عذاب . ولا تنسوا أن الآلهة قد
 أعدت لنا في إيطاليا سكناً ، وسنعيد هنالك بناء طروادة
 في أمن شامل وهناء مقيم . فاصبروا إذن وانتظروا يوم
 الفوز العظيم » .

وأعدُّوا للاحتفال عدته ، ومالوا على اللحوم يشوون
 بعضها فوق السفود ، ويسلقون البعضَ بالمساء . واحتسوا
 من النبيذ ما أعاد اليهم الراحة . وجلسوا بعد عشائهم
 يتكلمون عن أولئك الغائبين ، وهم من أمر حياتهم أو
 موتهم في شكٍ مُريب .

قرطجنة

بينما كان جوبيتر يشاهد هذا جميعه ، قدمت عليه
 فينوس بشيع الحزن في قسائهما ، وتندِّي الدموع عينيها ،
 وقالت : « أيها الوالد العظيم ، يا من اليه ترجع الأمور ،
 أيّ خطيئة اقترفتها في حقك انياس ورجال طروادة ، حتى
 أوصدت في وجههم أبواب العالم جميعاً ؟ ألم تعد بأن
 تؤمرهم على الأرض والبحار ؟ فلم تنكص عن قصدك ؟
 وقد كنت أود العزاء عن مصير طروادة المشؤوم ، ولكن
 أننى لي ذلك ، ولا يزال هذا المصير يلاحق رجالها إلى
 الآن ، فلا يجدون لعنائهم نهاية . ومع هذا فقد منح
 انطينور ، وهو طروادي ، النجاة من الإغريق ، فأتى
 أرض ليورنيا ، حيث يضج تيفافوس طائراً وهو يقصد

البحر ، وبني هنالك مدينة ، وجد فيها لنفسه الراحة بعد العذاب . أما نحن أبناءك ، فلا نزال نُقصى عن التي أقسمتَ بمنحنا إياها .

فأقبل عليها والدها يقبلها ، وهو يتسم قائلاً : لا تجزعي يا بنيّتي ، فإن مصير أبنائك لم يتغير ، فسترين المدينة التي تؤملين ، وستستقبلين ولدك انياس ذا القلب الكبير في السماوات . فأصغي إليّ اذن ، وسأخبرك بما هو آت .

إن انياس سيشن الحرب على أم ايطاليا ، فيخضعها ، ويبني مدينة يحكمها ثلاث سنوات . وبعد ذلك بثلاثين سنة ، يغيّر الطفل اسكانيوس الذي سيسمى ليلوس مكان العرش من لافينيوم إلى ألبا ، ويتداول الملوك من نسل هكطور حكم ألبا ثلاثمائة عام . ثم تحمل كاهنة ولدين توأمين لمارس ، وترضعهما ذئبة ، فيبني احدهما واسمه روميلوس مدينة يكرسها لمارس ويدعوها روما نسبة لاسمه . ولهذه المدينة أعطيت ملكاً لا حد له ولا نهاية . اما جينو فستعود عن حنقها ، وتشترك في مجلسي ، وتنزل رجال روما منزلة الإعزاز من نفسها ، حتى ليحوزوا حكم أرغوس ومسينا .

ولما أتم كلامه أرسل رسوله مركوري إلى ديدو وشعبها

القاطنين في قرطجنة المدينة التي بنوها ، وأمره بأن يغير قلوبهم نحو هؤلاء الغرباء ، فلا يلقون منهم إلا حسن الوفادة .

وحدث في اليوم التالي أن انياس بعد أن أحسن إخفاء سفنه في خليج تغطيه الأشجار ، قام بجوس خلال الأرض الجديدة التي قدموها ، ولا يصحبه غير اخات . وحمل في كل يد رمحاً عريضاً مسنوناً . فلقيته أمّه في منتصف الغاب ، ولكنها ارتدت ملابس إسبرطية عذراء ، فتدلّت قوس من كتفها كما تفعل الصائدات ، وحل شعرها ، وقصر قيصها فبلغ ركبتيها ، وجمعت ثيابها بعقدة عند صدرها . وبدأت الصائدة الزائفة الكلام قائلة : « لعلك رأيت احدى اخواتي تحوم هنا فتخبرني بمكانها ! إنها تنطق بجلد ، وترتدي جلد فهد مرقط . بل لعلها في صيد خنزير بري ، تأخذ معها البوق والسلوقي » .

فأجابها انياس : « لأنني لم أشهد ولم أسمع بأن لك أختاً أيتها العذراء - وبمّ ادعوك ؟ إذ لا ريب في أنه ليس بنظراتك ولا بصوتك ما يشبه امرأة فانية ، فأنت إذن إحدى الإلهات ، وقد تكونين اخت فينوس ، أو لعلك إحدى الحوريات .

ولكن انظري إلينا ، مهما كنتِ ، نظرة عطف ،

ومُدِّي إلينا يد العون . أخبرينا في أي بلد نحن ، فقد دفعتنا الرياح إلى هنا ، ولا نعلم من أمر المكان والسكن شيئاً » .

فقالت فينوس : « كلا أيها الغريب ، إنني لست ما تظن ، فإن علينا نحن عذارى صور ، أن نرتدي جلدأ ، وننتعل بلغة أرجوانية . وهذه البلدة القريبة هي بلدة صورية ، مع أن الأرض هي أرض ليبيا . وديدو هي ملكة هذه المدينة ، وقد قدمتها من صور هرباً من سوء عمل أخيها . وحقاً إنها قصة طويلة ولكنني سأقص عليك أهم أنبائها .

كان زوج الملكة ديدو هذه سيشوس ، وكان أغنى رجال فينيقيا ، وكانت امرأته شديدة الوله به ، وقد تزوجها عذراء . ولسيشوس هذا أخ اسمه بيجاليون ، هو ملك البلاد ، وقد فاق الرجال قحةً وسوء قصد . ولما شجر بين الأخوين الخلاف ، وكان الملك مفتوناً بحب الذهب ، أخذ أخاه على غرة وهو يقدم الضحية عند المذبح ، وفتك به . ثم أخفى الأمر عدة أيام عن ديدو ، وخادعها بالآمال . فتمثل لها زوجها في الحلم ، وهو يحمل جروحه ، ويربها ما ناله من أخيه من اعتداء . كما طلب إليها أن تسرع بالهرب من تلك الديار . ولكي ييسر لها الأمر أطلعها على مكان كنز عظيم خبيء في باطن الأرض يحوي الذهب

والفضة . وملك ديدو التأثير من هذه الأمور ، فأعدت عدتها للهرب ، وبحث عن الرفاق فأتاها جمع مؤلف من كل من يكره الملك أو يخافه . ووضعوا أيديهم على سفن كانت لحسن حظهم مهيأة ، وحملوها بالذهب ، وفيها كنز الملك بيجاليون ذاته ، وفرّوا هاربين يقطعون البحر . وكانت امرأة تتولى قيادة الأمر جميعه . ثم أتوا هذا المكان الذي ترى منه أسوار قرطجنة وقلعتها ، واشتروا من الأرض ما قدروا على مسحه وقياسه بسيور من جلد ثور . فهل لك أن تجيبني الآن على سؤالي : من أين قدمت وإلى أين تذهب ؟ »

فأجاب انياس : « لو أردت أن أقصّ عليك قصة تيهنا بأكمله ، وكان لك من الوقت ما يتسع لسماعها ، لحلّ الظلام قبل أن أبلغ نهايتها . فنحن من رجال طروادة ، الذين جابوا البحار الكثيرة ، حتى دفعتهم العواصف أخيراً إلى هذا الشاطئ من ليبيا . أما أنا فإن الناس يدعونني الأمير انياس ، والأرض التي أبغي هي إيطاليا ، وسلّاتي ترجع إلى جوبيتر ذاته ، وقد أبحرت في عشرين سفينة أقصد فيها السبيل التي أراذني عليها الأرباب . ولم يبق من هذه السفن إلا سبع . وقد رأيت أن لا أوروباً ولا آسيا تستطيعان تحملي ، فها أنا أهم في صحارى افريقيا » .

ولم تدعه فينوس يزيد على ما قال فأجابته : « لتكن من تكون أيها الغريب ، فإن قدومك إلى هذه الأرض السورية ، لا يدع مجالاً للريب في أنك محبوب من الآلهة ، فاذهب الآن وقدّم نفسك إلى الملكة .

أما سفنك ورفاقتك ، فلإني أنبئك بأنهم يقيمون في السماء بأمان . هذا إذا لم يكن علمي بالعرافة عبثاً . أترى إلى هذه الوزّات العشرين وطيرانها فرحة مسرورة ؟ هاك نسراً ينقضّ عليها من الجوّ ويربك حركاتها . ولكنها تعود إلى الانتظام ، وهما بعضهما يستقرّ على الأرض ، والبعض الآخر يتهاى للاستقرار . وهذا ما وقع لسفنك ، فهي إما أن تكون قد أصبحت في السماء ، أو على وشك الدخول إليها مبحرة بأقصى سرعتها » .

قالت هذا وألوت راجعة ، فأشعّ من عنقها نور وردي ، وعبق من شعرها أريج العنبر اللطيف ، وطالت ثيابها إلى قدميها ، فعرف فيها انياس أمّه ، وناداهما قائلاً :

— « أي أماه ، لمّ تسخرين مني ، وتظهرين لي غالباً بمظاهر زائفة ، ولا تدعيني أضع يدي في يدك أو أكلمك وجهاً لوجه ؟ »

ثم اتجه إلى أسوار المدينة ، ولكن فينوس شملته وصحبه بضباب ، لكي لا يراهم ولا يسمعهم ولا يستطلع شأنهم رجل ، ثم رحلت إلى بافوس حيث قام هيكلها ، وحيث المحارب الكثيرة تصعد البخور .

وتابع الرجال مسيرهم مسرعين ، فصعدوا هضبة تطلّ على المدينة ، التي أدهشتهم رؤيتها ، فقد كانت بلدة عظيمة كبيرة حقاً ، ذات أبواب جبارة ، وشوارع تسير فيها الجموع وتحتشد . وكان منهم القائمون على بناية الأسوار والقلعة يدرجون لذلك الحجارة الضخمة بأيديهم . بينما عمد غيرهم إلى تخطيط أمكنة المنازل . وكانوا إلى ذلك يختارون من يرجع إليهم القول الفصل في المدينة ، ومن يعهد إليهم بحكمها . كما كان منهم من يحفر الموانئ ، ومن يبني أسس دار التمثيل ، ومن يقطع الأعمدة الحجرية الضخمة . فكانوا أشبه بالنحل الدائب الذي تحتشد صغار جموعه عند اقتراب الصيف ، منتشرة هنا وهناك ، أو كالعمال منه تكدّ في العمل بملء الخلايا بالعسل ، فيلقي بعضها أحمال الراجعين من الحقول ، ويقف بعضها لحراسة الفقير من الينعاسيب . أجل لقد كان شأن رجال صور شأن النحل الدائب المجدّ . وقد صرخ انياس عند رؤيتهم

قائلاً : « يا لسعادة اولئك الذين يجدون الآن مدينة
لإيوائهم ! » ولما كان لا يزال مختفياً وراء الضباب ،
فقد تقدم نحو الباب ، واختلط بالناس دون أن يشاهده
منهم أحد .

وقامت في وسط المدينة غابة كثيفة الأشجار متشابكتها .
حفر فيها رجال قرطجنة حين قدومهم إلى هذه الأرض
ليخرجوا رأس الجفیان ، الذي أخبرتهم جينو بأنه سيكون
لهم فالاً ، وان إيجادهم له يجعل مدينتهم جسارة في
الحرب ، مليئة بالثراء . وكانت ديدو تبني هنالك لجينو
هيكلًا رائعاً له عتبة من البرونز . ودرجات ترتقى للدخول ،
كما كانت قوائم الأبواب والبوابات من البرونز أيضاً ،
وهنا حدث ما ملأ انياس شجاعة وراحة . فقد وقف
يشاهد المكان ، وينتظر الملكة ، فرأى أن معارك طروادة
قد ادرجت رسومها بنظام على الأسوار . فهاك ابني اتريد ،
والملك فريام ، وأخيل الشرس . فقال ولم يكن قوله بغير
دموع : « هل هنالك يا اخات بلد لم تملأ بالامنا ؟
ألا ترى فريام ؟ ومع ذلك فإن للفضيلة هنا ثواباً ، ولآلام
البشر رحمة وعبرات . فلا تخش إذن شيئاً . فإن شهرة
هذه الأشياء ستفيدنا ولا ريب . »

وجد انياس في هذه الرسوم على الأسوار راحة لفؤاده ؛
فهذه مدينة طروادة ، وفي هذه الناحية من السهل يهرب
الإغريق ، يلاحقهم فتيان طروادة ، وفي تلك الناحية ، يهرب
الطرواديون ، يطاردهم أخيل بمركبته . ورأى خيام ديسوس
ملك ثراقة ، الذي قدم حديثاً إلى طروادة ، فقتله ذيو ميد الشرس
وهو نائم ، وساق جياده أمامه إلى المعسكر ، قبل أن
تأكل من حشائش سهول طروادة ، وتشرب من مياه
نهر زنتس . وهنالك رسم اطرويل ، وكان بش المُنازل
لأخيل العظيم ، وقد حملته جياده وهو ملقى على ظهره في
مركبته ، ولا يزال ممسكاً بالأعنة ، بينما جرجر عنقه
ورأسه على الأرض . وترك رأس رحله أثراً محفوراً في
التراب . وشاهد في ناحية أخرى نساء طروادة يقصدن
هيكل مينرفا متضرعات ، وهن يحملن ثوباً كبيراً بهياً ،
ويضربن صدورهن حزناً ، ويحلقن شعورهن ، ولكن الآلهة
لم تأبه بهن . وشاهد أخيل يجرجر جثة هكتور ثلاث مرات
حول أسوار طروادة ، وهو يبيعها بالذهب . وقد أن
انياس لرؤيته الرجل الذي خصه بالحب ، ورؤية فريام
العجوز باسطاً يديه لا عون له ولا حول . وتعرف إلى
نفسه مقاتلاً في وسط زعماء الإغريق . كما تعرف إلى ممنون

الأسود وجيوش الشرق . ورأى فانشيلي تقود جيش الأمازونيّات
بتروسهن الشبيهة بالقمر ، وكان منظرها وحشياً ، وقد
عرّت أحد ثدييها للقتال ، ومن تحته إكليل من الذهب .
وهي فتاة تجرّو على خوض المعارك مع الرجال جنباً إلى
جنب .

٨

ديدو

بينما كان انياس يشهد هذه الأمور ويعجب ، قدمت
ديدو يتبعها حشد كبير من الفتيان فكانت أجمل النساء
طُراً . لها حسن ديانا ، وهي تدبر الرقص
على ضفاف أوروطاس أو فوق هضاب سنثيوس ،
يواكبها ألف من حوريات الجبال . وقد ألقت على كتفها
جلداً ، وعلت الجميع قامة ، فكان منظرها داعياً لسرور
أمّها لاطونة ، وهي تنظر إليها بسكون . كان لديدو
جمالها ، ولها منظرها وهي تختال بإبهاء وشمم في الوسط ،
منهمكة في أعمال مملكتها . ثم جلست على عرش سامق عند
باب الهيكل ، ووقف من حولها عدد كثير من الرجال
المسلّحين . وقد وزّعت العمل في المدينة بالتساوي ، أو
قسمته بالقرعة .

وعلى حين غرة سمع انياس صخباً ، ورأى جماعة من الرجال يرودون المكان مسرعين ، وبينهم اثوس وسرجستوس وكلنثوس وغيرهم من رجال طروادة ، الذين فرقته عن الزوابع . فأفعمته رؤيتهم سروراً ، ولكنه لم يكن بدون وجل وخشية . وعلى شدة شوقه للهروع إليهم وإمساكهم بيديه ، فقد تمهل منتظراً أن يسمعهم يقصّون خبر رحيلهم وأين تركوا سفنهم ، وإلى أين يقصدون .

فتكلم الينوس ، وقد أعطي حق الكلام فقال : « أيتها الملكة التي منحها جوبيتر الإذن في بناء مدينة جديدة في هذه الأرض ، إننا نحن رجال طروادة ، الذي حملتهم الرياح فوق الكثير من البحار ، نضرع إليك أن تنقذي سفننا من النار ، وأن تحمي شعبنا الذي يخدم الأرباب . فإننا ، حقاً ، لم نقدم لتدمير مساكن هذه الأرض ، أو لنحمل سفننا الأسلاب . والحقيقة إن الذين يلاقون من الآلام ما لقينا ، لا يفكرون في أعمال كهذه . إن هنالك أرضاً يدعوها الاغريق هسبيريا ، وتدعى من قبل أهلها ايطاليا باسم زعيمهم . وهي أرض قديمة جبارة الأسلحة ، خصبة الغلال . وإلى هنالك كان إبحارنا عندما ثارت العاصفة ، فشئت سفننا ، ولم ينج منها إلا هذه البضعة التي ترين . وهل هنالك شعب تبلغ به الهمجية أن يرد عن شاطئه

رجال سفن محطمة ، وأن يصوّب نحوهم سلاحه ، محرّماً عليهم النزول ؟ ولكن إذا كنت لا تأبهين بالناس ، فحاذري الأرباب الذين لا ينسون فاعلي الخير ، ولا أولئك الذين يخطئون . وقد كان لنا ملك اسمه انياس ، لم يكن بين الرجال من يفوقه في طاعة الأرباب وخدمة الناس ، ولا من هو أعظم منه في الحرب ، ولو كان حياً حقاً لما خشينا أمراً ؛ لأنك لم تكوني لتندمي على مد يد العون إلينا . ولنا الى ذلك غيره من الصحاب مثل أستيس الصقليّ ، فتكرمي إذن بمنحنا مأوى لسفننا يحميها من الهواء ، وبجدوع جديدة من أشجار الغابات نزودها بها ، ونصنع المجاذيف نهيئها للعمل ، حتى إذا ما وجدنا ملكنا وصحبنا ، فقد نتمكن من الوصول الى أرض ايطاليا . أما إذا ما أدركته الوفاة ، ولم يعثر لابنه اسكانيوس على أثر ، فإنّ هنالك سكناً مهياً لنا في صقلية عند صديقنا أسستيس » .

فأجابت ديدو ، وقد اطرقت بعينيها إلى الأرض قائلة : « لا تخشوا يا رجال طروادة أمراً ، وإذا خيل إليكم أن في معاملتنا لكم شيئاً من الخشونة ، فاصفحوا عنا لأننا لم نقم بهذه الأرض إلا حديثاً ، ولذا وجبت علينا الحراسة ومراقبة شواطئنا . أما أعمال رجال طروادة في فنون القتال فن الذي يجهلها ؟ ولا يذهبن بك الظن إلى أننا هنا في

ليبيا فاترو القلوب ، أو أن بعدنا القصي عن العالم جعلنا على جهل بهذه الأمور ، وسواء أرغبت في الإبحار إلى ايطاليا أم فضلت الرجوع إلى صقلية عند الملك اسيتس ، فاعلم أنني مقدمة لك كل عون ومانحتك كل حماية . أما إذا شئت الإقامة في أرضنا هذه ، فإن هذه المدينة التي أنبها هي مدينتكم ، ولن أفرق بين طروادي وصوري . ولقد وددت لو أن ملككم كان هنا ! ولا ريب في أنني سأرسل في البحث عنه في كل أنحاء ليبيا ، فلعله تاه في إحدى الغابات أو في مدينة غريبة من هذه الأرض » .

ولما سمع انياس واخات ذلك نالها الفرح ، وودا لو ظهرا من بين الضباب ، وقال اخات : « ماذا ترى ؟ ها هم صحبك من الناجين ، وقد أنقذ من رأينا الأمواج تبتله بأمان أعيننا ، وكل الأمور تجري حسب قول أملك » .

وتشقق عنهما الضباب وهما يتكلمان ، وتقدم انياس رائعا بهي المنظر . وتقدم بوجهه وصدره ، وهو أشبه بإله ؛ فقد منحته أمه شعرا جميلا ، وأحاطته بنور الفتوة الأرجواني من حوله ، كما يحيط الصانع الماهر تحفة جميلة ، أو كما يحيط الفضة أو مرمر فيروس بالذهب . ثم كلم الملكة قائلاً : « ها أنا ذا انياس الطروادي الذي عنه تبحثين ، ولما أكد أنجو من مياه البحر . أما انت أيتها

الملكة ، فإن ما رأيناه منك من الرحمة لآلام طروادة التي لا توصف ، ومن طلبك إلينا مشاركتك في بلدك ووطنك ، ونحن قوم مشردون مساكين ، لا نملك شيئاً ، يجعلنا نضرع إلى الأرباب مكافأتك بما أنت أهل له . وإن اسمك ومجدك لباقيان ما بقيت الأنهار تجري نحو البحار ، وما بقيت الظلال تقع في تجاويف الهضاب ، وسأذكرهما في أي أرض ترسلين إليها مشيئة الأرباب » . ثم أعطى يده اليمنى إلى الينوس ، ويده اليسرى إلى سرغيتوس مرحباً بهما والسرور يملأ قلبه .

وقد لزمت ديدو الصمت مدة لساعها هذا ، ثم تكلمت قائلة : « أي طالع سوء هذا الذي جلب لك كل هذا العذاب ؟ وأي قوة تلك التي دفعتك إلى هذه الشواطيء المقفرة ؟ ولا أزال أذكر أياماً مضت ، حينما قدم صيدا شخص يدعى طفقيز ، وقد طلب العون من ميلوس لعله يجد له ملكاً ، بعد أن أقصي عن وطنه . وحدث أن أبا ميلوس كان قد منح قبرص حديثاً في ذلك الحين . وقد عرفت قصة طروادة ، منذ ذلك اليوم كما عرفت اسمك وأسماء زعماء الإغريق . وأذكر أن طفقيز كان يتكلم عن رجال طروادة بالإجلال والإكبار ذاكراً أنه هو ذاته

قد انحدر من الأرومة الطفقرية القديمة . فتعال الآن اذن إلى قصري ، فأنا أيضاً قد تهت مثلك طويلاً حتى وصلت إلى هذه الأرض ، وتأملت طويلاً ، فتعلمت كيف تكون نجدة المتألمين » .

وقادت إنياس إلى قصرها ، وارسلت إلى رجاله الذين في السفن مقداراً كبيراً من المؤن يحتوي على عشرين ثوراً ومائة خنزير أهدب ، ومائة نعجة مع صغارها . أما في القصر فقد أعدت مأدبة عظيمة ، فكانت هنالك الحشايا المكسوة بالنطريز الأرجواني ، والآنية الفضية التي لا عداد لها ، والكؤوس الذهبية التي نقشت عليها أعمال الرجال العظيمة في سالف الأيام .

وأرسل إنياس اخات في هذه الأثناء بسرعة إلى السفن، لكي يحضر اسكانيوس للمأدبة . وطلب إليه أن يجلب معه بعض الهدايا التي أنقذوها من أنقاض طروادة ، ومنها وشاح أثقل بتواشيح ذهبية ، ونقاب طرّزت حواشيه بأزهار الكنكر الصفراء ، وقد حملته معها هيلانة الجميلة عند هربها من بيتها ، وكانت أمها ليديا قد أهدته لها ، وكذلك صولجان كانت تحمله إليون كبرى بنات فريام ، وعقد من اللؤلؤ ، وتاج مزدوج من الجواهر والذهب .

ولكن قلب فينوس قد اضطرب على ابنها ، خشية أن يغدر به رجال صور ، كما هي عاداتهم ، وخشية أن تذكر جينو حقدًا عليه .

وبعد أن قلبت الرأي في نفسها ، دعت إليها الصبي المجتّح ، وهو ابنها الحبّ ، وقالت : « إنك يا ولدي كل ما أملك من قوة ، فأنت الهازيء بصواعق جوبيتر ، وأنت تعلم أن جينو حانقة على أخيك إنياس أشد الحنق ، وهي التي سببت له كل هذا المطاف في نواحي الأرض . إن ديدو قد أخذته اليوم إلى قصرها ، وكلّمته بجميل القول ، ولكنني أخاف عليه عواقب الأمور الخوف كله . فأصغّر لما أقترحه عليك . لقد أرسل أخوك الآن يطلب الغلام اسكانيوس ، ليأتي إلى القصر ويجلب معه الهدايا التي أنقذوها من خرائب طروادة . وسألني عليه الآن نوماً عميقاً ، وأخفيه في سيزدرا أو ايدا ليوم واحد ، أما أنت فاتخذ شكله لليلة واحدة فقط . وحينما تأخذك الملكة ديدو في المأدبة إلى حضنها أنفخ من نارك في قلبها خفية ...

وهكذا فعل الحب ما أمرته به أمه ، فخلع عنه جناحيه ، واتخذ شكل اسكانيوس . أما هذا فقد ألفت عليه فينوس نوماً عميقاً، وحملته إلى غابات ايدا ليوم واحد،

ولفته بالأزهار العطرة الشذا . وذهب الحب عوضاً عنه إلى الملكة يحمل الهدايا . وقاموا إلى المائدة عند قدومه ، وكانت تتوسطها الملكة ومن فوقها مظلة ، واثكأ انياس ورجال طروادة على فرش أرجوانية ، وقد أحضر لهم الندل الماء ، ووضعوا الخبز في سلال ، وقدموا لهم المناديل ، كما وقفت على خدمتهم خمسون جارية ، يملأن ما ينقص من طعام ، ويؤججن النيران ، وهناك مائة سواهن مع مائة غلام يثقلون الموائد بالصباح وكؤوس الشراب . ودعي إلى الوليمة الكثيرون من رجال صور ، وقد دهشوا لهدايا انياس كما دهشوا لرؤية اسكانيوس الزائف . أما الملكة فلم ترتو من النظر اليه ، ولم تكن تعلم ماذا يُهبأ لها من متاعب في الزمن القريب . أما هو فقد قبّل الأب الذي لم يكن أباه ، وتعلق بعنقه ، ثم قدم نفسه إلى الملكة ديدو ، التي كانت لا تنفك تتبعه بعينها بعد ذلك . وقد تحمله إلى حضنها أحياناً . وقد فعل هو ما أراد ، فجعلها تنسى سيخوس الميت ، وتضمر في قلبها حباً جديداً .

ولكنهم حينما انتهوا من الوليمة ، أحضر بعض الرجال كؤوساً عظيمة ، وضعوها على المائدة ، وأترعوها بالنبيذ .

ثم طلبت الملكة إناء من الذهب رُصّع بكثير من الجواهر ، وقد شرب منه بيلوس ، وكل الملوك بعد بيلوس ، وبعدما ملأته بالنبيذ قالت : « جوبيتر ! يا من تُدعى بإله الضيف والمضيف ، لجعل هذا اليوم يوم سرور لرجال طروادة ورجال صور ، لكي يذكره أبناؤنا من بعدنا إلى الأبد . وأنت يا باخوس ، يا مانح السرور كُن شاهداً ، واشهديه يا جينو العطوف » .

ولما مست النبيذ بشفتيها ، سلمت الكأس الكبيرة إلى الأمير بيتياس ، الذي جرع منها جرعة كبيرة ، وأخذها غيره من الأمراء من بعده . وغنّى ايوباس المنشد على قيثاره ، وقد علّمه أطلس ذاته الغناء ، فأنشد عن القمر ومسيره في مستقره ، وعن الشمس وكيف يظلم نورها . وغنّى عن الرجال ووحوش الفلاة ، من حيناً أنت ، وعن السماكين النيرين ، وعن الدب الأكبر ، والدب الأصغر ، وتوابع النجوم ، وعن شمس الشتاء وتعجلها الغطس في الأوقيانوس ، وعن ليالي الشتاء وبطئها الوثيد .

وقد تحدثت الملكة كثيراً عن قصة طروادة وعن فريام ، وهكتور ، وهي تسأل الأسئلة الكثيرة عن أسلحة ممنون ، وجياد ذيوميذ وعن أخيل وعظمته . ثم قالت لإنياس :

« قصّ علينا الآن قصة أخذ طروادة ، وتيهك فوق الأرض والبحار » . فأجاب انياس : « لقد طلبت إليّ أيتها الملكة أن أجدد آلاماً لا توصف . وإذا شئت مع ذلك أن تسمعي هذه الأمور فأصغي إليّ » . ثم قصّ عليها كل ما مرّ به حتى ذلك اليوم الذي توفي فيه أبوه أنخيس .

٩

حبّ ديدو وموتها

لقد تأثرت الملكة ديدو أشدّ التأثر بالقصة ، كما أعجبت براويها غاية الإعجاب ، ولم تكذّ تقدر على النوم لكثرة تفكيرها به . وكلمت أختها « أنا » في اليوم التالي قائلة : « لقد أزعجتني أحلام سوء هذه الليلة ، وأقلقّت فؤادي . وأيّ رجل يكون هذا الغريب الذي قدم شواطئنا ! أيّ طلعة نبيلة طلعت ! وأيّ جرأة في الحرب جرأته ! لا ريب عندي في أنه أحد أبناء الأرياب ! أي ثراء كان ثراؤه وأي حروب هذه التي حدثنا عنها ! ولو لم أكن قد صممت تصميماً قاطعاً على أن لا أقرن نفسي الى نير الزواج مرة أخرى ، لكان هو الرجل الذي أذعن له ، وأقول لك الحقيقة يا أختاه إنه الرجل الوحيد الذي حرّك قلبي منذ وفاة سيخوس بيد أخيه . ولكن لتبتلعي الأرض ، بل

ليضربني الخالق الجبار بصواعقه ، قبل ان انحط الى سفالة
كهذه فلان زوج أيام شبابي حمل معه غرامي وسيحتفظ
به في لحده .

قالت هذا ، وهي تبكي بكاء مُراً ، فأجابتها أختها:
« لم تضيعين شبابك في الآلام دون زوج أو ولد ؟ وهل
تظنين أن في اللحد من يذكر أو يهتم بهذه الأمور ؟ ولم
ينل أحد من الحُطّاب رضاك لا في صور ولا هنا ، فهل
تناضلين مني قلبك ؟ حباً به ، أذكري شراسة الأقوام
الذين تساكنين ، واذكري أخاك في صور وسوء عمله نحوك .
ولا ريب في أن قدوم سفن طروادة إلينا لم يكن إلا بمشيئة
الأرباب ، وإرادة جينو على الأخص . وهذه المدينة التي
بنيت ، أي عظمة ستبلغ إذا ما ارتبطت بأواصر وثيقة
كهذه ! وأي مجد عظيم ستناله قرطجنة ، إذا ما دعمتها
قوة طروادة ! ولا تعدّي الصلاة للأرباب وتقديم الضحايا ،
أما الآن ، وقد مضى زمن الإبحار ، فليكن لك العذر
على استبقاء هؤلاء الغرباء قليلاً » .

وهكذا روّحت أنا عن نفس أختها ، وشدت عزمها .
وبدأت الاثنان بتقديم الضحايا للأرباب ، ولجينو على
الأخص ، لأنها أكثرهم اهتماماً برابطة الزواج ، ودأبتا على
فحص أمعاء الحيوانات الذبيحة ، تبغيان بذلك معرفة

ما سيقع من أحداث . واصبحت ديدو منذ ذلك الحين
تصاحب إنياس إلى سور المدينة الذي تبنيه . وكثيراً ما
كانت تبدأ حديثها ، ثم تتوقف عنه ، والكلمات لا تزال
في منتصفها ، بل أتى عليها زمن كانت تجلس فيه إلى
مائدتها وتصغي إلى قصة طروادة تُقصّ وتعاد ، حتى كان
النوم يأخذ الحضور جميعاً ، وهي لا تمل الإصغاء . وكان
يخيل إليها ، إذا ما بعد إنياس عن ناظرها ، بأنها تراه
وتستمع إليه . وقد تعانق اسكانيوس حباً بأبيه ، وهي
تخادع في ذلك قلبها . ولكن العمل في المدينة كان يتأخر
في هذه الأثناء ، فلم تعد تتصاعد الأبراج في علوها ،
ولا يتمرّس الشباب في حمل السلاح .

ولما رأت جينو ما آل إليه حال الملكة كلمت فينوس
قائلة : « هل رضيت وابنتك بهذا النصر الذي نلناه معاً
بالتغلب على امرأة مفردة ؟ إنني أعلم جيداً خوفك من أن
قرطجنة قد تمس هذا الذي تخصينه بحبك بأي سوء . ولكز
لم يجب أن تقوم الحرب بيننا ؟ لقد كان لك ما تشائين ،
فلنعقد العهد ما بيننا . على أن تخضع ديدو لزوج فريجياني ،
وتخضر رجال صور صداقاً لها » .

ولكن فينوس كانت تعلم أنها ترمي من كلامها إلى
مقصد سوء ، ينتهي برجال طروادة إلى عدم تملكهم على

إيطاليا . ومع ذلك فقد جعلت لسانها يتصنع الخطاب ،
فقلت : « من هو الذي لا يفضل السلم معك على الحرب ؟
ولكنني أشك برضاء جويتر عن هذا الأمر . وعلم هذا
من شأنك ، فأنت زوجه ، وحيثما توجهين القيادة اتبعك » .

وهكذا تشاورت الاثنتان ونظمتا الامور على هذا المنوال .
فقد هيء موكب عظيم للصيد في اليوم التالي ، إذ لم تكد
تطل شمس على الأرض حتى كان شباب المدينة مجتمعاً
متروداً بالشباك ، ورماح الصيد وكلاب الأثر . ووقف
أمراء قرطجنة ينتظرون الملكة عند باب القصر ، حيث قام
جوادها يلوك لجامه ، وعليه سرج من الأرجوان والذهب .
وما هو إلا قليل حتى أقبلت يتبعها الكثيرون ، وقد اتشحت
بمعطف صيداني ، رقشت حواشيه بمختلف الألوان . وكانت
كنانتها من الذهب ، ومن الذهب كانت عقدة شعرها ،
ومنه مشبك معطفها . وكذلك قدم انياس يزهو بجمال رائع ،
وهو أشبه ما يكون بأفلون حينما ترك ليديا ، ومجرى
كزانتوس قادماً إلى دلوس ، وقد طوق شعره بإكليل من
ورق الغار ، وطوق من الذهب . ولما بلغ الصيادون
الهضاب ، وجدوا عدداً عظيماً من الماعز والأوعال . فجعلوا
يطاردونها ، وكان اسكانيوس أسبق الصحاب إلى الصيد ،

وأكثرهم هزوءاً به ، فقد كان يتمنى لقضاء خنزير بري
أو أسد يخرج اليه من بين التلال ليكون فريسة له .

ثم هبت عاصفة عظيمة ، قصف فيها الرعد ، وسقط
البرد ، فتفرق الصيادون يبحثون عن أمكنة يلودون بها .
وبقي انياس والملكة منفردين عن الصحاب ، فلجأ إلى
كهف واحد ، وهناك قطعاً ما بينهما عهداً . ولم تجعل
الملكة بعد ذلك من حبها سراً ، بل أصبحت تدعو انياس
زوجها .

وسرت الإشاعة حالاً في مدن ليبيا . والإشاعة كما يقال
هي أصغر بنات الأرض ، وهي مخلوقة عجيبة تتحرك
بسرعة عظيمة ، لها أرجل وأجنحة مكسوة بالريش ، وتحت
كل ريشة تقوم عين ولسان وفم وأذن . تطوي الليل طائفة
بين الأرض والسماء ، لا يأخذها نوم . أما في النهار فتتخذ
مجلسها فوق قمة منزل ، أو برج سامق ، أو إنها تنشر الرعب
على المدن الجبارة . وهي تحب الزائف محبتها للصادق النقي .
وقد سارت الآن تبث أنباءها في ليبيا ، وتقص قصة قدوم
إنياس الطروادي وزواج ديدو منه . وكيف يعيشان في دعة
وعدم مبالاة غير آبهين لما دعيا له من أعمال .

وكان أول من قصدهم هو الأمير يارباس الذي كان
قد تقدم إلى الزواج من ديدو . وقد بلغ منه السخط مبلغاً

عظيماً ، حينما سمع النبأ ، فذهب إلى هيكل جوبيتر يعرض أمام الإله ما لحقه من ضيم ، وكيف انه قدّم لديدو هذه مكاناً من سواحله ، راغباً في الزواج منها ، وكيف فضلت عليه رجلاً غريباً عن فريجياً ، وما هو إلا فارس آخر يرتدي من الملابس والحلي ما يليق بامرأة أكثر منه برجل .

ورأى جوبيتر أن ما يقوله كان حقاً ، فقال له لرسوله مركوري : « اذهب وخاطب انياس بهاته الكلمات : إن ملك الأرباب والناس يبلغك هذا القول : أهذا ما وعدت به أملك وهي تنقذك من رماح الإغريق مرتين ؟ وهل أنت ذاك الذي سيحكم إيطاليا ورجالها المحاربين الأشداء ؟ وتبسط ملكك إلى آخر المعمور ؟ وإذا نسيت كل هذا فهل تمنع ابنك قلاع روما ؟ وما مقامك هنا ؟ ولم لا تتجه نحو إيطاليا ؟ فابرح الآن ولا تتمهل » .

فأوثق مركوري خفيه المجنحين إلى قدميه ، وأخذ صولجانه الذي يسيّر به أرواح الموتى ، وسار تواءً إلى جبل الأطلس الذي يحمل السماء على رأسه ، فالضباب يلزم أعلاه والثلج يغطي كتفيه ، أما لحيته فقد قست من الجليد . وهناك وقف مركوري هنيهة ثم انقضّ كما ينقض طير يطلب فريسته في البحر ، حتى أتى انياس ، حيث أقام يزيتن مقبض سيفه حجر من الشهب ، ويلقي على كتفيه

عباءة وُشيت بالذهب ، فكلّمه قائلاً : « أتبني قرطجّة وتنسى عملك ؟ إن الخالق الجبار يبلغك هذا : ما هو قصدك ؟ وما تمهّلك هنا ؟ وإذا كنت لا تأبه لنفسك ففكّر بولدك ، وإن الأقدار منحته إيطاليا وروما » .

قال هذا ولم يعد انياس يراه ، فوقف مكانه وقد صعق رعباً وريبة . وودّ لو يطيع الصوت ويفعل ما تريده الأرباب . ولكن كيف يُبلغ الملكة قصده ؟ ثم تُخيل إليه أن من الخير أن يدعو إليه بعض الزعماء مثل منثوس وسرجاستوس وانثوس ، وطلب إليهم تجهيز السفن خفية ، وأن يعملوا على جمع القوم دون إظهار السبب ، في حين يرقب هو الوقت المناسب ليخاطب الملكة ويبسط لها الأمر .

ولكنّ ديدو لم تخدع ، لأن للحب نظرة ثابتة . وقد أبلغتها الشائعة أيضاً بأنهم يعدّون السفن للإبحار بها . فطارت تقطع المدينة كما يطير ليلاً فوق جبل سيدارون من يصيبه مسّ من باخوس ، حتى أتت انياس فخاطبتها قائلة : « أظننت أنك تُخفي جريمتك ، وأنت ستبرح المكان خلصة ؟ ألا يهملك أمرُ تلك التي ستركها للموت ؟ أو لا تخشى عواصف الشتاء التي يضطرب بها البحر ؟ وإذا كان لا يزال هنالك للتوبة مجال ، فتب وارجع عن قصدك ، بحق كل ما فعلته من أجلك ، وما قدّمته لك . فلقد تحملت في

سبيلك سخط أمراء ليبيا وغضب عشيرتي ، وإذا كنت
ستركني فما معنى العيش لي ؟ ! هل أعيش لكي يهدم أخي
مدينتي ، أو يحملني يارباس أسيرة ؟ ولو كان لي على
الأقل انياس صغير ، يلعب في أبهائي لما شعرت أنني
مهجورة بهذا المقدار .

ولكن انياس خشي كلمات جوبيتر ، فنظر إليها بعين
لا تلين ، حتى تكلم أخيراً ، فقال : « إنني لا أنكر
أيتها الملكة ما قدمته لي من خير ، ولن أنسى ديدو ما
حييت ، ولم أقصد الى الهرب بالخفاء ، على أنني لم أعِدْ
بسكني هذا المكان . ولو كان لي أن أختار ، وأن أتبع
رغباتي لأعدت بناء طروادة حيثما كانت قائمة . ولكن أمر
الأرباب أتاني بوجوب السعي الى ايطاليا ، ولك انت
قرطجنة ، فلم تحقدين علينا من أجل ايطاليا ؟ أما تمهلنا
بالسفر ؟ فكيف أقدر عليه وأنا أرى أنخيس أبي يأتيني ،
وينذرني في المنام ليلة بعد ليلة ، عدا عن أن جوبيتر قد
بعث إليّ رسوله - وقد سمعته بأذنيّ هاتين - وهو يأمرني
بالرحيل . »

فتقدمت ديدو نحوه ، وقد تملكها غضب شديد ، ونظرت
إليه شزراً ، وهي تقول : « لا ريب في أن أملك لم تكن
ربة ، ولا انحدرت من نسل دردنوس ، بل أنسلت

صخور القوقاز ، وأرضعتك نمرة هرقانية . ولم أخادع
وأراي ؟ هل تحرك هو أبداً لدموعي أسفكها ؟ وهل رثي
لحي أبذه ؟ لا بل إن الأرباب نفسها لتتألب عليّ ؟
فقد اخترت لنفسي هذا الرجل ، بعد أن تحطمت به سفينته ،
وأشرف على الهلاك ، وقد أعدت سفنه وصحابه ، وأنقذتهم
من الدمار . وها هو رسول جوبيتر لا ريب فيه ، يحمل
إليّ من الأرباب أوامر مريعة . أما أنت فلن تحاول
الاحتفاظ بك ، فاذهب وابحث عن ايطاليا هذه عبر البحر ،
وإذا كان هنالك ثار في السماء ، فستدفع العقاب على
ما قدمت يدك من سوء ، فتهلك على أحد الصخور في
أغوار البحر ، وعبثاً ستنادي ديدو عند ذاك ، وسيلاحقك
ظلي حيثما كنت ، ويتملكني السرور هنا حيث أقيم عند
سماعي لأخبار هلاكك . »

وعادت أدراجها مسرعة نحو المنزل . ولكنها فقدت
وعياها ، فحملتها وصيفاتها إلى مخدعها وأضجعنها في فراشها .

وقد اضطرب قلب انياس أيما اضطراب ، وود لو قدر
على تعزية الملكة ، ولكنه مع ذلك خضع للكلمة الساوية ،
وبرح المكان إلى سفنه . وعكف رجال طروادة على إعداد
أنفسهم للسفر . وكما يحتشد النمل ويكدح في سلب كومة
كبيرة من الحب يدخرها في مساكنه استعداداً للشتاء ،

فيؤلف خطأً أسود طويلاً يتحرك في الحقل ، بعضه يحمل الحب الكبير ، والبعض الآخر يعمل على تأنيب المتوانين ، هكذا احتشد الطروداديون في مختلف السبل يجدّون في عملهم مثابرين .

ولما رأت ديدو ذلك ، دعت أختها أنا إليها ، وقالت : « أترين كيف يسرعون إلى عملهم عند الشاطئ ؟ لقد أصبحوا على استعداد تام للإبحار ينتظرون اتجاه الريح . وقد زين البحارون السفن بأكاليل من الزهر ، كأنهم مبحرون ، فاذهبي الآن - انتِ التي كان المخادع يثق بك على الدوام ، وأنت التي تعلمين أفضل السبل لإلانته - إذهبي وتوسلي إليه ، فإنني لم أسئ إليه ، ولا أسأت إلى قومه ، فليمنحني إذن هذه المنحة فقط . وهي ان ينتظر قليلاً ، ويختار لسفره فرصة أكثر ملاءمة من هذه . ولا أطلب إليه أن يتحول عن مقصده . بل أن يهني وقتاً أتمالك به روعي ، واتعود فيه احتمال هذا العذاب » .

فأصغت أنا إلى أختها ، وحملت الرسالة إلى انياس ، ولم تفد شيئاً ؛ لأن الأرباب اغلقت أذنيه دون سماعها . وكما تصمد شجرة السنديان أمام الريح الشمالية التي تحاول اقتلاعها - وقد تناثرت الأوراق من حولها ، ولكنها ما تزال

راسخة تمتد جذورها إلى أعماق الأرض ، وترتفع فروعها إلى السماء - هكذا صمد انياس ، ولم تحوله عن قصده الدموع الغزيرة التي سفحتها .

وقد ملّت ديدو حياتها ، فقد كان الماء القراح يصبح أسود إذا ما قامت لتقديم القرابين ، كما كان النبيذ يتحول إلى دماء ، وكانت تسمع من المزار ، الذي أقامته لزوجها في وسط القصر ، صوتاً يناديها كما كانت البوم تصرخ من أعالي المنزل . وكانت ترى انياس الجائر في أحلامها وكأنه يسوقها أمامه ، أو يخيل إليها أنها تقطع المسافات الطويلة وحيدة لا رفيق لها ولا أنيس ، وهي تبحث عن قومها في صحراء خاوية . وقد خاطبت أختها وهي تخفي ما في قلبها قائلة : « لقد اهديت إلى وسيلةٍ ترجعه إليّ يا اختاه أو تحررني من قيده . فإن هنالك عند شاطئ البحر العظيم ، حيث يسكن الأثيوبيون ، كاهنة تحرس هيكل بنات هسفوروس ، وتطعم التنانين الحافظة للتفاحات الذهبية . وهي قادرة بفعل سحرها على تفريج الهموم عن القلب ، أو إثاق رباطه . كما ان بقدرتها إيقاف مجاري الأنهار وتغيير مساري النجوم ، ودعوة أرواح الموتى . فاعمدي الآن اذن - لأن هذه أوامر الكاهنة - إلى تكديس ركام

في الفِئله المكشوف من الدار ، وضعي عليه السيف الذي تركه معلقاً في غرفتنا ، والثياب التي كان يرتديها ، والمتكأ الذي كان يضطجع عليه ، وكل ما كان يخصه ، لكي تُباد جميعها معاً .

ولما هُيئت جميع ذلك - وقد كانت أنا تجهل مقصد أختها - ووضعت فوق الركام صورة انياس ، وقفت الكاهنة محلولة الشعر ، ودعت الأرباب ساكني العالم السفلي ، وهي ترش الركام بالمياه ، قائلة : إنه جلب من بحيرة افرنوس ، وتنثر الأعشاب الضارة قائلة : إنها قطعت عندما نام القمر بمنجل من البرونز . وتركت ديدو إحدى قدميها حافية ، وفكت ثيابها ، والقت بالطعام إلى النار ، ثم دعت الأرباب علّ هنالك رباً ينظر إلى أولئك الذين يحبون ويعانون الإساءة .

وكان انياس في هذه الأثناء يرقد عند مؤخر سفينته ، فظهر له الإله مركوري في الحلم ، وكان في الحالة التي رآه عليها عند قدومه إليه يحمل أوامر جوبيتر . فتكلم مركوري قائلاً : « هل تقدر على النوم يا ابن فينوس ؟ ألا ترى ما يحيق بك من الهلاك ، إن الملكة تقصد بك شراً ، وإذا أقمت متمهلاً إلى الصباح ، فسرى أن الشاطئ

قد ملئ بأولئك الذين يتمنون لك الأذى ، فاهرب إذن ، ولا تتأخر ، لأن المرأة كل يوم في شأن . فاستيقظ انياس من نومه فزعاً ، ونادى صحبه قائلاً : قوموا واجلسوا إلى مقاعدكم ، وأرخوا الشراع ، فإن الذي يطلب إلينا الهرب إله ، وقطع حبل المرساة بسيفه ، وهو يتكلم وأسرع الجميع يتبعونه ، ويمخرون البحر معجلين .

وكان قد حلّ الصباح ، حينما نظرت الملكة ديدو من برج المراقبة ، فرأت السفن تسير في البحر . فدقت صدرها ، وقطعت شعرها ، وصاحت قائلة : « أهكذا يسخر بنا هذا الغريب ؟ فلنسرع لاتباعه ولنأت بالسفن من أحواضها ، ولنهيء السيف والنار . فإن هذا الرجل هو ذاته الذي حمل أباه العجوز على كتفيه ! فلم لم أمزقه قطعاً وأذبح صحبه بالسيف ، وأقدم اسكانيوس الصغير له طعاماً ؟ وما يهمني لو هلكت حينذاك ، إنني لمائة اليوم . فيا أيتها الشمس ، يا من ترين الأرض جميعها ، ويا جينو ، يا حافظة المواثيق الزوجية ، ويا هيكات يا ملكة الموتى ، وأنتن يا ربات الانتقام اللواتي تثارن من فاعلي الشر ، أصغين إليّ . إذا كان أمر الأرباب بأن يبلغ تلك الأرض ، فامنحنه أن يلقي شتى أنواع العذاب من أعدائه ، وأن يشتت من بلده ، فيطلب العون من الغرباء ، وأن يرى

قومه يُذبَحون بالحسام دون شفقة ، وحينما يستتبّ له الأمن بأسوأ الظروف ، فليحرم من نعيم الملك طويلاً ، وليمت قبل يومه ، فيبقى ملقى في السهل من غير دفن . وأنتم يا رجال طروادة ! إكروهوا أولاده وقومه إلى الأبد ، وليُمنح الحب والسلام بينكم وبينهم ، وليقم من قبري منتقم يضطهد نسل دردنوس بالنار والسيف ، لكي تبقى الحرب بيني وبينه مستعرة إلى الأبد » .

ثم خاطبت برسة العجوز التي حضنت زوجها سيخوس قائلة : « أطلبي الى أختي أن تغتسل بالماء ، وتحضر معها الماشية للذبح ، وضعي إكليلاً حول رأسك ، فإنّ نيتي متجهة إلى انهاء تقديم هذا القربان الذي بدأته لإحراق صورة رجل طروادة » .

ولما أسرع العجوز لتلبية ما أمرت به ، ركضت الملكة ديدو ، إلى الفناء ، حيث أقيم الركّام للحرق فصعدته ، وسلّت سيف انياس من غمده ورمت نفسها على الفراش قائلة : « إنني أسلم الآن روحي ، وقد أنهيت عملي ، فبنيت مدينة جبارة ، وانتقمّت لزوجي من قاتله ، ولو لم تأتِ سفن الطراوديين إلينا ، لسعدت بل لتمت لي السعادة » . ثم قبّلت الفراش ، وأجهشت قائلة : « هل أموت من غير أن يُثار لي ؟ ومع ذلك فلاُمت ، وسيشاهد

رجل طروادة هذه النار من البحر الذي يمحّره فيحمل معه شؤم الموت » .

ورأتها الوصيفات ، ويا لهول ما رأين ! لقد ألقت بنفسها على السيف ، واصطبغت يداها بالدماء ، وتجاوب الصراخ في أنحاء القصر ، وكان صراخاً مريراً ، يخيل معه أنّ الأعداء استولوا على قرطاجنة ، أو صور القديمة ، وأن النيران تصاعدت فنالت مساكن الناس والأرباب . وسمعت أختها أنّها هذا ، فأسّرت في وسط الجمع تناديه باسمها وتقول : « أهذه كانت غايتك يا أختاه ! ألهذا كان الحسام والركام والنيران ؟ ولمّ لم تُتيح لي الموت معك ؟ ولا ريب في أنك قد انتحرت يا أختاه ، ونحرت معك أختك وقومك وبلدك . ولكن إليّ أيتها الوصيفات بالماء لنغسل جراحها ، ولعلّ هنالك شيء من الرّمق نقدر على الإبقاء عليه » .

ثم صعدت الرّكّام ، وأخذت أختها بين ذراعيها ، وجربّت أن ترقأ دماءها بملابسها ، وقد جاهدت ديدو ثلاثاً لتفتح عينيها ، ولكنها عادت ثلاثاً إلى إغمائها . وثلاثاً اعتمدت على مرفقيها للنهوض ، وعادت ثلاثاً إلى الوقوع في فراشها ، وهي تنظر إلى النور بعينين دهمشتين وتئن متبرمة بأنها لا تزال تراه .

ورأت جينو من أعالي السماء ما تعانيه ديدو من الألم الطويل ، فرأفت بها وبعثت اليها برسولتها ايريس ، لتحرر هذه الروح التي تكافح للانطلاق . فإن الملكة فرسفين التي رأت أنها لا تموت موتاً طبيعياً ولا بيد انسان ولكنها تموت قبل أوانها بوحى من جنونها ، لم تقطع لها تلك الحليقة التي تقطعها عادة من رؤوس أولئك الذين يموتون . وعليه فقد هبطت إيريس بأجنحتها الندية من السماء ، وقد أحيطت بمختلف الألوان من نور الشمس ، فوقفت عند رأسها ، وقالت : « إنني أسلمك الى الموت كما أمرت ، وأحررك من جسدك » . ثم قطعت الطوقَ فأسلمت الملكة ديدو الروح .

١٠

مباريات مأتم النخيس

لقد بعد الآن انياس ورجال طروادة عن الأرض . ولكنهم حينما التفتوا وراءهم ، شاهدوا نوراً عظيماً لم يعلموا له تأويلاً ، ولكنهم خشوا أن ينزل بهم شر ، وهم يعلمون شدة الغضب الذي تحمله لهم ديدو في قلبها ، ويعلمون ما تقدر عليه المرأة عندما تثور ثائرتها . والحقيقة هي ان قوم ديدو كانوا يحرقون جثتها على الركام الذي هيأته بنفسها .

ولكن ها هي السماء تظلم فوق رؤوسهم ، وها هي الدلائل تنذر بعاصفة عظيمة . وصرخ فالينوروس ربّان السفينة، وقد اتخذ مجلسه في مؤخرتها ممسكاً الدفة بيده، وقال :

« ماذا تعني هذه الغيوم ، وماذا أنت فاعل يا أبا الخلق نبتون ؟ » ثم طلب إلى الرجال إخلاء السطوح ، وإعداد المجاذيف للعمل ، وأن يدعوا الشرع للهواء . ثم خاطب انياس فقال : « قد لا يكون لنا أمل ببلوغ ايطاليا في حالة الجو هذه ، ولو كان الوعد فيها قد أتى من قبل جوبيتر ذاته . ولكن إذا لم تخنني الذاكرة ، فإن شواطئ صقلية قريبة ، فلنول وجهنا شطرها » .

فأجاب انياس : « فلنفعل ؛ لأنني أرى أن الرياح تعاندنا . والحق ان ليس من أرض يسرني الذهاب إليها أكثر من صقلية ، وقد دفن فيها أبي أنخيس » .

ثم حولوا اتجاههم ، وتركوا سفنهم تجري أمام الريح ، حتى بلغوا أرض صقلية بأقصى سرعة ، وكان اسستيس ملكها ابن امرأة طروادية ، وما إن رآهم من أعالي هضبة حتى أتى للقائهم ، وقد ألقى على كتفيه جلد أسد ، وحمل بيده نشابة ، وأنعشهم بالطعام والشراب .

وفي فجر اليوم التالي ، دعا انياس إليه رجال طروادة ، وتكلم في جمعهم قائلاً : « لقد مضى عام كامل على دفننا لأبي في هذه الأرض . وإذا لم أخطئ ، فقد كان هذا النهار بعينه . وعليه فإنني راغب في تقديسه والاحتفال به . وقد كنت سأقوم بذلك حقاً ، ولو كنت جوّابة في

مجاهل افريقيا ، أو محجوزاً في مسينا ذاتها . أما الآن ونحن في هذه الأرض الصديقة . فلنحرص على التزام الخشوع والوقار في هذا النهار . ولنأخذ على أنفسنا عهداً بأننا سنحافظ على إحياء هذا اليوم من كل عام في أرض ايطاليا ، إذا ما يسرت لنا الريح الرخاء بلوغها . وقد أعطانا الملك اسستيس ثيراناً خص منها كل سفينة بشورين ، فاغتبطوا وامرحوا . وإذا ما حل اليوم التاسع رائقاً جميلاً ، فإنني أود إقامة المباريات في الركض ، ورمي النشاب والصيد بالقوس والملاكمة وما إليها . وهلموا بنا الآن إلى إعداد التضحية » .

ثم وضع على رأسه إكليلاً من رباحين أمه ، وحذا العجوز اسستيس حذوه ، وكذلك فعل اسكانيوس والآخرون . وتقدم إلى قبر أبيه ، وأراق عليه كأسين من النبيذ ، ومثلها من اللبن الطازج ، ونثر الأزهار ، وقال : « سلام عليك يا أبي . يا من لم تسمح الأرباب بدخولك معي إلى أرض ايطاليا » .

وبينما هو يتكلم ، ظهر ثعبان من أعماق القبر ، وقد التف سبع طيات ، ورقط جسمه بالأزرق ولون الذهب وبألوان متعددة كقوس قزح بين الغيوم . وتوقف انياس دهشاً ! ولكن ها هو الثعبان يمر بين المذبح ، ويتذوق

من الضحية ، ومما أريق فوق القبر . وارتاب انياس في
تعليل ما حدث ، فقام بتضحية جديدة ، وقدم ثورين
وخنزيرين ، ثم ثورين أسودين وهو ينادي روح انخيس .
وأحضر رجال طروادة عطاياهم ، وذبحوا الثيران للتضحية ،
ثم أقاموا وليمتهم يشوون اللحوم بالنار .

وحل اليوم التاسع وقد راقت السماء . وكان احتشاد
الناس عظيماً ؛ لأن الملك اسستيس كان يتمتع بشهرة فائقة
في هذه الأرض ، كما أن الكثيرين جاءوا لرؤية رجال
طروادة . وجاء آخرون للاشتراك في المباريات . ووضعوا
الجوائز أولاً في الوسط ، وفيها موائد للتضحية ذوات أرجل
ثلاث ، وتيجان ، وسعف النخل ، وأسلحة وثياب
أرجوانية ، وزينات من الفضة والذهب . ثم نفخ بالبوق
لدعوة القوم للاجتماع .

فبدأوا بسباق السفن ، وتقدم للمباراة فيه أربع منها ،
فقاد منثوس حصان البحر ، وقاد جياس الحميرة ، وقام
سرغتهوس بقيادة القنطروس . أما كلنثوس فكان على قيادة
سيلا . وهنالك في وسط اليم قامت صخرة ، كان الموج
يلفها عند هياج البحر وترتفع من فوقه عند سكونه .
وكان يحلو لغربان البحر أن تجثم فوقها طلباً للدفع . وعلى

هذه الصخرة وضع انياس شجيرة من السنديان لتكون
للمتبارين هدفاً على ان تدور السفن حولها ثم ترتد عائدة .
وبدأوا برمي القداح لتعين الأمكنة . ثم انتصب كل ربان
في مؤخرة سفينته ، وقد اكتسوا الأرجوان والذهب . اما
المجدفون فقد ضفروا أكاليل الشرف حول رؤوسهم ،
وتطيبوا بالزيت ، واتخذوا مقاعدهم وأمسكوا بالمجاديف
ينتظرون الإشارة ، وقد خفقت قلوبهم أملاً . ولما أعلن
البوق إشارة البدء ، وثبت كل سفينة من مكانها ، وأرغى
البحر من كثرة ضربات المجاذيف ، وتعالى هتاف القوم تحمساً
لهذا أو لذلك من الربانة . وجاء جياس أولاً على الحميرة ،
يتبعه كلنثوس على سيلا ؛ لأن رجاله كانوا أقوى الرجال
حقاً ، ولكن سفينته كانت أثقل السفن ، وحصان البحر
والقنطروس تتساويان سرعة بعد سيلا وتتنازعان السبق ، فرة
يكون لهذه وأخرى لتلك .

ولما اقتربوا من الصخرة كان جياس أول المتبارين
فصرخ على مدير دفته مينوتيس قائلاً : « لم تنحرف إلى
اليمن بهذا المقدار ؟ داوم على محاذاة الصخرة وليختر غيرك
البحر إذا شاء » . ولكن مينوتيس كان يخشى الصخور
الخفية فحوّل مَرَّيحَةَ السفينة نحو البحر . وصرخ جياس

ثانية يقول : « اتجه نحو الصخرة يا مينوتيس » . وبينما هو يقول هذا ، اقتربت سيلاً وسلكت السبيل فيما بين سفينته وبين الصخرة متقدمة عليه . فأخذه الحلق الشديد وبكى غيضاً ، ثم قبض على مينوتيس وألقاه في البحر . وأخذ الدفة بيده ، وحوّلتها نحو الصخرة . أما مينوتيس فإن تقدمه بالسفن وثقل ثيابه لم يمكنه من بلوغ الصخرة والجلوس فوقها ، إلا بكل مشقة وعناء ، وضجّ الرجال ضاحكين حيناً رأوه ملقى في البحر ، وهو يحاول السياحة ويمجّ الملح من فمه . ولكن منثوس على حصان البحر وسرغستوس على القنطروس لم يريا ما حدث حتى أملاً بسبق الحميرة في المباراة . وكدح الاثنان جادين ، وركض منثوس بين رجاله المجذفين ، وهو يرى أن القنطروس ما زالت أمامه في السباق ، وخاطبهم قائلاً : « أيها الرفاق الذين اخترتهم لصحبتى ، كونوا رجالاً كما كنتم فوق بحار افريقيا وأمواج ايونيا . وأنا لا أطلب المقام الأول ولكنني لن أكون الآخر » . فكّد رجاله بكل ما لهم من قوة ، وهم ينحنون إلى الأمام مع ضربات المجاذيف . فأسعفهم الحظ بما أمّلتوا ؛ لأن القنطروس ، وقد جعلت سيرها بمحاذاة الصخرة ، ارتطمت بجزء ناتئ منها فكسرت مجاذيفها ، واصطدمت مرئحتها اصطداماً شديداً . وبينما كان رجاله

يدفعونها بالعمد وما أشبه ذلك تقدّم منثوس بحصان البحر وأدرك المجال مفتوحاً أمامه ، وكان قد انتصر أولاً على جياس والحميرة بعد أن رأى أنها فقدت مدير دفتها . ولم يبق أمامه الآن إلا كلنثوس في سيلاً ، فاشتدت عليه منافسته ، وعلا صراخ القوم يدعون منثوس إلى السرعة ليكون المجلّي . وتنافس رجال السفينتين ، فعزّ على اولئك أن يخسروا ما ربحوه ، وجدّد هؤلاء يؤملون الزيادة من الانتصار ، وقد ودوا لو يضحّون الحياة في سبيله . وكادت السفينتان تتساويان في نيل السبق ، ولكن كلنثوس بسط يديه نحو البحر ، ودعا الآلهة ذوي السلطان فيه ، قائلاً : « يا آلهة البحر الذي عليه الآن مسيري ، أعينوني ، وإذا ما فعلتم ، فإننى سأضحّي عند مذبحكم بثور أبيض كاللبن ، وأرمي بأحشائه إلى الموج ، وأريق عنده نبيذاً رائقاً صافياً » . فسمعتة من بنات البحر العصبية جميعاً ، فأتت فانوبي العذراء ، وفورتيمنوس ذاته بيده الجبارة ، وقادا السفينة إلى الامام وهي تفوق بسرعتها الريح الجنوبية ، أو النبل رُمي عن القوس . فكانت أول من لامس الشاطئ . فجهر أحد الدعاة معلناً بأن سيلاً وعليها كلنثوس كانت المجلّي في السباق . وعقد أكليلاً من الغار حول رأسه ، وقدم

انياس للجذآفين ثلاثة ثيران ودنّيس من النبيذ ووزنة من
الفضة . وقدم للربابنة عطايا ، فخص الأول بوشاح وشي
بالذهب ، وضوعفت حواشيه الأرجوانية ، وطرزت عليه
صورة الصبي الملوكي غانيميد ، وهو يصطاد في جبل إيذا ،
وقد بدت حماسته كمن يلهث مطارداً صيده ، ولكن النسر
حمله في الجانب الآخر ، فبسط حراسه المستنون أيديهم ،
وأرسلت الكلاب نباحها عنيفاً نحو السماء . وقدم انياس للثاني
درعا من الزرد ذا حلقات ذهبية كان قد سلبه هو من
ديموليون عند نهر سيمويس وكاد اثنان من الخدم ينوءان
بحمله لثقله . ومع ذلك فإن ديموليون كان يرتديه ، وهو
يطارد رجال طروادة راكضاً بأقصى سرعته ، وكانت
الجائزة الثالثة مرجلين من البرونز وكؤوساً فضية تسنمتها
النقوش . ولما تفرق الجميع فرحين بهداياهم ، قدم
سرغستوس يزحف بفلكه التي لم يتمكن من انقاذها من
الصخور إلا بشقّ الأنفس فلم تعد صالحة للعمل ، وبقي له
صف واحد من المجذفين ، كان أشبه بثعبان تدوسه في
الطريق عجلة ، فيرفع مقدّمه متوعداً ، أما مؤخره فيجرجر
على الأرض . هكذا عاد سرغستوس إلى الميناء . ولما
رأى انياس أنه عاد بالسفينة والنوتية ، قدّم له أيضاً

جائزة هي امرأة كريتيّة تدعى فولوي ، برعت في العمل
على النول .

وانتقى انياس لنفسه بعد ذلك مكاناً من الأرض سوياً ،
تكتنفه الغابات ، فجلس على عرش في وسطه ، وأعلن
أن على الراغبين في المباراة بالركض المجيء إليه . فجاءه
الكثيرون من الطرواديين والصقليين . وكان أوريالوس أول
القادمين ، وهو فتى ظريف ومعه نيسوس (وكان بين
هذين حب عظيم) ، وجاء بعده ديورس وهو من بيت
فريام . ثم ساليوس وفاترون وكلاهما من الإغريق . ثم
صائدان فتيان هما هليموس وفانوبيس وهما صقليّان من
بلاط اسستيس ، وجاء غير هؤلاء كثيرون . فخاطبهم
انياس قائلاً : « إنني سأقدم لكل من المتبارين نبالاً
كريتيّة ، وفأساً زينت بالفضة ، لكي لا يبقى منهم واحد
بدون عطاء . وسيكون للثلاثة الأولين أكاليل من الزيتون .
وسأقدم للمجلي حصاناً بكامل عدته ، وللمصلي جعبة
على طراز الأمازونيّات ونبالاً من تراقية . وقد حبكت
الجعبة بحزام نقش بالذهب ، وشبكت بحلية من الجواهر .
أما الثالث فليأخذ هذه الخوذة الإغريقية ويسر بها » .

ولما جعلوا صفّاً اعطيت الإشارة بالركض ، فبدأوا

به . وتقاربوا جميعاً مدة من الزمن . ثم سبق نيسوس الجميع ، وجاء بعده ساليوس ، ولكن المسافة بينهما كانت عظيمة . وكان الثالث اورياالوس وبعده هليموس يزاحمه ديورس مزاحمة شديدة ، جعلته يميل فوق كتفه ، ويكاد يتقدمه لو طال أمد السباق قليلاً . وكادوا يبلغون نهاية الشوط حينما زلت قدم نيسوس بدم ثور ، كان قد ذبح في ذلك المكان ، ولم يقدر على تثبيت قدميه ، فوقع وقد لوث بالوخل والدماء . ولكنه مع ذلك لم ينس حبيبه اورياالوس ، فنهض عن الأرض وتثبت بساليوس لكي يتدحرج أيضاً على الأرض . وعلى هذا بلغ اورياالوس الهدف أولاً يتبعه هليموس ثالثهما ديورس . ولكن ساليوس جهر بالشكوى إلى الجمع كله ، الكبير فيهم والصغير ، قائلاً إنه غلب بالخدعة ، على أن القوم فضلوا اورياالوس لجمال منظره ، فقد كان الجمال أبداً داعية للفضيلة . وقد لج ديورس يستعجل الأمر لأنه لولا ذلك لما نال الجائزة الثالثة . ثم قال الأب انياس : « إنني لن احدث أي تغيير في الأمر . فان ترتيب الجوائز سيأتي بحسب بلوغ المتبارين الهدف . ومع ذلك فإنني لأشفق على اولئك المتألمين باطلاً » . وهكذا أعطى ساليوس جلد الأسد الافريقي العظيم بشعره الكث ومخالبه المحلاة بالذهب . فقال نيسوس : « إذا ما

اعطيت جوائز كهذه للمغلوبين واخذتك الرحمة بالساقطين ، فماذا تركت لي ؟ ولا شك في أنني كدت أنال الجائزة الاولى لولا سوء الحظ الذي شكاه منه ساليوس أيضاً » .
ثم أراهم وجهه وجسمه الملوث بالوخل ، فضحك الأمير العطوف ، وأعطاه مجناً من صنع ديديمون .

مباريات مآتم النخيس (بقية)

ثم قدم انياس عطاياه للمتلاكمين ، فأعطى الغالب ثوراً
مذهب القرنين ، ووهب المغلوب سيفاً وخوذة . فهب
داريس الضخم فوراً ، وهو الذي جرؤ أن يكون في
عداد المتبارين ضد الأمير فاريس ، وقهر بوتيس في مباريات
مآتم هكتور ، واشتد في ايذائه حتى أسلم الروح (وبوتيس
هذا كان من نسل أميكوس الملاك العظيم ، الذي ذبحه
فولكس ، ولم يقف في وجهه ملاكم) . ولما رأى القوم
منكبيه العريضين ، وشاهدوا جبروته ، لم يتقدم لمنازلته
منهم أحد . ولذا تقدم داريس من انياس واضعاً يده
اليمنى على قرني الثور ، وتكلم قائلاً : « إذا لم يكن

هنالك رجل يتقدم لمباراتي فلم انتظاري ؟ ألا فاطلب اليهم
احضار الجائزة » . والتفت اسيسيتس نحو أنتيلوس الذي
افترش الحشائش بجانبه ، وقرعاً عنه قائلاً : « هل ترضى
بأن تسلب عطايا كهذه دون أن يبدو منك أي اعتراض ؟
فأين أستاذك اريكس ؟ وأين شهرتك التي اجتاحت أرض
صقلية ، وتلك الغنائم المدلاة في بيتك ؟ »

فأجاب أنتيلوس : « لا تظن يا اسيسيتس أن بي
رعباً ، أو أنني لا أقيم للشرف وزناً ، ولكنني بلغت الكبر ،
وفارقتني قواي ، ولو كنت فتياً كهذا المتبجح الواقف
هناك ، لما تريثت بانتظار الجوائز بينما كان عليّ أن اتقدم
للقتال » .

عندها رمى في وسط الجمع قفازين عظيمين ، كان
يرتديهما اريكس الملاك الجبار ، وقد أعجب الرجال
برؤيتهما ، لما هما عليه من ضخامة ولما أثقلها من جلد ثور
ورصاص وحديد . اما داريس فوقف دهشاً إذ ليس بمقدوره
أن يتعرض لسلاح كهذا . ولما رآهما انياس وخبر ثقلها
تكلم أنتيلوس وقال : « ماذا كان يقول رجل طروادي
لو رأى قفازي هرقل ذاته ، ورأى المعركة الفظيعة التي
نشبت على هذا الساحل بالذات ؟ وهذان القفازان هما اللذان
كان يرتديهما اريكس ابن اقي : وانك لتراهما ملطخين

بالدم والنخاع ، وقد كنت أرتديهما في أيام شبابي . ولكن
إذا لم يروقا لدائيس ، فله ما يريد فسأطرحهما جانباً ،
وليفعل هو بقفازيه ما فعلت » .

ثم ألقى رداءه عن كتفيه ، فظهرت ذراعاها القويتان وعضلاته ،
وأعطاها انياس أقفزة مماثلة ، فوقفا وقد مالا برأسيهما الى
الوراء وبدأا المعركة . وكان دائيس حقاً أسرع حركة
ونشطاً وفتياً ، وكان أنتيلوس ضخيم الجسم بطيئاً ضيق
النفس ، وقد سدّدا لبعضهما ضربات أصابت منها الصدرين
والحدود ولكنها لم تصب المرمى .

وأقام أنتيلوس لا يبرح مكانه ، بل يميل بنفسه ذات
اليمين وذات اليسار بعين رقيقة . أما دائيس فكان مثله
مثل من يحاصر مدينة أو قلعة فوق الهضاب فهو يقربها مرة
من هنا ومرة من هناك ويتقصي الأمكنة جميعها ، ويهاجمها
بمختلف الطرق . ولكن أنتيلوس رفع أخيراً يده اليمنى
بضربة جبارة رآها خصمه ، وهي تهوي ، فتفادها
وذهبت قوة العجوز في الهواء ، فتهالك إلى الأرض بهدّة
عظيمة ، كما تنهدّ سنديانة اقتلعت من جذورها على جبل
أريمانثوس أو جبل إيذا . فهبّ رجال طروادة ورجال
صقلية من أمكتتهم ليروا الحادث ، وتقدم اسستوس راكضاً
وأنهض الرجل العجوز عن الأرض ، متمنياً أن يهون

عليه . ولكن هذا رجع إلى المعركة وهو حائق الحق العظيم ،
يشيره الحزي والغضب . وهرب دائيس من أمامه الى الحقل
وهو ما زال يلاحقه ضارباً إياه تارةً باليمين وطوراً بالشمال ،
وكانت الضربات تنزل عليه نزول البرد على السطوح .

ولكن انياس طلب اليه الحد من غضبه ، وخاطب
دائيس برفق وهو يرجوه وقف التزال ، فقال : « ألا
ترى ان النصر اليوم لسواك ، وان الآلهة أخصامك ؟ فلا
تقاتل الأرباب » . ثم أمر بوقف المعركة . أما دائيس
فقاده صحبه إلى السفن وهو يكاد لا يقدر على جرّ ساقيه ،
بينما كان يقذف الدم الثخين من فمه ، وقد تخضبت أسنانه
بالدماء . وأخذوا معه جائزته ، وهي درع وخوذة ، أما
غصن النخيل والثور فتركا لأنتيلوس الذي قال : « أرايت
يا ابن الآلهة ، وانتم يا أبناء طروادة أي قوة كانت تسكن
هذا الجسد ، حينما كنت لا أزال فتياً . ومن أي ميتة
أنقذتم دائيس هذا » . ثم وقف قبيل الثور ، وضربه في
قفازه ما بين عينيه فخراً إلى الأرض جثة هامدة . وصاح
أنتيلوس عالياً « اليك يا اريكس أقدم حياة هذا بدلاً من
حياة دائيس ، وقد استعصت بشرّهما حقاً عن خيرهما .
واطرح هذين القفّازين جانباً مع هذه المهارة » .

ثم دعا انياس الراغبين بالرمي عن القوس ، وأقام سارية أحضرها من سفينة سرغستوس ، أوثق اليها حمالة بحبل ، وجعلها علامة تهدف اليها ضربات المتبارين . ثم جاء الجميع ، وأجالوا القداح التي وضعوها في خوذة ، فجاء هيبوكون بن هيرتاكوس أولاً ، وبعده فنثوس ، وثالثهما اوريتون أخو فنداروس ، الذي نكث العهد ما بين الطرواديين والإغريق بأن أرسل على مانيلا سهمه . ولكن قدح أسسيتس أبطأ في الخوذة ولم يثب . وفوق هيبوكون قوسه ، وضرب السارية فاهتزت ورف جناحا الطير رعباً . ثم رمى فنثوس سهمه ، ولم يمس الطير ، بل قطع الجبل الذي أوثقه . أما اوريشيون ، فترك الحمالة تطير ، ودعا أخاه فنداروس النبأ العظيم لعونه ، ثم ضربها وهي تطير فرحة بالهواء ، فهوت إلى الأرض تحمل السهم في جسمها . ولم يبق إلا أسسيتس ، وليس له من هدف يصوب إليه ، فأرسل سهمه في الفضاء مظهراً بذلك براعته وقدرة قوسه . ولكن معجزة وقعت عند ذاك ، لم يفهم الناس مغزاها إلا بعد أيام . فقد احترق السهم وهو ذاهب في الفضاء ، وترك خطأ من النار حتى التهم جميعه فكان كالنجم الذي يضرب في السماء ليلاً . ودهش الناس لرؤيته ، ودعوا الأرباب أن يجعلوا فيه خيراً .

ولم يرفض انياس الرمز ، بل أقبل على سيستوس يعانقه ، ويقدم له جزييل العطاء وهو يقول : « خذ هذه الهدايا يا أبي ، فإن مشيئة جوبيتر قضت بأن تنال شرفاً خاصاً بهذا الأمر . ولذا أقدم لك هذه الكأس منقوشة بتأثيل الرجال ، وكانت لأنخيس العجوز ، وقد أعطاه إياها سيسوس والد الملكة ايقاب » . ووضع على رأسه اكليلاً من الغار ، فلم يتدمر اوريشيون الطيب مع أنه هو الذي قتل الطير ، وقد نال الآخرون عطاياهم وسرّوا بها .

ولكن المجلس لم يفض إلى الآن ، بل بقي هنالك منظر يشهدونه ، فقد أقبل اسخانيوس وفتية من رفاقه يمتطون الخيول ، وقد طوقت الأكاليل رؤوسهم . وحمل كل منهم نشابتين من خشب الكرز . وعلق بعضهم جعبة على كتفه ، وتحلوا جميعاً بعقود من الذهب تنبسط على أعالي صدورهم . وقد قسموا إلى ثلاث فرق لكل منها قائد يتبعه منهم اثنا عشر ، وكان أحد هؤلاء القواد فريام ابن فوليت وقد دعي باسم جده ، وهو يمتطي جواداً أدهم محجلاً القوائم أغر الجبين . وثانيهم أتييس حبيب اسخانيوس . أما الثالث ، وكان أجملهم منظرأ ، فهو اسخانيوس على جواد صيداوي أهدته إياه الملكة ديدو ، كما ان أسسيتوس أهدى الآخرين خيولاً صقلية .

ولما أقبل هؤلاء ، علا الهتاف ودوى تصفيق الأيدي ،
وبلغ سرور الطرواديين مداه لرؤيتهم هؤلاء الفتيان يشبهون
آباءهم العظام هذا الشبه الشديد . ثم أعطيت الإشارة ،
فانقسمت الفرق إلى زمر كأنها تقتتل في معركة . فهم
يكرّون حيناً ويفرّون حيناً . وقد يتجهون معاً إلى هذه
الناحية أو تلك . وتعددت اتجاهاتهم وحركاتهم حتى لكأنها
تعاريج دهاليز اللابيرانت في كريت . وقد كان لهم من
الحفة والرشاقة ما جعلهم أشبه بالدلافين ، وهي تلهو بين
أمواج البحر الكرياتي أو بحر افريقيا . وهذا النوع من
الرياضة علّمه اسخانيوس لقومه ، حينما بنى مدينة البسا ،
وأخذته عنهم مدينة روما الجبارة وحفظته للأيام المقبلة .

١٢

إحراق السفن – السفر إلى إيطاليا

بينما كان الطرواديون منهمكين في مبارياتهم ، كانت جينو
تهيء الشر لهم في نفسها ، وقد بعثت برسولها إيريس
لإتمامه . وكانت النساء في هذا الحين ينتحين من الشاطئ
جانباً بعيداً ، وقد ارتفعت أصواتهن يندبن العجوز أنخيس ،
ولكنهن حينما نظرن إلى البحر رثن لخالهن ، ولما لا يزال
أمامهن من سفر شاق لإتمام رحلتهم ؛ فقد كان البحر
يخيفهن ، وهن مشوقات إلى مدينة يأوين إليها ويتخذن منها
سكناً . ولما ظهرت لهن إيريس ، وقد خلعت عنها شبه
الإلهات ، واتخذت شكل بيروة زوجة دوريكولوس ،
خاطبتهن قائلة : « ما كان أسوأنا حظاً حين لم نُجرّ إلى
الموت بأيدي الإغريق . فقد قدم الصيف الخامس ، ونحن

لا نزال نضرب في الأرضين والبحار ، ونسعى إلى إيطاليا
هذه التي لا تزال تفرّ من أمامنا . وإن لنا هنا أصدقاء ،
ولنا أقارب . فما الذي يمنعنا من إقامة مدينة في هذه الأرض .
ألن أرى أسوار طروادة أخرى أبداً ، ولن اجد نهريّ
طروادة كثنوس وسيمويس في أرض غريبة ؟ فلم لا نحرق
هذه السفن الملعونة ، التي تحملنا هنا وهناك ؟ لقد رأيت
في الحلم العرّافة كسندرا ، وكأنها تضع مشعلاً في يدي ،
وتخاطبني قائلة : « هنا أطلبوا طروادة ، فهنا موطنكم ، وإن
هنا لهماكل ونيراناً » . ثم قبضت على جذوة من نار الهيكل ،
وألقته بعيداً على السفن . فصرخت فيرغو حاضنة أبناء
فريام قائلة : « يا أمهات طروادة ، ليست هذه بيروة
التي نرى ، لاحظن بريق عينيها ، وصوتها ومشيتها . أما
بيروة فقد تركتها منذ أمد ، وهي مريضة وقد اشتدّ بها
الأسف على غيابها عن اجتماعنا المقدس اليوم » .

ومكثت النساء هنيهة وهن في شك من أمر السفن مريب .
فقد أحبن حقاً هذه الأرض حيث يقمن ، وهن يعلمن
بأن الأقدار تدعوهن إلى سواها ، ولكنهن حينما رأين
الإلهة تنهض بجناحيها ، وتصعد ممرات قوس قزح ،
مجتازةً إلى السماوات العلى ، أصابهن رعب شديد ، فقبضن
على جذوات من نيران الهياكل ، وأشعلن النار بالسفن ،

وللحال التهم اللهب المقاعد والمجازيف والدّفات المصنوعة
من الصنوبر المدهون . وركض أوميلوس إلى رجال طروادة ،
وهم مقبلون على مبارياتهم ، وقد شاهدوا بأنفسهم هذه
السحب السوداء من الدخان ، تتلوّى أمام الرياح وتلتف .
وسمع اسخانيوس الأمر ، وهو في وسط فرسانه ، فهرع
إلى المخيم ، وصرخ حال قدومه : « أيّ جنون هذا ؟
إنكم لم تحرقوا مخيم الإغريق ، ولكنكم تحرقون آمالنا .
هيا انظروا فأنا رجليكم اسخانيوس » . ثم القى بخوذته إلى
الأرض ليعرفوه . وأسرع انياس ورجال طروادة بالحضور .
وقد تملك الحجل نساء طروادة مما قدمت أيديهن . وقد
ذهب عنهن الرعب فوددن لو اختفين ، ولكن وطأة النيران
لم تخفّ عن التهام السفن ، ولم يصب من يحاول إخماد النيران
أيّ نجاح . وشقّ انياس المؤمن ثيابه ، ودعا الإلهة قائلاً :
« جوبيتر . إذا كنت لا تكرهنا كرهاً تاماً ، فأنقذ سفننا
من النار ، ولا تعرّضنا للهلاك التام . أما إذا كنت غاضباً ،
وكان في قتلي رضاك ، فأرسل عليّ صاعقة من لدنك » .

وبينا هو يتكلّم ، أتت زوبعة شمالية ، يصاحبها رعد
وبرق ومطر غزير ، فأخذت النار بعد أن أتت على أربع
من السفن وتركتها حطاماً .

ونال القلق من انياس كل منال لهذه الأمور ، واشتدت
عليه الريبة فيما يجب عليه عمله ، هل يبقى مقبلاً في صقلية

ولا يبالي بالأقدار ، أم هل يجري وراء إيطاليا . ولكن
العجوز فوتيس كاهن فلاس ، الذي حاز من حكمة الآلهة
ما لم يتسن لكل الرجال مجتمعين ، خاطبه قائلاً : « يا ابن
الإلهة ! إنه لمن الضروري أن نذهب إلى حيث تدعوننا
الأرباب ، ولعلك تدبر لهذه الضرورة القائمة أمراً . وخذ
مشورة الملك اسستيس ، فهو أيضاً ابن طروادة ، وقد احترق
من سفننا أربع ، فأصبح عدد القوم فوق ما تستوعبه السفن
الباقية . ولعل البعض يضعف عن احتمال ما نختطه من الأمر .
كما أن هنالك رجالاً مسنين ، وعجائز هرمت ، ينهكهم
البحر ، وهنالك الضعاف والخائفون ، فاجعل اسستيس يأخذ
هؤلاء إليه ، ويجعل منهم له قوماً . ولين لهم مدينة
يدعوها اسستانية نسبةً إليه » .

وأخذت انياس سنة من النوم ، وهو يفكر بهذه الأمور .
وأنساه أبوه أنخيس في الحلم ، وخاطبه قائلاً : « لقد
أتيتك يا بني بدعوة من جويتر . فآلق بالك إلى نصائح
نوتيس ، فهي صائبة خالصة . دع المختارين من فتيان
قومك يذهبون معك ، ليكون لك رجال جبابرة أشداء في
لايتوم ، حيث يقوم بينكم القتال . ولكنك يجب أن
تقصد أولاً مساكن الموتى ، وتعقد معي مجلساً . وأنا حقاً

لا أسكن طرطوس مع الأشرار ، ولكنني أقيم في اليسيوم
بصحبة الأبرار . وإلى هنالك ستقودك سبيل . وهنالك
ستعلم ما سيقع لك ولقومك من بعدك . والوداع الآن فقد
أقبل الصباح وحن رحيلي » .

وتلاشت من أمامه روح أنخيس ، كما يتلاشى الدخان
في الهواء ، ولم تبال به حيناً أراد بقاءها . فنهض انياس
وضحى لآلهة بيته ولفستا . ثم عقد مع صحبه ومع اسستس
مجلساً . فأطاع اسستس كلامه . ونحوا جانباً أولئك الذين
سيقيمون في الأرض من نساء ورجال . أمّا الباقيون ، وهم
قلة في العدد حقاً ، ولكنهم ذوو قوة وبأس ، فقد هياؤا
السفن للإبحار . وحدد انياس أسس المدينة في هذه الأثناء ،
كما وضع لها اسستس الشرائع والحكومة . وبنوا على جبل
اريكس معبداً لفينوس ، كما أقاموا حول قبر أنخيس غابة
صغيرة . وخصصوا له كاهناً .

ثم أقاموا حفلاتهم تسعة أيام ، تهيأوا بعدها للإبحار ،
وقد صفا الجو ، وهبت الريح الجنوبية رخاء . وتعالى
النحيب على الشاطئ ، واشتد العناق ، وقد رغبوا الآن
جميعاً في الذهاب لكي لا يفترقوا عن الأهل والصحاب .
ولكن انياس هدأ من روعهم . وبعد أن قدم من الضحايا

ثلاثة عجول لإيريكس ، ورأساً من الضأن للزوابع ، بدأ رحيله .

وكلمت فينوس نبتون قائلة : « إنه ليؤسفني أشد الأسف ان لا تلقي جينو بغضبها جانباً . فلقد خربت مدينة طروادة ، وهي لا تزال من بعد خرابها تلاحق أولئك الباقين من أهلها بكره لا مجال للتخفيف من حدته . وأخشى الآن شرّ ما عساه أن تفعله بهم ، فقد أثارت أبولوس الذي أطلق عليهم الرياح جميعها . وألقت الآن في روع النساء عملاً جنونياً بإحراق السفن . ولهذا فإنني أتوسل اليك بأن تمنحهم إلى ايطاليا سفراً أميناً » . فأجاب رب البحار قائلاً : « لقد احسنت في وضعك الثقة بي . أما ما يقع في الملك الذي في حوزتي فقد أوقفت جنون البحر ، كما اهتممت بأمر رجلك انياس ، على الأرض . ألا تذكرين ذلك اليوم الذي لاحق فيه أخيل رجال طروادة إلى مدينتهم ، وملاً الأنهار بجثث موتاهم ، حتى لم يعد بمقدور كزانتوس أن يأخذ مجراه إلى البحر ، وقد كاد انياس أن يلقاه في المعركة وهو الضعيف ازاءه ، فاختطفته بعيداً ، وأخفيته في سحابة . مع أنني كنت أرغب في اعماق قلبي خراب مدينة طروادة ، ولو كانت من صنع يدي ؟ فلا تخشي إذن أمراً ، وسيبلغ جنة افرنوس

سالمًا ، بعد أن يهلك أحد صحبه فقط وهو واحد من من كثيرين » .

وراح يجوز البحر في مركبته ، وقد عمه هدوء شامل ، وتلاشت السحب من السماء ، وذهبت معه حيوانات البحر العظيمة ، كما رافقته ربّات البحر وأربابه مثل غلوكس وفاليمون . وصحب تريتون وثيتس وفانوبي العذراء .

وحل رجال طروادة عقدة السفينة ، ونشروا الشرع للريح ، وكانت سفينة انياس في مقدمة العمارة يدير فليينوروس دفتها . وفي الليل هبط « النوم » من السماء ، وقد اتخذ شكل فورباس ، وخاطب فليينوروس قائلاً : « إن كل شيء هادئ ، فخذ لنفسك شيئاً من الراحة ، فهذه ساعتها ، ودعني أقوم بعملك مقامك » . ولكن فليينوروس أجاب ، وهو لا يكاد يرفع عينيه : « هل تطلب إليّ أن اثق بالبحار الهادئة والرياح اللطيفة ، كلا إن هذا لن يكون ، فكثيراً ما خدعت بهذه الأمور » . قال هذا ، وهو لا يخفف من تشبث قبضته على دفعة السفينة ، أو يحوّل نظره عن النجوم . عند ذلك لوح « النوم » فوق رأسه بقضيب غمس بماء ليث ، وعندما استسلم للرقاد مضطراً ، أمسك به وألقاه في البحر ، مع قطعة من الدقة ، فتخبط في الماء ، وهو يطلب النجدة عبثاً .

ولما قربت السفن من صخور سيرن ، التي كانت في ما
سلف من الأيام بيضاء من عظام الناس ، ويعلوها الآن
العُسلج ، وتضربها الأمواج المتكسرة ، شعر انياس بأن
السفينة تتيه عن خطتها ؛ لأن الأمواج والرياح كانت قد
تملكت بها حقاً ، بعد أن هلك مدير دفتها ، فأسرع
بنفسه إلى الدفة ، وحزّ في نفسه كثيراً ما حلّ بصديقه
من شؤم .

١٣

سيبيل

وهكذا قدم انياس أرض إيطاليا بالقرب من كومو ،
التي كانت موطن سيبيل ، وحوّل الرجال مقدم سفنهم
نحو البحر ، وأوثقوها بالمراسي ، ثم قفزوا إلى الشاطئ ،
وأوقدوا النار ، وراح بعضهم يحتطب من الغابة ، والبعض
الآخر يجلب الماء من الجدول . ولكن انياس ذهب إلى
كهف سيبيل العظيم ، حيث أجاز لها أفلون الكشف عن
أمور مقبلة .

وكان الهيكل رائعاً للناظرين ؛ فإليه قدم ديدالوس حين
هربه من مينوس ملك كريت ، قدم طائراً في الهواء يتجه
جنوباً على جناحين ، وأقام في كومو . ثم كرّس جناحيه
تقدمة للهيكل ، وقد نقش على الأحجار فوق الأبواب

الداخلية قصة موت اندروغوز ، واختيار رجال اتيكا لسبعة
 ممن تصيبهم القرعة من أولادهم ، ليُقدّموا كفدية سنوية ،
 وتصاعدت من البحر في الناحية الأخرى أرض كريت .
 وكان هنالك ما يشبه دهاليز اللابيرانت وطرقها الملتوية ،
 ولكنهم لم يروا ايكاروس ؛ لأن أباه حينما كان يريد أن
 ينقش بماء الذهب قصة موته ، كانت يده تخذلانه ، وقد
 عاود السعي مرتين ، وخذلته يده في المرتين . ولما أراد
 انياس ان يتابع النظر ، خاطبته الكاهنة تقول : « لا تتريث
 في النظر إلى هذه الأمور ، بل سارع إلى ذبح سبعة من
 ثيران القطيع ، وسبعة خراف تُختار حالاً من بين الماشية » .
 ولما أتوا الكهف - وكان له مائة باب يخرج الصوت من
 كل منها - سمعوا سييل تصرخ قائلة : « لقد حان الوقت
 يا إلهي ، أيها الإله ! » وقد تغيرَ منظرها ، وهي تتكلم ،
 وحال لون وجهها ، وانحلت شعرها ، وخفق صدرها ،
 ثم ضخمت حتى فاقت قامات الرجال . وصرخت تقول :
 « هل تهمل الصلاة ، هل تهملها يا إنياس الطرودادي » ،
 أمهمل أنت ؟ فإن الأبواب لا تفتح إلا للمصلين » . ولم
 ترد على ذلك شيئاً . فطفق انياس يدعو قائلاً : « يا فوبس ،
 يا من كنت للطرودادين شفيعاً على الدوام . يا من وجهت
 سهم فاريس ليصيب من أخيل العظيم مقتلًا . لقد اتبعت

أمرك ، واجتزت الأرضين ، وها أنا أخطّ رحالي على
 شاطئ إيطاليا ، التي كانت وكأنها تفرّ أبداً من أمامي .
 فهب لنا بأن يكفّ النحس عن ملاحقتنا ، وأنتم أيها
 الأرباب والربّات الذين لم يضمروا لطرودة حباً ! إرأفوا
 بنا وارحمونا . أما أنت أيتها الكاهنة فهاتي جوابك لأسمعه ،
 ولكي أسعى مع بني قومي لتمجيدك إلى الأبد . وأسألك
 ان لا تكتبيه على ورق الأشجار كي لا تذروها الرياح ،
 بل دعيني أسمعه بصوتك » .

وبقيت الكاهنة تكافح الرّوح هنيهةً ، حتى تغلبت عليها ،
 وفتحت الأبواب ، ثم تكلمت قائلة : « لقد نجوت من
 مهالك البحر ، ولكن هنالك مهالك أدهى وأشدّ ، تنتظرك
 على وجه الأرض . فإن رجال طروادة سيأتون مملكة
 لافينيوم ، فلا يخيفنك هذا ، ولو كانوا يتمنون لو لم
 يقدموها . إنني أرى معارك ، وأرى نهر التّيبير يرغي
 بالدماء ، وهنالك كسانثوس وسميمويس جديدان ، وأخيل
 آخر وهو أيضاً ابن إلهة . وستظلّ جينو على كرهها لكم .
 وستظلّ لاجئاً تتوسل بالعون إلى كثير من المدن . وستكون
 سبب كل هذه النكبات امرأة أيضاً ، فلا تستسلم ، ولا
 تلتن ، بل سير قُدُماً متحلياً بالجرأة أبداً ، كلما لاحت

لك الفرصة ، ولن يدور بخلدك أن أول ما سيأتيك من
النجدة سيكون من مدينة إغريقية » .

ولما أنهت هذه الكلمات أجابها انياس : « إن المشاق
والمهالك لن تأخذني على غرة يا سيدتي ، فقد فكرت
في نفسي بكل هذه الأمور . ولكنني أطلب اليك سؤالاً .
فها هو باب مسكن الموتى ، وكم أتمنى اجتيازه عليّ أظفر
بزيارة أبي . فلقد حملته على كتفي لأنقذه من نيران طروادة ،
ونحمتل معي من مشاق البر والبحر ما لا يقوى على احتماله
رجل في مثل سنه . وقد طلب إليّ ان أسألك هذه المنحة .
فارحمي الوالد والولد ، وإنك لقادرة على ذلك إذا شئت .
ألم يرجع اورفوس امرأته من الموت ، وهو لا يحمل إلا
قيثاره ؟ ألم يجتز فولكس هذه السبيل مراراً ، وقد أعتق
أخاه من الموت . ولم أقص خبر ذيوس وهرقل ؟ فإنني
أنا الآخر من نسل جوبيتر » .

وعند ذلك تكلّمت سيبيل قائلة : « إنه لمن السهل
يا ابن انخيس أن تنحدر إلى الجحيم ، فإن الباب مفتوح
ليل نهار . ولكن الرجعة ومكافحة الهواء الأعلى فيهما كلّ
المشاق . ولم يفعل ذلك إلا القليل ، وهم إما من نسل
الأرباب أو من الأعزاء لدى جوبيتر . وإذا شئت مع هذا
أن تحاول ذلك فأصغِ إليّ . في الغابة يختبئ فرع شجرة

من الذهب مقدّس لدى ملكة الجحيم . وليس لرجل أن
يذهب إلى رحلته هذه ، قبل أن يجتثّه لكي تأخذه الملكة
هدية لها . وحينما يجتثّ الفرع ، ينبت دائماً فرع مكانه ،
وإذا كان ذهابك يرضي الإلهة فإنّ الفرع سيلين ليديك .
ولكن اعلم أنّ هنالك أحد رفاقك لا يزال مطروحاً ميتاً
على الشاطئ . فعليك أولاً أن تدفنه ، ثم تقدّم التضحية
اللازمة ولتكن خروفاً أسود . وهكذا تقدر أن تقترب من
مساكن الموتى » .

ترك انياس الكهف ، ومعه اخات ، ولشد ما تساءلا
عمّن يكون ذلك الميت من رفاقهما . ولما قدما الشاطئ
وجدوا ميزانوس ، وقد طُرح أرضاً ويا للهول ! انه الرجل
الذي ليس لبراعته في دعوة الرجال إلى القتال مثيل ، إذا
ما نفخ في الصور ، وقد كان لهكطور رفيقاً فيما سلف
من الأيام ، ثم صحب انياس . أما الآن فقد نفخ في بوقه
عند الشاطئ ، وتحدّى الأرباب لمباراته . فقبض عليه غول
البحر ، وأغرقه في الماء فلقي حتفه . فعمد انياس ورفاقه
إلى تهيئة دفنه ، وراحوا يقطعون من الغاب أشجار البلوط
والسنديان والكمثري . ولما رأى انياس شدة اتساع الغاب ،
قال : « فلتسمح الأرباب بأن يكشف فرع الذهب في
هذه الغابة الفسيحة عن نفسه » . وبينما هو في هذا القول ،

طارَت من أمام وجهه حمامتان ، واستقرتا على العشب ،
فعرِفَ فيها طيري أمه ، وصرخ قائلاً : « هيا أرشداني
إلى الفرع الذهبي » ، وأنتِ يا أماه هبي لي عونك كما كنتِ
تفعلين فيما مضى . فطارَت الحمامتان ، وما زالتا على قيد
البصر منه وهو يتبعهما ، ولكنهما لما بلغتا قم أفرونوس حطت
كلتاهما على الشجرة ، ويا لروعة ما هناك ! لقد لمع الفرع
الذهبي من بين الغصون وشفق للريح ، فاقتطعه إنياس
فرحاً مسروراً ، وحمله إلى مسكن سيبيل .

وقام رجال طروادة بدفن ميزانوس في هذه الأثناء ،
واحتفلوا بذلك احتفالاً عظيماً عند الشاطئ ، فبنوا ركاباً
من الحطب ، وغسلوا الجثة ، وطيبوها وأسجوها في
النعش ، ومن فوقها الملابس التي كان يرتديها حياً . وعمد
الآخرون وقد حوّلوا وجوههم إلى حمل المشاعل نحو الغابة ،
وهم يحرقون عليها البخور ويقدمون الزيوت . ولما تم
الإحراق أخذوا بقاياها بالنبيذ . وجمع كورينوس العظام
في ققم من البرونز . وطهر القوم وهو يرشهم بالماء بواسطة
غصن من شجر الزيتون .

ثم أقام إنياس هضبة عظيمة وضع فوقها بوق الميت
وقوسه ، وتدعى هذه الهضبة ميزانوس تخليداً لاسمه إلى
يومنا هذا .

ولما تمّ الدفن عمل حسب أوامر سيبيل ، فقد كانت هنالك
مغارة كبيرة تنبعث منها رائحة كريهة إلى حدّ لا يقدر
للطير معه أن يجتازها ، طائراً . وإلى هنالك جلبوا أربعة
ثيران سود ، وصبّت الكاهنة النبيذ على رؤوسها ، وجزّت
شعراً من بين قرونها ، ولما أحرقوا هذا ذبحوا الثيران وهم
يحملون الأوعية للدماء . وقدّم إنياس للمكات الخوف حملاً
أسود ، وللملكة الجحيم عجلة عقياً ، وقد ذبحها بسيفه .
وأحرقوا الأحشاء بالنار وصبّوا فوقها زيتاً . وسمع للأرض
من تحتهم صوت زاعق ، ونبحت الكلاب ، وكانت الآلهة
على مقربة منهم . وصرخت الكاهنة قائلة : « اذهبوا يا من
ليس لكم في هذا الأمر شأن . أما أنت يا إنياس ، فاستل
حسامك من غمده ، واتبعني ، فأنت بحاجة الآن إلى كل
قواك وشجاعتك » . ثم غاصت في الكهف ومعها إنياس .

أسرع إليها بسيفه ناوياً قتلها ، ولكن مرشدته حذرتة بأنها ليست إلا أشباحاً .

وقدما بعد ذلك إلى نهر الجحيم ، حيث يكدح الملاح شارون ، وله لحية طويلة بيضاء شعناء ، وقد ثبتت ناظرية بتحديد متقد ، وعقد على كتفيه شال كما هي عادة الملاحين . وهو كهل عجوز ولكنه صحيح الجسم مورّد الوجه . وهناك على الشاطئ ازدحام دائم ، وحشد عظيم من الزوجات والأمهات ورجال الحرب البواسل ، ثم فتيات وفتيان قَصُّوا قبل الزواج ، وشبان يُضَجَّعون على رُخام الدفن أمام أعين والديهم ، كل هؤلاء تكاثفوا وكأنهم أوراق الشجر تتساقط على الأرض عند بواصر صقيع الخريف ، أو كأنهم طير الخطاف يجمع بعضه بعضاً ، ويتأهب للطيران عبر البحر إلى أرض الشمس . وكان شارون يأخذ بعضهم إلى سفينته ، ويمنع البعض الآخر مبتعداً عن الشاطئ . وقد عجب انياس لرؤيتهم فقال : « أيتها السيدة : ماذا يعني هذا الحشد عند الشاطئ ؟ وماذا تطلب هذه الأرواح ؟ ولم يُطْرَدُ بعضهم عن النهر ويعبره الآخرون ؟ »

فأجابت سيبيل : « إن هذا النهر الذي ترى هو نهر ستيكس ، وبه يقسم الأرباب في السماء ، ويخشون الحنث

١٤

مساكن الموتى

لقد ذهباً معاً بجوزان أرض الأشباح ، فكانا أشبه برجلين يقطعان غابة لا يتخللها إلا نور مريب ، يلقيه القمر وقد سطع حقاً ، ولكن الغيوم تغشي السماء . فأتيا أول ما أتيا أبواب الجحيم ، حيث يقيم الحزن ، والندم ، والسقم الشاحب ، والخوف ، والجوع الذي يحفز الناس إلى الخطيئة ، والعوز ، والموت ، والنصب ، والنوم نسيب الموت وقريبه ، والحرب القائلة . ورأيا غرف ملكات الرعب والتنازع وشعورهن حيات تقطر دماً . وفي هذه المنطقة دردارة عظيمة تسكن على أغصانها جميع أنواع الأحلام ، وأشكال من جميع أنواع الهول الشريرة ، مثل صنتورس الذي كان نصفه رجلاً ونصفه حصاناً ، وبرياروس ذي المائة يد وغيرهما من الأشياء التي حينما رآها انياس ،

بيمينهم . وهؤلاء الذين رأيتهم يُطردون عن الشاطئ هم الذين اخطأهم مراسيم الدفن ، أما الذين يعبرونه فهم الذين دفنوا كما يجب . فلا يعبر هذا النهر إلا الذين دفنت أجسادهم في قبورها ، وإلا فهم يظلّون هائمين مائة عام ، وقد يعبرونه بعد ذلك .

وقد رثى انياس لسوء حظهم ، وكانت شفقتة أشد حينما رأى اورونتس وجماعته الليقانيين ، الذين ابتلعهم اليمّ أحياء أمام عينيه ، ورأى كذلك فالينوروس قائد سفينته ، ولم يتعرف عليه إلا جاهداً ، ولم يكذ يبصره في الظلام حتى خاطبه قائلاً : « أيّ إله أخذك منا ، وأغرقك في البحر ؟ ولا ريب في أن افلون قد خدعني في هذا الأمر قائلاً بأنك ستنجو من البحر ، وتبلغ أرض إيطاليا » .

فأجاب فالينوروس : « أجل يا إنياس العظيم ، لقد بلغت أرض ايطاليا ، وقد حملتني ريح الجنوب ثلاث ليال فوق البحر ، ورأيت في اليوم الرابع أرض ايطاليا من فوق الموج ، ولما سبحت إلى الشاطئ ، وتشبّث بصخوره ، وقد ثقلت ملابسي المبتلة بالماء ، أتاني القوم الوحشيون ، وأخذوني فريسة وذبحوني . والآن فإن الرياح والأمواج تدفعني حيث تشاء . فأسألك بحق أهلك ، وبحق يولوس أمل بيتك ، أن تنقذني من هذا العذاب . وأتوسل اليك

أن تذهب إلى سماء فاليا ، وتهيل عليّ التراب للدفن ، أو أعطني يدك الآن وخذني معك عبر النهر » .

فقالت الكاهنة : « أيّ جنون هذا يا فالينوروس ؟ أتقطع النهر قبل تأدية ما يجب عليك من مراسيم الدفن ، وهل تقدر على النظر إلى وجوه ملكات الخوف المربعة ؟ ولا تظن أن الأقدار تتغير بالدعوات . ومع ذلك فاسمع ما أقول وهدّئ من روعك . إن هؤلاء الذين أقدموا على ذبحك سيقدّمون لك كفارة ، بعد أن نزلت بهم الأوبئة ، واشتدت عليهم وطأتها ، فسينون لك قبراً ، ويقدمون عنده الذبائح عاماً فعاماً . وسيسمى مكان ذبحك باسمك » .

فهذا روعه ، ومضى في سبيله ولكنّها لما قربا من النهر صاح بهما الملاح قائلاً : « إلبثا حيث أنتما ، أيان كنتما يا من تقدما إلى هذا النهر مسلحين ، وأخبراني ماذا تطلبان . إن هذه أرض الأشباح ، أرض النوم والليل ، أما الأحياء فلا يعبرون في هذا الفلك . وكان يوم سوء ، ذلك اليوم الذي حملت فيه هرقل وذيسوس وفيريدوس ، مع أنهم كانوا أبناء الآلهة . فقد كبّل هرقل الكلب الحارس للنار بسلسلة ، وجرّه وهو يرتجف رعباً من سيده . أما ذيسوس ورفيقه ، فقد قصدا إلى حمل الملكة من غرفة زوجها » .

عند ذاك أجابت سيبيلا : « إننا لم نأت هنا ، ونحن

نقصد شراً فلا تقلق . ودع الكلب الحارس لجهنم يخيف
الأشباح الباهتة ، ودع ملكتك تقيم في قصر زوجها ، فإننا
لن نقرّبهما بضرّ . ولكن انياس الطروادي نزل إلى جهنم
لكي يخاطب أباه . وإذا كنت لا تأبه لـ "بير" كهذا ، فإنك
ستتعرف على هذا الرمز .

وقدّمت له الفرع الذهبي ، ولما رآه ترك سخطه جانبا ،
وقد سرّ لرؤية الهدية الرائعة بعد عدّة سنين . ثم قدم
فلكه من الشاطئ ، وطرده منه الأرواح التي كانت فيه ،
وأخذ إليه انياس والكاهنة . وقد أنّ الفلك ممّا يحمل من
ثقل ، وتدافعت المياه سريعة نحو الحافة . ومع هذا فقد
عبرا النهر بسلام .

ثم رأيا سربيروس الكلب الحارس في كهفه ، فأعطته
سبيل فطيرة منوّمة من العسل وبزر الخشخاش ، وقد
ابتلعها ، وهو يفتح أفواه الضارية الثلاثة ، فانبسط في
عرض كهفه ، ونام في الحال .

وسمعا بعد هذا نحيب أطفال شديداً ، وهي أصوات
أولئك الذين قضّوا قبل أن يأخذوا نصيبهم ، أو ينالوا
قسمتهم من الحياة . وعلى مقربة منهم أولئك الذين ماتوا
بتهم مزوارة ، ولم تنقصهم العدالة مع ذلك ، فقد كان
مينوس يفصل في قضاياهم . ومن ورائهم أولئك الذين

لا ذنب لهم ، وقد أسلموا أنفسهم ، وودّوا الآن لو تحمّلوا
المشاقّة ، وبقوا على قيد الحياة ، ولكنّ أنّى لهم هذا ،
وهذا النهر يحتفظ بهم مع مجراه البغيض ، كأنهم في سجن .
ولا تبعد عن هؤلاء كثيراً حقول الحداد ، حيث تسكن
أرواح الذين ماتوا حباً ، مثل بروكريس الذي قتله سنالوس
خطأ ، ولوداميا التي قضت نحبها حزناً على زوجها . وبين
هؤلاء كانت ديدو وقد شفيت حديثاً من الجرح الذي قتلت
نفسها به . ولما رآها انياس ، وقد غشيها الظلام بين الأشباح ،
فكان كأنه يرى ، أو يخيل إليه أنه يرى على ضوء القمر
المتأخر ، انتحب وقال : « إيه يا ديدو ! لقد كان حقاً
إذن ما وصل إليّ من أخبار تقول أنك قتلت نفسك
بالسيف . أخبريني هل كنت سبب انتحارك ؟ لقد كنت
مكرهاً أيتها الملكة - وإنني لأقسم على ذلك بكل ما هو
مقدس في السماء أو الجحيم - على ترك بلادك . ولكن
الأرباب التي أتيت هذه الأرض اليوم بطلب منها ، أجبرتني
على ذلك قسراً . ولم أكن أعلم بأن رحيلي سيسبّب لك كل
هذا الأسى . ولكنّ تريثي قليلاً ، ولا تذهبي ، فلن
أقدر على محادثتك إلا هذه المرة فقط . »

قال هذا ، وبوده لو قدر على تخفيف حدة غضبها ،
ولكنها أرخت عينيها إلى الأرض ، وكان قلبها قاسياً عليه

قساوة الصخر . ثم دخلت غابة قريبة من المكان ، كان فيها زوجها الأول سيتوس الذي أحبها بقدر ما كان محبوباً . وقدما بعد ذلك الأرض التي يسكنها الأبطال . وهناك رأيا تيتوس ، الذي مات أمام طيبة ، وادراستوس وكثيراً من رجال طروادة ، ورأيا أبناء انطونور الثلاثة ، وايدوس حامل سلاح الملك فريام ، الذي كان يحمل الأسلحة ويقود المركبة . وقد اجتمع كل هؤلاء من حوله ، وهم يودّون معرفة سبب قدومه . ولكن حينما رأى جيش الملك أغاممنون سلاحه يلتمع في الظلام ، فرّوا كما كانوا يفرّون إلى السفن في الأيام السالفة . ولقد كان بعضهم يصرخ عالياً ، لو قدر على ذلك ، ولكن أصواتهم كانت ضئيلة لأنها أصوات الموتى .

ورأى ذيفوب بن فريام بين هؤلاء ، وقد شوه تشويهاً فظيماً ، فقد قطعت ذراعاؤه ، وجدع أنفه ، وصلّمت أذناه ، حتى كادت معرفته تخفى على إنياس . أما هو فقد ودّ لو خبأ بجروحه خجلاً ، ولكن ابن انخيس خاطبه : قائلاً : « من هو الذي عاملك بهذه الصورة القبيحة يا ذيفوب العظيم ؟ لقد قيل لي إنك وقعت قتيلاً في آخر ليلة من ليالي طروادة ، فوق ركام من رجال الإغريق ، قضيت عليهم قبلك . ولذا فقد أقمت لك قبراً

عند الشاطئ ، وهتفت باسمك ثلاثاً ، ولكنني لم أجد جثتك لأقوم بلحدك » .

فأجاب ذيفوب : « إنك لم تدع شيئاً لم تفعله لأجلي ، بل قدمت لي كل إكرام وتمجيد ، ولكن سوء حظي ، والوقاحة اللعينة التي كانت عليها المرأة الاسبارطية ، هي التي سببت هلاكي . وأنت تعلم كيف قضينا تلك الليلة الأخيرة ، ونحن نمرح لاهين ، أما هي فقد كانت تحمل مشعلاً في القلعة ، بينما كانت نساء طروادة يرقصن أمام الآلهة . وبدت كأنها تقود حركاتهن ، أما الحقيقة فهي أنها كانت تشير إلى الإغريق في تندوس وتدعوهم . وقد اضطجعت في غرفتي بعد أن أنهكني التعب ، فدخلت ، وكانت زوجة شريفة حقاً ! وجمعت السلاح من المنزل ، حتى سحبت سيفي الموثوق من تحت رأسي ، ثم عمدت إلى إدخال مانيلا آملة أن تمحو بذلك ما اقترفته نحوه من إثم ، وأدخلت أوديس الذي كان دائماً على استعداد لتقديم النصائح الشريرة . وماذا تنتظر أكثر من ذلك ؟ فلتفعل بهم الأرباب ما فعلوا بي بل أدهى وأمرّ . ولكن قل ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ »

وكان الوقت قد جاوز الظهر ، وقد قضى هذان الاثنان جميع الوقت المحدد لهما بالحديث ، فقالت سيبيل :

« لقد أقبل الليل يا إنياس ، وأضعنا نهارنا بالدموع .
فهيا بنا ! وهالك سبيلين هنا أحدهما إلى اليمين وهو يقود
إلى قصر فلوتو وسهول ايليز . والآخر إلى الشمال يأخذك
إلى طرطوس مقر الأشرار » . فأجاب ذيفوب : « لا تغضبي
أيتها الكاهنة العظيمة ، وسأرجع إلى مكاني ، فاذهب
يا صديقي ، وليرافقك التوفيق » .

وبينما كان انياس ينظر حواليه ، رأى بناء عظيماً ،
وحوله سور ذو ثلاث طبقات ، وحول السور نهر من
النار . وهناك بوابات عظيمة ، وبرج من النحاس جلست
فيه تيزيفون إحدى ملكات الرعب حارسة . وسمع أصوات
أولئك الذين يطرقون فوق السندان وقرقرة السلاسل . فوقف
وقال : « ما معنى هذا الذي أسمع وأرى ؟ » فأجابت
سبيل : « إن قدم الصالحين لا تجتاز عتبة هذا المكان .
ولكن ملكة الجحيم أخذتني بنفسها إلى هنا ، وأخبرتني بكل
شيء عن المكان حينما سلمتني مركزي هذا . فهناك يجلس
رادامنتوس الكريتي ، ويقسط بين الموتى ، فمن قضى عليهم
أخذتهم تيزيفون ، وفتحت البوابة التي رأيت لاستقبالهم .
وهناك في الداخل حفرة عظيمة ، عمقها بقدر علو السماء
عن الأرض ، فيها يرقد اليتانيون أبناء الأرض الذين ضربهم
جوبيتر بصاعقة من عنده . وفيها أبناء الوس الذين جاهدوا

لطردهم الأرباب من السماء ، وسالمونوس الذي كان يود
الاستهزاء بصواعق جوبيتر ممتطياً مركبته ، يقطع بها مدن
ايس ، ويهز مشعلاً مدعياً أنه إله . ولكن البرق ضربه
في كبريائه . ورأيت أيضاً تيتيوس ، وقد تمدد فوق تسعة
أفدنة من الأرض ، ووقعت عليه النور تقنات من فؤاده .
ورأيت بعضهم ، ومن فوقهم صخر عظيم يكاد ينقض ،
والبعض الآخر جلوساً إلى وليمة لا يكادون يمدون إليها يداً
حتى تمنعهم ملكة الرعب الجالسة إلى جانبهم ، وترفع
مشعلها وتهزه فيصم الرعد آذانهم . ثم هؤلاء الذين كرهوا
إخوتهم في الحياة الدنيا ، أو ضربوا آباءهم وأمهاتهم ، أو
خدعوا من وثق بهم ، أو احتفظوا بغناهم لأنفسهم ، ولم
يأبهوا حتى ولا لأهل بيوتهم (وعددهم كثير) ، أو أثاروا
نزاعاً أهلياً . ومن هؤلاء من يدحرج حجراً عظيماً ، ولا
يقف ، ومنهم من أوثق إلى عجلات ، ومنهم من جلس
يصرخ أبداً : « سنعمل صالحاً ونخشى الأرباب » .

ولما انتهت الكاهنة من هذا الكلام ، أسرع في سبيلها ،
وبعد هنيهة قالت : « هذا هو القصر الذي بناه السيكلوبيون
لفلوتو وملكة الجحيم . وهنا يجب علينا أن نقدم الغصن
الذهبي » . وبعد أن فعلا ذلك قدما إلى مساكن الصالحين .

هنا الفسحات الخضراء تحيطها الغابات ، ونور جنتهم أشرق وأعم مما وقعت عليه عين بشر . فلهم شمس غير شمسنا ، ونجوم غير نجومنا ، فبعضهم يلهو بالملاكمة والركض ، وبعضهم يرقص رقصاً موقّعاً ، وهم يغنون انغاماً بهيجة ، وقد ارتدى اورفوس ثوباً فضفاضاً ، وجلس يُوقع لهم ؛ فكان يمس قيثاره بأصابعه حيناً ، وبقوسٍ من العاج حيناً آخر . وهنا كان إعجاب انياس عظيماً ، فقد رأى جبابرة الرجال السابقين مثل ايلوس ودردانوس الذي بنى طروادة . وقد سُكّت رماحهم في الأرض جانباً ، وتركت خيولهم ترعى في الحقل . فهم لا يزالون يحبون الرماح والمركبات والخيول ، كما كانوا يحبونها على الأرض . وأقبل بعضهم يحتفلون ، وقد اتخذوا من العشب مجلساً ، وفاح عليهم شذى لطيف من بستان من الغار ، حيث يجري النهر الذي يدعوهم أهل الأرض باسم فو . هنا أقام الذين قضوا لأجل وطنهم ، والكهنة المقدسون ، والشعراء الذين لم يأتوا أمراً إداً ، أو الذين استنبطوا اختراعاً بارعاً ، أو أولئك الذين قدموا للبشر خدمة عظمى . وجميع هؤلاء كُلت رؤوسهم بأكاليل بيضاء كالثلج . وخاطبت سيبيل موزوس الذي وقف في وسطهم ، وقد بزّهم جميعاً بطول قامته ، وقالت : « خبرني أيتها الأرواح السعيدة أين نجد انخيس » . فأجابها

موزوس : « ليس لنا أماكن للإقامة معروفة ، فاصعدا هذه الهضبة ، ومنها تريان جميع السهل تحتها ، ولا شك في أنكما واجدان من تطلبان » .

فأبصرا بأنخيس ، وقد جلس إلى واد أخضر ، وهو يُعنى بأرواح أولئك الذين سيولدون من نسله . ولما رأى انياس قادماً ، بسط يديه ، وقال : « هل أتيت يا ولدي ؟ وهل وجدت طريقك اليّ ؟ لقد ظننت أنك فاعل ، ولم يخب املي » .

فأجاب انياس : « أجل لقد اجتزت طريقاً طويلاً لرؤيتك ، كما رغبت إليّ روحك ، ولكن دعني أعانقك وأضحك بين ذراعيّ » .

ولكنه حينما حاول عناقه كان كمن يقبض على الهواء .

ثم نظر انياس فأبصر نهراً ، وعنده حشد عظيم من الأرواح ، وقد تكاثفت تكاثف النحل على جنة من الزنابق في يوم صيف هادئ . وحينما رغب في معرفة سبب هذا الاحتشاد ، قال انخيس : « هذه أرواح أولئك الذين ما زال عليهم أن يعيشوا في الأبدان الفانية . وهم مجبرون على الشرب من ماء النسيان » . فقال انياس : « لا يا أباي ، وهل هنالك من يرغب في الرجوع إلى الجسم الميت ؟ »

فأجاب انخيس : « أصغ إليّ يا بني ، وسأخبرك بالأمر كله : إن هنالك روحاً واحدة في السماء والأرض ، في النجوم وضياء القمر السيّار ، وفي الشمس ذاتها التي تنبت منها حياة الانسان والحيوان ، والطير والهواء ، وأسماك البحر . ولهذه الروح طبيعة إلهية ، ولكن الجسم الفاني يجعلها بطيئة بليدة . وهنا يأتي الخوف والرغبة ، ويأتي الحزن والفرح . ولهذا فإن الروح تكون في هذه الحالة وكأنها في سجن ، وتعود لا ترى الضوء خارجاً . وحينما تبلغ الحياة الفانية نهايتها ، لا يكون الإنسان قد خلاص من كلّ شرور الجسد ، بل إن هذه لا تطرح جانباً إلا بطرق عديدة عجيبة . فبعضها يعلق في الهواء ، وتغسل شرور الآخرين بالماء ، ومنها ما يحرق بالنار ، ولكننا جميعاً نجابه عذاباً مريعاً ، ثم يرسل من يستحق منا إلى اليسوم ، وإلى حقول المباركين . وعندما تنقّي الروح تماماً بعد عدد من الأيام ، يرسل بها إلى نهر النسيان لكي تشرب منه ، ثم تعود إلى العالم الأعلى » .

ثم أخذ بأنياس وسييل إلى هضبة يرون منها الجمع كله ، وتطالعهم الوجوه القادمة من حيث يجلسون ، ثم قال : « تعال أريك هؤلاء الذين سيأتون من بعدك . إن هذا الفتى الذي ينحني على رمح أبتر ، هو سيلفيوس ابنك

الأصغر ، الذي ستحمّله لك لافينيا في أيام شيخوختك . وسيحكم البا ، ويكون أباً للملوك . وهناك ملوك عديدون سينون مدناً عظيمة شهيرة . ثم انظر هذا هو رومولس ، الذي ستحمّله إيليا لمارس . وسيبني روما التي سينبسط حكمها على الأرض ويمتدّ مجدها إلى السماء . وهل ترى ذاك الذي يتوّج رأسه تاج من الزيتون ، وله لحية بيضاء ؟ هذا هو السدي سيضع لروما شرائعها . وبجانبه تولوس المحارب . وهؤلاء هم التاركينيون ، وهذا بروتوس الذي سيحرر البشر ، أجل ، وسيقتل بنيه لأنهم أرادوا بوطنهم شراً . وانظر إلى دسي وتوركاتوس مع الثور العنيف ، وكاميلوس الذي سيستردّ أعلام روما . وهناك يقف ذاك الذي سيخضع كورنتا . وهناك آخر سيثار لدم طروادة من سلالة أخيل . وتقدر أن تشاهد السيبين ، وهم صواعق الحرب الذين ستخشاهم أرض افريقيا ، وهذا رينولوس منهمك بالأخاديد . وأخيراً وليس آخراً ، هذا هو فابي أعظم الأسماء طُراً ، وهو الذي سينقذ بلادك بهوادة وحكمة . هؤلاء يا بني هم بنو بنيك ، وهناك غير هؤلاء وهم الذين سيحفرون وجوه البشر بالرخام بلمسات أرقّ من تلك ، وسيذيبون البرونز . وسيبرهن غيرهم عن براعة اعظم أو انهم يخططون السماء أو يخبرون عن مطالع النجوم . وإخضاع العالم هو لك

يا رجل روما . وعملك أن تقيم السلام بين المغلوبين ،
فتدع الحامل وتقهقر المتكبر . »

ثم تابع كلامه قائلاً : « وخصّ باهتمامك مارسلوس
أول مرافق للفاتحين ، فهو الذي سينقذ الحكم في أيام
الاضطرابات ، وسيهرب من أمامه القرطاجيون والغوليون .
فقال انياس ، وقد رأى بجانبه فتى يرتدي السلاح اللامع ،
وجماله يسر الناظرين ، ولكنه كئيب يسبل عينيه إلى الأسفل :
« قل لي يا أبي من يكون هذا ؟ ما أشرف منظره !
وما أحسن هذه الزمرة التي ترافقه ! ولكن هنالك ظل من
الظلمة يحيط برأسه . »

فأجاب انخيس : « لا تبحث يا بني عن معرفة
ما سيحل بأبنائك من حزن عظيم بعدك . إن الأقدار لن
تظهره للبشر إلا بمقدار ، وإذا عاش ، فإن الأرباب سيرون
بأن روما قد اشتد جبروتها وعظم . وأي حداد سيكون
عليه ! وأي مأتم سيقام له . ويا نهر تير ! إنك ستجري
قرب لحده المشاد حديثاً ، ولن يرجى من فتى من نسل
طروادة ما يرجى منه ، ولكن واحسرتاه ، إن صلاحه
وصدقه وشجاعته لا يعلى عليها ، وأنت أيها الفتى السيء
الحظ ، إذا اتفق وقدرت على نقض هلاكك المشوم فانك
ستكون كمارسيلوس . أعطني قبضات من الزنايق . وسأثر

هذه الأزهار النيرة واقدم لظل حفيدي الإكرام التافه . »

وهكذا أرى انخيس ولده أموراً قادمة ، وأضياء روحه
برغبة إلى المجد ، ثم أراه الحروب التي سيشترك بها ،
وكيف يجب أن يكابدها ، أو أن يتفادى الشرور القادمة
إذا أمكنه ذلك .

وهناك بوابتان « للنوم » إحداهما من بوق تخرج منه
الأحلام الصادقة ، والأخرى من عاج ، وتخرج منها
الكاذبة . وأخرج انخيس ولده وسيبيل من بوابة العاج ،
ورجع انياس إلى السفن ووصل في إبحاره إلى الرأس الذي
سمي فيما بعد كاتيا .

الملك لاتينوس

كانت كاتيا حاضنة انياس قد قضت نحبها في أثناء إقامتهم في كومو ، ودفنت هناك ، ولما بلغوا هذا الرأس سمّوه باسمها . ثم تابعوا رحيلهم ، فبلغوا الجزيرة التي تسكنها سيرسة ابنة الشمس . وكانت تجلس الى نولها ، وتغني بصوت لطيف ، وتحرق مشاعل من الأرز الطيب الشّذا لكي تستضيء بها ليلاً . وإنك لتسمع حول بيتها زئير الأسود ، والخنازير البرية ، والديبة ، والذئاب ، وهي رجال مسختهم الإلهة بسحرها ، وجعلتهم على أشكال الحيوانات . ولم تسمح مشيئة نبتون بأن يلقي رجال طروادة هذا المصير ، لأنهم يخشون الأرباب ، فأرسل لهم ريحاً رخاء ، فجازوا هذه الأرض مسرعين .

ولما بزغ الفجر ، وقد سكن الآن الهواء ، بلغوا غابة على الشاطئ ، وفي وسطها نهر تير ، وقد اصفرّ لونه لما يتراكم فيه من رمال وهو يجري نحو البحر . وهناك طيور كثيرة في الغاب وعلى الشاطئ . وإلى هناك أحضر رجال طروادة سفنهم سالمة .

وكان يحكم هذه البلاد الملك لاتينوس بن فونوس بن بيكوس بن ساتورن .

ولم يكن للاتينوس من الأولاد سوى ابنة اسمها لافينيا ، وكانت الآن في سن الزواج . وقد تقدم اليها كثيرون من زعماء لانيوم ، بل من كل أنحاء إيطاليا راغبين في اتخاذها زوجة ، وكان أول هؤلاء تورنوس وهو شاب جميل الصورة ومن بيت ملكي . وقد أحبته الملكة أم الصبيّة ، وودّت لو زوجت ابنتها منه ، ولكن الأرباب منعوا الزواج برموز شرّ ومعجزات .

وتوسطت القصر شجرة عظيمة من الغار ، كرّسها الملك الذي بنى القصر للإله فوبوس . وقد استقرّ عليها حشد من النحل ، وتعلق بها ، كأنه عنقود من العنب يتدلّى من أحد أغصانها . ولما رأى العرّافون هذا ، قالوا « إن غريباً سيقدم إلينا ويتزوج لافينيا . وسيحكم هذه البلاد شعب غريب » . ولما أشعلت لافينيا النار فوق المذبح ،

وهي تقف بجانب أبيها ، وثبت من النار جذوة اتصلت
بشعرها ، وأحرقت ما يعلو رأسها من زينة ، وأحرقت
التاج المصنوع من الجواهر والذهب ، وانتشرت تحمل الدخان
والنار إلى القصر جميعه . فعلق الكهنة على ذلك قائلين :
« إن عذراءنا ستكون عظيمة حقاً ، وستنال الشهرة الواسعة ،
ولكن حرباً شعواء ستأتي على بني قومها » .

أما الملك لاتينوس ، فقد أخافه ما عسى أن يعني هذا
الأمر ، فلجأ إلى وحي أبيه فونوس يستخيره ، وكان قرب
حديقة ألبوني ، وقد جرت العادة بأن يقدم الكاهن ضحية
في الحديقة ، ثم يضطجع للنوم على جلود الماشية التي
ذبحها ، فيرى رؤى في الليل ، ويسمع صوت الأرباب .
وقدّم الملك لاتينوس ضحية عظيمة من مائة خروف ، وكان
هو بذاته كاهناً . وتمدد لينام على جلودها ، ولكنه ما كاد
يفعل ، حتى سمع صوتاً آتياً من الحديقة ، يقول :
« لا تسع يا بني إلى زواج ابنتك من أحد زعماء هذه
الأرض ، وسيأتيك صهر من وراء البحار ، يعظم اسمنا
من أقصى السماء إلى أقصاها » . ولم يخف الملك هذه
الأمور ، بل لفظ بها خارج بلاده ، فكانت شهرتها عظيمة
في تلك الأيام التي قدم فيها انياس وصحبه إلى أرض
إيطاليا .

وحدث أن كان انياس وابنه يولوس وغيرهما من الأمراء
جالسين لطعامهم تحت شجرة ، وأمامهم صحاف من عجين ،
يتناولون منها اللحوم ، ولما أتموا طعامهم ولم يحسّوا شبعاً ،
أقبلوا على الصحاف يلتهمونها ، وهم لا يعلمون ماذا
يفعلون . فقال يولوس هازلاً : « ماذا ! هل نأكل
موائدنا أيضاً ؟ » فسر انياس لسامع ذلك سروراً عظيماً ،
واقبل على الغلام يقبله ، ويقول : « الآن علمت بأننا
قدمنا الأرض التي وعدت الأرباب بإعطائها لي ولقومي ،
فلن والدي انخيس خاطبني قائلاً : « إذا قدمت يا بني
أرضاً لا تعرفها ، وأجبرك الجوع على أكل مائدتك ،
فاعلم بأنك وجدت لنفسك وطناً » . وقد تمت الآن هذه
الأمور فلنُرق الخمر لجوبيتر ، ولنقم الصلاة له ولوالدي
انخيس ، ولنحتفل مرحين ، وعندما يقبل الصباح نجوس
خلال هذه الديار نستقصي خبر هؤلاء القوم الذين يسكنونها » .

ثم وضع حول رأسه اكليلا من أوراق الأشجار ، وقدم
صلواته لأمتنا الأرض ، ولآلهة هذا المكان ، الذين لا يعلم
من أمرهم شيئاً ، ثم للإله جوبيتر ولبقية الأرباب . ولما
أنهى صلاته أرسل جوبيتر الرعود ثلاثاً من السماء ، وانتشرت
الأخبار بين رجال طروادة بأنهم قد بلغوا الآن الأرض

التي سينون لهم فيها بلداً ، وقاموا يأكلون ويشربون ويمرحون .

وفي اليوم التالي توجه الذين يستقصون خبر البلاد إلى عملهم . ولما أخبر انياس بأن هذا النهر هو نهر تير وأن السكان هم اللاتينيون ، وهم رجال حرب أشداء ، اختار مائة من رجاله ، وقد طوقوا رؤوسهم بتيجان من الزيتون ، وحملوا بأيديهم الهدايا ، وطلب اليهم الذهاب إلى مدينة الملك ، وبث الدعوة لقيام السلام بين هذا الشعب ورجال طروادة . وأسرع الرجال بالرحيل ، وكان انياس في أثناء ذلك قد عين لمعسكره مكاناً ، وطلب إلى رجاله أن يجعلوا هنالك سداً ، ويحفروا خندقاً .

أما رجاله الذين أرسلهم إلى المدينة ، فانهم ما كادوا يقربونها ، حتى رأوا في السهل المنبسط أمامها فتیاناً يمتطون الجياد ، ويقودون المركبات ، وكان منهم من يرمي عن القوس ، أو يضرب بالنبال ، بينما يلهو الآخرون بالركض والملاكمة . وأسرع فارس منهم على ظهر جواده يخبر الملك بأن هنالك رجالاً في كساء غريب قدموا البلاد ، فأصدر هذا أمره بإحضارهم إلى القصر ، ثم جلس على عرش آبائه ، ودعاهم إلى المشول بين يديه .

وكان القصر قائماً على هضبة تتوسط المدينة ، وقد بناه الملك فيكوس ، وأحاطه بالغابات الكثيفة المقدسة . وفيه كان الملوك يتقلدون الصولجان ، إعلاناً لتحملهم تبعات حكم الشعب . وكان القصر في الوقت ذاته مجلساً للشيوخ ، ومنزلاً للولائم ، يُقيم فيه الأمراء حفلاتهم . وكان رائعاً عظيم الضخامة ، له مائة عمود ، وفي أبنائه أقيمت تماثيل الملوك القدماء ، وقد حفرت في خشب الأرز ، ومنهم ايطالوس ، وسابينوس محضر النبيذ ، والأب ساتورن ، وجانوس ذو الوجهين . وعلقت على الحائط آثار تذكارية من مخلفات الحروب ، ومنها مركبات ، وفؤوس حربية ، وخوذ ، ونبال ، ورؤوس السفن ، وأجلست صورة الملك فيكوس على عرش ، وقد كُسي بملابس ملكية ، وحمل ترسه على ذراعه الأيسر . أما الملك نفسه ، فقد قلبتهُ امرأته سيرة عصفوراً .

وتكلم الملك لاتينوس قائلاً : « أخبروني الآن يا رجال طروادة ، لأنني أعلم من أنتم ، أخبروني ماذا تقصدون ؟ ولأي الأسباب قدمتم أرض ايطاليا ؟ هل تهتم في سفركم ، أو غيرت الزواجع وجهتكم ، كما يحدث للمسافرين فوق البحار في كثير من الأحيان ؟ على الرحب قدمتم . واعلموا

أننا من نسل ساتورن ، الذي يعمل الصالح طوعاً لا كرهاً ،
ومن هنا ، من كورتيوس بلد الاترورين ذهب دردانوس
واتخذ أرض طروادة مقراً » .

وأجاب ايلينوس قائلاً : « أيها الملك العظيم ، إننا لم
نته في سفرنا ، ولا غيّرت الزواجر وجهتنا ، بل أتينا
هذه البلاد عامدين . لقد طردنا سوء الطالع من بلادنا ،
ونحن أيها الملك لعل يقين بأنك في ريبة من هذا . ومن
من العائشين تحت ظل السماء لا يعلم أي عاصفة من
الحراب قدمت علينا من بلاد الإغريق ، وهدمت مدينة
طروادة العظيمة ؟ إن أوروبا وآسيا قد حملتا السلاح بعضها
على بعض ، وقد أتينا الآن نطلب قطعة من الأرض نتخذ
منها سكناً ، ونطلب هواء وماء هما حق للناس أجمعين .
ولن نقوم نحو هذه المملكة بأي عمل مشين ، أو نعق
برها بنا . وثق أيها الملك بأنك لن تندم على استقبالنا ،
فإن كثيراً من الشعوب لتمدني أن تضمنا إليها ، ولكن
أمر الأرباب إلينا كان بأن نقصد هذه البلاد من إيطاليا .
وحقاً إن الأمر لكما ذكرت ، فمن هنا ذهب دردانوس ،
وإلى هنا أمر أفلون أبناءه بالرجوع ، وانظر الآن هذه
الهدايا التي أرسلها إليك انياس ، وهي ما بقي لنا من تراثنا

القديم . فهذا الصولجان الذي كان يحمله الملك فريام عندما
كان يجلس للقضاء بين شعبه ، وهذا تاج ، وهذه ملابس
حاكتها نساء طروادة بأيديهن » .

فسكت الملك لاتينوس هنيهة ، وقد أطرق بعينه إلى
الأرض ، وأغرق يتدبر أمر زواج ابنته في نفسه ، وفي
تنبؤات أبيه فونوس ، وهل يكون هذا الغريب الذي أتى
بلده هو حقاً الصهر الذي تكلم عنه الكهنة العرافون ؟ ثم
تكلم أخيراً ، وقال : « فلتوفق الأرباب هذا الأمر بينكم
وبيني ، وقد منحنا رجال طروادة ما طلبتم ، ونعتبر هذه
الهدايا مقدمة منكم ، واعلم أنني ما دمت في هذا الملك
فإنكم لن تكونوا بحاجة إلى ثراء ، ولو كان بقدر ثراء
طروادة . أما ملككم انياس ، فليأت إلينا وجهاً لوجه ،
إذا كان يرغب في الانضمام إلينا كما ذكرت ، وارجع
برسالي هذه إليه : إن لي ابنةً منعتني الأرباب من اتخاذ
زوج لها من هذه البلاد ، قائلين بأن هنالك غريباً سيكون
لي صهرًا ، ومن صلبه سينحدر أولئك الذين سيرفعون
اسمنا إلى النجوم » .

وأمر الملك بأن تحضر الجياد من إصطبلاتها ، وكان
فيها ثلاث مئات سريعة الجري . فأحضروا منها مائة ،

وقدموا لكل من رجال طروادة جواداً . وقد حُلّيت
بزخارف من الأرجوان ، شبكت بقطع من الذهب .
أما انياس فأرسل اليه الملك مركبة يجرها جوادان ينفشان
النار من أنفيهما ، وهما من نسل خيول الشمس . وهكذا
رجع رجال طروادة يمتطون الجياد ، ويحملون إلى انياس
الهدايا ورسالة السلام .

١٦

حق جينو

حينما رأت جينو أن رجال طروادة قد قدموا إلى أرض
إيطاليا ، وأن البيوت تقام لسكناهم ، تملكها الحق
الشديد ، وقالت في نفسها : « حقاً لقد انتصرت هذه
السلالة الملعونة عليّ ، فلم يلتهمها هب طروادة ، ولا ابتلعها
أمواج البحر ، وها قد قدم رجالها الأرض التي يتغونها !
بل لقد بلغوا نهر التبر ، ومع أن مارس قد أهلك أمة
لايتيا بأجمعها حينما حق عليها ، وأجاز جوبيتر لديانا أن
تتغلب على أرض كاليدون ، ومع ذلك فلا الليثيون ولا
الكليدونيون أقدموا على وقاحة تشبه وقاحة هذه الأمة
الطروادية ، وأنا زوجة جوبيتر ذاته يتغلب عليّ انياس
هذا ؟ لقد بقيت لي وسائل الخاصة ، وإذا لم ألقِ العون

من أرباب السماء ، فسألجا إلى قوى جهنم . وقد لا أقدر على إخراجه من مملكة لاتيوم ، كما أن قضاء الأرباب يقضي بأن يتخذ من لافينيا زوجاً . ولكني أقدر أن أعيق الأمر ، وأجعله يدفع ثمن هذا الارتباط غالياً . أما أنت أيتها العذراء ، فإن مهرك سيكون دماء ايطاليا وطروادة .

ثم انحدرت جينو إلى طبقات الأرض السفلى ، ونادت اليكتو من منازل أخواتها ملكات الرعب – اليكتو التي تعشق الحرب والغدر وكل أعمال الشر – حتى أن فلوتو ذاتها كانت تكرهها ، وكذلك أخواتها جميعهن ، لما هي عليه من منظر مريع ، وخاطبتها جينو قائلة : « إنني أدعوك إلى نجدتي يا ابنة الليل لكي لا تهدر كرامتي ، إنني لا أريد أن يتخذ انياس ابنة لاتينوس زوجاً ، أو أن يجعل له من أرض ايطاليا سكناً ، وأنا أعلم بأنك تقدرين على إثارة أخ على أخيه ، وعلى خلق العداوة في البيوت والممالك حتى تنهار ، فانقضي اذن هذا السلام الذي عقدوه ، واجعلي للحرب فيما بينهم سبباً » .

فتوجهت اليكتو بنفسها حالاً إلى مسكن الملك لاتينوس ، فوجدت هنالك الملكة أماتا ، وقد أخذ منها الاضطراب والحنق كل مأخذ ، لأنها لا تحب رجال طروادة ،

وتفضل أن تتخذ من طورنوس صهرأ ، وأمسكت ملكة الرعب بشعرة من رأسها ، فإذا هي حية تسعى ، وألقت بها في صدر الملكة ، فانسلت إليه دون أن تشعر بها ، ونفشت في قلبها أنفاساً سامة ، ثم انقلبت إلى عقد من الذهب المجدول محلي عنقها ، وإلى تاج يطوق رأسها ويحبل شعرها مرة أخرى . وحينما بدأ السم عمله ، ولم يكن قلبها قد أفعم بحرارته بعد ، كانت تتكلم بشيء من العطف كعادة الأمهات ، وهي تبكي ابتها بحرارة ، وتقول لزوجها : « هل أنت حقاً على استعداد لإعطاء ابنتك لهذا اللاجئ الطروادي ؟ ألا تشفق على نفسك وعلى ابنتك وعلي ؟ إنني على ثقة بأنه سيحملها معه ، ويعود هارباً بجوز البحار عند أول ربح جنوبية . وماذا فعلت بوعدك ، وبالعهد الذي قطعته لطورنوس على نفسك مراراً ، وهو قريبك ونسيبك ؟ وإذا كنت تبحث عن صهر من بلاد غريبة فإنني أرى أن كل من لا يخضع لحكمك هو غريب ، ولا يقصد الأرباب من قولهم أكثر من هذا ، وإذا دقت البحث بنسب طورنوس ، وجدت أنه ينحدر من سلالة انياخوس ، وقد قدم أول ما قدم من بلاد ميسينا » .

ولما رأت أن زوجها لا يأبه لكلماتها ، وقد بدأت سموم الأفعى تعمل بها عملها ، ذهبت تركض كالمجنونة في

انحاء المدينة، بل قد ادعت إن مساً من باخوس قد أصابها،
وهربت إلى الغابات ومعها ابنتها ، لعلها بذلك تقدر أن
تعيق الزواج . ورافقتها كثير من النساء اللواتي تركن
بيوتهن ، حينما أتاها خبرها ، وقد عطلت أعناقهن من
الحلي ، وحُلت شعورهن ، وكن يصرخن عالياً وهن
يحملن هراوات من الصنوبر ، ويرتدين جلود الوحوش
البرية . وتوسطتهن الملكة تحمل بيدها مشعلاً عظيماً من
الصنوبر ، وهي تنشد أناشيد زواج ابنتها من طورنوس ،
وقد أصبحت عيناها حمراوين كالدم .

وبعد أن تأكدت ملكة الرعب من هدمها لمقاصد
لاتينوس ، أسرعت إلى بلدة طورنوس الروتولياني ، واسمها
اردى . وقد بناها دناي في سالف الأزمان ، ولا تزال تسمى
بهذا الاسم إلى يومنا هذا ، وقد زال عنها مجدها . وكان
طورنوس نائماً في قصره فاتخذت اليكتور شكل عجوز ،
هي شايبة، كاهنة جينو ، وخاطبته قائلة : « هل تسمح
يا طورنوس بأن تذهب أتعابك جميعها عبثاً ، وان يُعطى
ملكك للآخرين ؟ لقد انتزع الملك لاتينوس منك زوجتك
العتيدة ، واختار لها غريباً يرث ملكه من بعده ، وقد
أمرتني جينو بأن أنبئك بهذا وأنت نائم ، فانهض اذن
وسلح قومك ، وأبدِ هؤلاء الرجال مع سفنهم بالنار ،

وإذا لم ينجز الملك لاتينوس وعده ، فدعه يعلم ماذا يقدر
طورنوس أن يفعل يوم القتال » .

ولكن طورنوس هزأ بها ضاحكاً ، وقال : « إنني
أعلم حق العلم بقدوم سفن الغرباء أرض تير ، أما هذه
الحكايات فلا تخبريني عنها شيئاً ، إن الملكة جينو لا تنساني
قط ، فلا أخاف شيئاً ، أما أنت أيتها الأم ، فقد بلغت
من الكبر عتياً ، وضللت الصواب ، وأقلقت نفسك عبثاً،
وكنت أضحكة لخوف تافه . إن عمك الآن هو العناية
بمعابد الأرباب وصورهم .. أما الحرب فدعها للرجال فقد
كتبت عليهم » .

فأخذ اليكتور الحق العظيم لسماعها هذا الكلام ، وكان
الشاب لا يزال يتكلم حينما انتابته الرعدة ، وحلق جزعاً ،
فقد فحّت ملكة الرعب أمامه بأفاعيها المائة ، وحينما أراد
متابعة الكلام ، دفعته القهقري ، وأمسكت باثنتين من
أفاعي شعرها ، وجلدته بهما ، وصرخت عالياً : « أنا
عجوز ! وضللت الصواب ! وأصبحت أضحكة خوف
تافه ! لا بل أنا التي أنت من مساكن الرعب . وان الموت
والحرب لفي يدي هاتين ! »

ثم رمت الفتى بشعلة ، جعلت لها دخاناً مؤذياً في
قلبه ، فشى ، وهو يرتجف هلعاً ، ويتصبب منه العرق

بارداً . ونادى على سلاحه ، وقد جُن للقتال جنونه ،
وطلب إلى الفتیان أن يتسلحوا ، قائلاً إنه سيترد رجال
طروادة من إيطاليّا بل سيقا تل اللاتينين ، إذا قضت
الضرورة بذلك . فأطاع القوم أمره ، لأنه كان رائع
الجمال ، نبيل المولد . ذا شهرة في القتال عظيمة .

ثم أسرع اليكتور إلى حيث كان يولوس يصطاد
الحيوانات البرية .

والآن فقد كان هنالك إيتل ضخّم ذو قرنين عظيمين ،
تجاوزا حد الروعة ، وقد تعهده تيروز وأولاده بالتربية ،
منذ كان خشفاً صغيراً ، وكانت ابنته سيلفيا العذراء الجميلة
تزينه بالأكاليل ، وترجل شعره ، وتغسله بالماء ، وكان
يجول في الغابات ليلاً ، ويرجع إلى البيت عند حلول
الظلام . وقد شمت كلاب يولوس رائحة هذا الإيل
وشرعت تطارده ، وقد جعلته اليكتور يمر من أمامها لكي
يقع عليه ما تقصده من شر ، فلحق يولوس بكلابه
جاهداً ، ثم أرسل سهمه فنفذ من الإيل ولم يخطئه (لأن
ملكة الرعب أرادت ذلك) .

وهرب الحيوان الجريح إلى البيت ، وهو يقطر دماً
وملاً أرجاءه بأصوات الألم ، وكأنه يطلب عوناً ، فسمعتة
سيلفيا ونادت أهل بلدها تطلب النجدة ، فهرعوا إليها ،

وكانت اليكتور تثيرهم (فقد اختبأت في الغابات) ، وقد
حمل بعضهم قضيب نار محروق ، وحمل الآخر نبوتاً مديباً .
أما غيرهم فقد حمل أي سلاح يقع في يده ، وقادهم تيروز
الذي اتفق أن كان يشق سنديانة كبيرة بالأسافين ، وقد
حمل بيده فأساً عظيمة .

ثم صعدت اليكتور السطح ، ونفخت في النفير صوتاً
جهتياً ، مطلقة إشارة الرعاة بعيداً . فاهتزت الغابة
جميعها للصوت ، كما اهتزت بحيرتا تريفيا ونار بأمواجها
الكبريتية البيضاء ، وينابيع فليا . أما الأمهات الهلعات ،
فقد ضمنن أبناءهن إلى صدورهن .

وهكذا هجم كل أبناء البلد ، كما أسرع فتیان طروادة
إلى نجدة يولوس ، ولم يقتلوا الآن بالهراوات والنبابيت
المحدقة بهم ، بل اتخذوا السيوف والرماح في كسوة القتال .
ثم وقع آلمو ابن تيروز البكر بضربة في عنقه ، ومن حوله
كثيرون ، بينهم العجوز غاليزوس ، وقد تقدم ليكون
بين المقاتلين وسيطاً ، وكان من أشد الرجال صلاحاً ،
وأكثرهم غنى ، فقد كان مملك خمسة قطعان من الغنم ،
 وخمسة من البقر ، ويحرث الأرض بمائة محراث .

وبعد أن قامت اليكتور بكل هذا ، أسرع إلى جينو ،

وخاطبتها قائلة : « لقد لبيت طلبك ، وإذا شئت أن أذهب الآن إلى البلدان المجاورة ، وأشيع بينها أحاديث القتال فعلت » . ولكن جينو أجابها قائلة : « كفانا هذا الآن وقد أريقتم الدماء ، ويجب أن لا يراك الآن ربُّ الأرباب تتجولين في الطبقات العليا ، فاذهبي اذن ، وإذا بقي هنالك ما يجب عمله ، فسأهتم به بنفسي » .

١٧

اجتماع الزعماء

رجع الرعاة بعد ذلك مسرعين إلى المدينة ، وهم يحملون الموتى ، ومنهم الفتى آمو ، والعجوز غاليزوس ، ويصرخون طالبين من الأرباب ومن الملك الأخذ بالثأر . وكان تيروس أشدهم عنفاً ، وهو يشكو من أن رجال طروادة يريدون الحكم عليهم ، وقد أقصي هو ذاته عن الحكم . وأصرّ الحشد جميعه على الملك بمقاتلة هؤلاء الغرباء ، دون أن يأبه أحد منهم إلى أوامر الأرباب . وثبت الملك في وجوههم ثبوت الصخر الأشمّ في وسط البحر ، لا يزحزحه هدير الموج من حوله ، وتلاطم الطحلب على جنباته . ولكنه حينما رأى أنه غير قادر على التغلب على طلباتهم الشريرة ، أشهد الأرباب قائلاً : « إن العاصفة

ضرب في وجهي ، وقد لا أقدر على الثبات لها ، وستدفعون أيها اللاتينيون ثمن جنونكم من دمائكم ، وستجزى يا طورنوس أقصى الجزاء ، وحينما ستلجأ إلى الأرباب فسيصمتون دونك أسماهم . أما أنا فإن راحتي قريبة ، ولن أخسر إلا شرف تكريمي في دفني » .

وكانت العادة المتبعة في لاتيوم ، والتي اتبعتها فيما بعد البا ، وحافظت عليها روما الجبارة بعدهما الى هذا اليوم ، أنهم كانوا حينما يعلنون الحرب ، سواء أكانت على أهل تراقيا أم على رجال الشرق ، أم الغرب ، أم الهنود ، أم الفارثانيين ، فإنهم كانوا يعمدون إلى بوابات المعبد العظيمة يفتحونها (وكانت هذه البوابات مزدوجة ، وقد قويت بمسامير من النحاس والحديد) ، وقد جلس على العتبة جانوس حارسها . فلا يكاد الآباء يقضون بالحرب ، حتى يفتحها القنصل نفسه ، وقد ارتدى ثوبه ، وتنطق بحزامه ، ويدخل الشعب وراءه وتصفر الأبواق معاً صغيراً عظيماً . وهكذا طلبوا إلى لاتينوس السير على تقاليد البلاد ، وإعلان الحرب على رجال طروادة ، وفتح بوابات المجزرة ، ولكنه لم يذعن لطلبهم ، وهرب يختبئ في الظلام . فما كان من جينو العظيمة إلا أن أتت بنفسها ، ودفعت بوابات الحرب المصفحة بالحديد على مصراعها .

عندها تأهب الرجال في أنحاء أرض ايطاليا للقتال ، فصنعوا التروس اللامعة والنبال ، وسنّوا الفؤوس على حجارة الشّخذ ، وأقاموا السندانات في خمس مدن يصنعون السلاح عليها ، من أغطية للرأس وتروس مجدولة ، وصفائح برونزية للصدر ، فضيعة للسيقان ، ولم يعد الناس يأبهون لفأس الحصاد أو المحراث ، بل أقبلوا على سيوف آبائهم يُعدونها للقتال .

وكان أكبر الزعماء هم :

أولهم الأمير ميزنتوس التوسكاني الذي لم يكن يبالي بالأرباب ، ومعه ابنه لوزوس أجمل رجال الجيش طراً ، ما عدا طورنوس ، وقد تبعه ألف رجل من أجيالا . وهو يستحق والدأ خيراً من والده هذا .

والثاني افنتينوس بن هرقل بجياده السبّاقة ، التي لا تفوقها جياد ، وجعل على مجنّه شعار أبيه ، وهو هيدرا ذات المائة أفعى . وحمل رجاله السيوف الطويلة ، والرماح السابينية ، ورمى حول رأسه وكتفيه جلد أسد عظيم ، ذي لبدة مربعة ، وأنياب فظيعة بيضاء .

ومن طيبور قدم شابان من بلدة أرغوس وهما التوأمان كاتيلوس وكوراس . ولهما خفّة وقوّة . وهنالك أيضاً

كيكولوس باني فرنيستي ، وهو ابن فولكان ، ومعه جمع عظيم من رجاله ، وجلتهم لا يحملون مجنأ ، ولا رمحاً ، بل يرمون بقذائف من الرصاص وبالنشابات يحملونها في كل يد ، ويضعون على رؤوسهم الخوذ من جلود الذئاب .

ومشى بعد هذا ميسابوس مروّض الجياد ، وهو ابن نبتون ، الذي ليس لرجل ما أن يرميه أرضاً لا بالنار ولا بالسيف ، يتبعه شعبه ينشدون نشيد ملكهم الحربي ، وكأنهم سرب كبير من الإوز يطير ، وهو يرسل مختلف الأصوات قاطعاً المستنقع الأسوي . ثم كلوزوس السابيني ، الذي انحدر منه بيت كلوديان العظيم . وهليزوس رفيق أغاممنون وعدو طروادة منذ القدم ، ووراءه أم كثيرة ، وهم يحملون النبايت أوثقت بسيور من الجلد ، والتروس المجدولة في أيديهم اليسرى ، وجعلت سيوفهم على شكل مناجل الحصاد . وأتى بعد هؤلاء أوبالوس بن تيلون مع رجال كامبانيا ، يلبسون الخوذ من الفلين ، ويتخذون التروس والسيوف البرونزية . ثم اوفنز بن نيرسي بأحزمة من المطاط ، ثم امبرو الكاهن المارسياني الساحر الجبار ، حاوي الثعابين ، وشافي عضّاتها ، ولكنه لم يقدر على شفاء جرح السيوف الطروادية ، ولم تنجده في شفائها أعشابه الجبّارة أو سحره .

وأتى معهم فيربوس بن هيبوليتوس من اجيريا ، ويقول الرواة إن هيبوليتوس هذا هلك بجنون جياده حينما نزلت عليه لعنة أبيه ثم ردتته مهارة السكولايوس إلى الحياة ، فحنق جوبيتر لبعثه من جديد ، ورمى بصاعقته ابن فويس الذي أحياه . أما هيبوليتوس فقد خبّأته ديانا في كهف في أريسيا ، يقضي فيه حياته متروياً ، لا يبدى إساءة ، ومع هذا فإن الفتى فيربوس قاد الجياد في مركبته .

وكان يتزعمهم جميعاً طورنوس ، الذي كان يجول في وسطهم ، وقد تلاءم لأمنته ، وعلا برأسه الرؤوس جميعاً ، ولبس خوذة ذات ريشات ثلاث ، وعليها رسم الحميرة شارة له ، كما رسمت على مجنّه صورة يو ، وقد اتجهت أبواقها إلى السماء ، وصورة أرغوس الراعي وايناخوس يتدفق نهر من قممه . وتبعه عدد كثير من المشاة ، منهم الروتوليان والسيكان وسكان ضفاف التير وانكور وسكان غابات فيرونيا .

وأنت أخيراً كامبلا الفولسيانية ، ومعهما جمع عظيم من الفرسان يتلأمون بالأسلحة البرونزية ، ولم تكن لتحب المغزل ، ولا سلة مينرفا ، بل كان همها القتال ، ومسابقة الرياح في عدوها . وكانت عداءة جبارة تعدو فوق سهول

الحنطة ، فلا تمس سنا بلها ، وتسرع فوق أمواج البحر
فلا تبتلّ قدماها . وكان الشبان يرمقونها بالإعجاب ، بينما
تقفُ النساء مشدوهات يحدقن اليها في سبرها . وعلا
كتفيها ثوبٌ أرجواني ملكي ، وطوق رأسها بطوق من
الذهب ، وحلت جعبة سوريّة ، ومنحساً من خشب الآس
شأن الرعاة .

١٨

الملك إفاندر

وهكذا التأم جمع الزعماء ، ومعهم شعب عظيم ،
زعماؤه ميزانتيوس وأوفنس وميسافوس ، وأرسلوا إلى
ذيوميد سفيراً (لأن ذيوميد كان قد بنى لنفسه بلداً في
إيطاليا تدعى إربي) ، ينبئه بأن أنياس ورجال طروادة
في سبيل بناء ملك في هذه الأنحاء ، ويطلب اليه ان يرى
في الأمر رأياً .

وبلغ بإنياس الاضطراب أشده لهذه الأمور ، وصار
يقلب الرأي في نفسه ، ويبحث عن وجهة يطلب منها
عوناً . وأخذ النوم وهو في تفكيره ، فرأى فيما يرى النائم
الرب تير إله النهر ، وهو شيخ عجوز ، يرتدي ثوباً

من الكتان الأزرق ، ويضع على رأسه إكليلاً من البوص ،
وتكلم قائلاً : « مرحباً بك في هذه الأرض التي قدمتها ،
وجلبت معك اليها آلهة طروادة . فلا تقنطنك الحرب ،
وشائعات الحرب ، ولا تؤخرتك عن مقاصدك ، وسنجعل
لك رمزاً ، وهو أنك ستجد خنزيرة بيضاء على شاطئ
البحر ، معها ثلاثون خنوصاً أبيض ، تحوم حول
أثدائها ، وسيكون معنى هذا أن إيلوس سيني المدينة البيضاء
بعد ثلاثين عاماً . وسأخبرك الآن كيف تقدر أن تنال في
هذه الحرب نصراً : إن رجالاً من أرقاديا ، وقد تبعوا
ملكهم إفاندر ، بنوا في هذه الأرض مدينة سموها
بالانتيوم ، وهم يشتبكون بالحرب دائماً مع اللاتينيين .
فاقصد اليهم وخذ مجرى النهر سيبلاً . انهض الآن إذن ،
وقدم الضحايا لجينو لتخفف من حنقها ، وعليك أن تقوم
بواجب تقديم ندورك إليّ حينما تنتصر . واعلم أنني النهر
تيبر ، وليس من نهر على وجه البسيطة أثر لدى
الأرباب مني » .

وأفاق انياس من نومه ودعا حوريات الماء والنهر الإله
بأن يشملوه بعطفهم ، ثم نظر فرأى عند الشاطئ خنزيرة
بيضاء معها ثلاثون خنوصاً أبيض ، تحوم حول أثدائها .

فقدّم التضحية لجينو من الخنايص ، ثم أمر بأن تُهيأ له سفيتان ،
وسار بهما في سبيله . ووقف تير جريانه ، لكي لا ينال
الرجال في تجذيفهم الإرهاق . وأسرعوا مجدّين السير ،
تعلوهم الأشجار من فوقهم ، ويرون الظلال في الماء من
تحتهم . وطلعت عليهم ظهراً مدينة ذات أسوار وحصن ،
وبعض البيوت من حوله .

وحدث أن كان الملك إفاندر وشعبه يقدمون في ذلك
اليوم ضحية لهرقل أمام المدينة ، وعندما شاهدوا من خلال
الأشجار أن السفينتين تقتربان ، عجبوا للأمر ، وتركوا
احتفالهم . ولكن فالاس ابن الملك أمرهم بأن لا يقطعوا
تضحيتهم ، ثم انتزع رمحاً وصرخ من أعلى الرابية التي
أقيم عليها المذبح ، قائلاً : « أيها الغرباء لم آتيتم ، وماذا
تقصدون ؟ أحرِباً تحملون أم سلاماً ؟ »

وأجابه انياس من مؤخر سفينته ، وهو يحمل غصناً
من الزيتون ، قائلاً : « إننا رجال طروادة ، وأعداء
اللاتين ، ونحن نقصد الملك افاندر ، فبلغه إذن بأن أنياس
أمير طروادة قد جاءه يطلب حلفاً » .

وعجب فالاس لسماعه هذا الاسم أشدّ العجب ، وقال :
« اقرب ، وكن أياً من تكون ، وتعال تحدث مع والدي ،
ثم أمسكه من يده » .

ولما مثل انياس أمام الملك افاندر ، تكلم قائلاً : « لقد أتيتك أيها الملك عن رغبة لا عن رهبة ، مع علمي بأنك لغريقي ، وإن لك بابني اتريد نسباً . ولكن بيني وبينك أيضاً وشائج من نسب ، فإن دردنوس باني طروادة كان ابن الكترا ابنة أطلس ، وقد انحدرت أنت من مركوريوس ابن سيلين ، التي كانت هي الأخرى ابنة أطلس ، ولذا فاني لم أرسل اليك السفراء ، بل أتيت بنفسي ، وأنا لا أخشى منك ضرراً . فاعلم الآن أن أمة الدونيان ، التي حاربتك تطاردنا نحن كذلك ، وإذا ما تمّ لك النصر عليها ، فلا شكّ في أنك ستبسط حكمك على ايطاليا جميعها من البحر الواحد إلى البحر الآخر . وقد أتيتك الآن لكي نعقد ما بيننا حلفاً » .

ولم ينقطع أفاندر عن النظر اليه ، وهو يتكلم ، ثم أجابه قائلاً : « مرحباً يا ابن طروادة العظيم ، ولكم يسرّني أن أعرف فيك وجهه انخيس وصوته ، فإني أذكر حينما قدم فريام في سالف الأيام إلى مملكة شقيقته هيزبونه زوجة تلامون ، وكان بصحبته بعض الأمراء ، أن أنخيس كان أعظمهم شأنًا ، وقد ملك الرجل عليّ نفسي ، وصحبته إلى فينوز . وأعطاني عند رحيله جعبة وسهاماً ليقية ،

ومعطفاً محلي بخيوط ذهبية ، ولجامين من ذهب لا يزال ابني فالاس يحتفظ بهما إلى الآن . أما هذا الحلف الذي تطلب فهو لك . وستبرحنا غداً ومعك كل ما أقدر عليه من عون . وما أن قدومك كان في هذا الوقت السعيد ، فتعال وشاركنا في تضحيتنا وفي احتفالنا » .

وهكذا احتفلوا معاً ، وهم يأكلون لحوم الثيران ، ويشربون النبيذ ويمرحون . ولما أتوا من طعامهم وشرابهم على النهاية ، تكلم الملك افاندر ، وقال : « إن هذا الاحتفال الكبير ، الذي نقيمه الآن يا صديقي ، لم يكن من غير داع ، وسأخبرك خبره في الحال . أترى إلى هذه الصخور المتهدمة ؟ لقد كان هنالك كهف في ما مضى ، وقد غار تحت الجرف إلى عمق سحيق ، حيث كان يسكن كاكوس ، وهو مسخّ نصفه رجل وأبوه هو فولكان . وكانت الأرض تفوح بالدماء ، وقد علقت على فم المغار جماجم الرجال . وكان فولكان ضخم القامة ، ينفث النار من فيه ، وأتى هرقل هذه الأرض يسوق أمامه ثيران غريون بعد أن فتك به . ولما تركها ترعى في الوادي قرب النهر ، قام كاكوس بما يتلاءم مع قبحته ، وسرق أربعة من الثيران ، وأربعة عجول هي أحسن ما في

القطيع . ولكي يخفي فيعلته جرّها خلفياً من ذيوها ، حتى لا ينبىء أثرها عن اتجاهها نحو المغار . ولكن حدث أن أرسل القطيع خوارجاً عظيماً عندما أراد هرقل على المسير عند الصباح ، وأجاب أحد العجول التي خبأها كاكوس في الكهف بخوار مثله ، فأخذ الحق من هرقل كل مأخذ ، وقبض على نبوته العظيم المعقد ، وتسلق أعلى الهضبة ، فارتجف كاكوس رعباً ، وهرب إلى كهفه بسرعة الريح ، وكأن الخوف قد كسا قدميه أجنحة ، فدخله وأغلقه على نفسه بأن اسقط حجراً عظيماً كان معلقاً فوق فم الكهف بحيلة ماهرة أخذها عن أبيه . ولما وصل هرقل بحث عن مدخل للغار عبثاً ، ورأى أخيراً أحد الصخور العالية وقد جنحت إلى النهر فدفعها من الجانب الآخر وانطلقت إلى الماء يُسمع لها دوي عظيم . فأنكشف كهف كاكوس بأكمله ، وكان منظره مروّعاً ، وكأن الأرض قد فتحت فاهها وأبانت عن أصقاع الموتى . فبدأ هرقل يرمي المسخ بالسهم ، ثم رماه بأغصان الأشجار والحجارة الضخمة . وجعل كاكوس يتقيأ النار والدخان من فمه ، حتى ملأ أرجاء الغار ، فلم يطق هرقل على هذه الحيلة صبراً ، فاندفع إلى الكهف ، وكان الدخان على أكثفه ، وقبض على الوحش ، ولوى يديه ورجليه من حوله ،

وشد على خنّاقه ، حتى أسلم الروح . ونحن يا أصدقائي نحفظ بهذه الذكرى عاماً فعاماً ، فشاركونا العيد الآن ، وضعوا على رؤوسكم أكاليل الحور أولاً ، فإن الحور شجرة هرقل . »

وهكذا أقاموا العيد ، وغنى الكهنة الساليون ، وقد انقسموا إلى شيوخ وفتيان ، وهم ينشدون معدّدين أعمال هرقل ، وكيف خنق الأفاعي التي أرسلتها جينو للفتك به ، وهو لا يزال طفلاً ، وكيف دكّ المدن الجبّارة ، وتحمل المشاقّ المرهقة ، وهو يفتك بالكتوريين وأسد نيمي . وكيف هبط إلى الجحيم ، وأخرج منها الكلب سربروس ، وغير ذلك من أعمال البطولة الحارقة .

وفي أثناء رجوعهم إلى المدينة ، شرع الملك افاندر يخبر انياس بالكثير من أحوال البلاد ، وكيف كانت في غابر الأيام مأهولة بشعب متوحش ، يعيش عيشة الوحوش ، فقدّم اليهم ساتورن هارباً من ابنه جوبيتر ، وبدأ بتعليمهم وتلقينهم شرائع وعادات . وكيف بسط غيره من الملوك حكمه عليهم ، وكيف أنه قدم هو ذاته هذه الأرض بدعوة من أفلون ، وأراه المدينة التي أسسها ، وما بها من أماكن ، هذه الأماكن التي أصبحت ذات شهرة فيما بعد ، حينما

بُنيت روما الجبّارة فوق هذه الأرض بعينها . ولما بلغوا
القصر ، قال : « لقد دخل هرقل هذا المسكن ، وهو
حقاً صغير منخفض ، فلا تفكّر إذن في ثراء عظيم ،
واجعل نفسك أهلاً لصعود السّماء كما صعدّها » .

ثمّ قاده إلى داخل القصر ، ودعاه إلى الجلوس على
مقعد ، بُسط فوقه جلد دبّ افريقيّ .

أسلحة انياس

وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني ، نهض العجوز
افاندر من فراشه ، وارتدى جلبابه ، واوثق خفيّه
التوسكانيّين إلى قدميه ، وتنطّق بسيفه التيفياني ، ورمى
على كتفه الأيسر إهاب نمر ارقط ، وذهب يصحبه ابنه
فالاس ، يتبعه كلبا صيد يربضان عند غرفته . وقد كان
يرغب في محادثة انياس ، فوجده متأهباً ، ومعه اخات ،
فقال افاندر : « يا زعيم طروادة العظيم ! إننا لأولو حمية
وعزم ، ولكن وسائلنا ضئيلة ، وقد قلّ عددنا ، وضائق
حدودنا ، وسأخبرك عن شعب غني عظيم يمكنك أن تعقد
معه حلفاً . تقوم بقرب هذا المكان مدينة أجيلا الشهيرة ،
وقد بناها رجال ليديا في سابق الأيام ، مستقرين في هذه

الأرض من اتروريا . وكان ميزنتوس هو ملك أجيلا ،
وقد فاق الرجال شراً وأذى ، فكان يجمع الرجل الحيَّ
إلى جثث الموتى ، ويتركه يهلك بائساً . ولكن مواطنيه
ثاروا بعد مدة من الزمن ينفضون حكمه عنهم . فذبحوا
حرسه ، وأحرقوا قصره ، أما هو فلم يمستوه بأذى ، بل
هرب والتجأ إلى الأمير طورنوس ، ولذا فإن الحرب قائمة
بين طورنوس واجيلا . وعليك الآن قيادتها ، لأن المنجّمين
يصدون القوم عن الذهاب كلما أرادوا إلى القتال رحيلاً ،
قائلين : « إنكم لعلّى حق في حنقكم على ميزنتوس ، ولكن
لا يجب أن يقود هذا الشعب رجلٌ من إيطاليا ، فابحثوا
عن غريب ، وقد كان بودّهم أن آخذ قيادهم ، ولكنني
كبير السن ضعيف الجسد . كما ان ولدي فالاس يمت اليهم
بنسب ، فهو مولود من أمّ سايبينية ، أما انت فإنك في
أوج قواك ، كما أنك غريب الأصل . فخذ على نفسك
هذه المهمة ، وسيذهب معك فالاس فيتلقن على يديك
كيف يجعل من نفسه محارباً ، وسأرسل معك بمائتين من
الفرسان المصطفين ، وسيعطيك فالاس مثلها » .

وكانا لما ينهيا الكلام بعد ، حينما بعثت اليهما فينوس
رمزاً . أرسلت صاعقة ، والسماء صافية ، وسمع صوت

يشبه صوت البوق التوسكاني ، وحينما تطلّعوا إلى السموات
العلی ، رأوا ويا للدهشة ! لقد كان هنالك بريق الأسلحة .

وقد أدرك انياس الرمز ، وفهم تأويله ، وأن التوفيق
سيحالفه فيما وضع يده عليه . فطلب إلى افاندر بأن يطيب
نفساً ، ثم أعادوا تقديم التضحية . ورجع بعدها انياس إلى
صحبه ، فاختر من بينهم أكثرهم شجاعة ، ليرافقوه إلى
اجيلا ، وطلب إلى الباقي أن يرجعوا إلى المخيم حيث يقيم
يولوس .

ولما كان على استعداد للرحيل ، أخذه افاندر من يده ،
وقال : « ليت جوبيتر يرجع لي ما مضى من الأعوام ،
حينما فتكت بالملك ارولوس ، الذي وهبته أمه حين مولده
ثلاث حيوات ، فكان يجب ان يقتل ثلاث مرات لكي
يقضي نحبه ، وقد قتله ثلاث مرات . فلو رجعت لي
أعوامي لما فارقتك يا بني ، ولا جرؤ ميزنتيوس الشرير
على قتل هذا العدد من رجالي . ولتجب الأرباب الآن
دعائي ، فإذا كان يرضيها أن يرجع فالاس ، فلتبقِ على
حياتي ، لكي أشهد رجوعه ، وإلا فلتمتني الآن ، وأنا
أضمك إلى ذراعي يا بني ، يا بهجتي الوحيدة في الحياة » .
وقد أغمي عليه ، فحمل إلى قصره ، ثم خرج الفرسان
من الأبواب يتوسطهم انياس ، وقد ارتدى معطفاً وحمل

سلاحه اللامع ، فبدا كأنه نجم الصباح ، الذي تؤثره
فينوس بحبها دون كل نجوم السماء . وأطلت النساء من
الأسوار يرقبنهم وهم يهتفون عالياً ، ويقطعون السهل خبياً .
وبعد فترة من الزمن بلغوا كهفاً ، ضرب بقربه الاتروسكان
نخيمهم تحت قيادة زعيمهم طارسون .

وفي هذه الأثناء كانت نفس فينوس قد هاجت من
أجل ابنها ، فبينما كان هو نائماً في قصر افاندر ، كلمت
هي زوجها فولكان قائلة : « حينما كان الإغريق يحاربون
الطرواد ، لم ألبأ إلى معونتك . لأنني لم أشأ أن يذهب
جهدك عبثاً . أما الآن ، وقد قدم انياس ايطاليا بأمر
الأرباب ، فإني اطلب اليك أن تصنع سلاحاً ودرعاً
لولدي . وهذا ما طلبته اورورا لأجل ممنون ، وطلبتة نيتيس
لأجل أخيل ، وقد منحتها ما طلبا . وأنت ترى الآن
كيف اجتمعت عليه الأمم لإهلاكه . فلذا أرجوك له عوناً » .
وقد أطاع نداءها ، وعندما جاء الصباح الباكر نهض فولكان
إلى عمله قبل أوانه مثلما تنهض المرأة تسعى إلى العيش من
مغزلها ، فتشعل نارها ، وتوزع على خادمتها أعمالهن لكي
تتوفر على الادخار لزوجها وأولادها .

هنالك جزيرة تدعى ليارا ، تقرب من شاطئ صقلية ،

وفيهما أقام الإله اتونه وسندانه ، وكان السيكلويون دائبين
على العمل ، وهم يسكبون الصواعق لجوبيتر ، وكان
لا يزال أحدها في نصف سبكة ، وقد استعملوا في صنعها
ثلاثة أقسام من البرد ، وثلاثة من سحب المطر ، وثلاثة
من النار الحمراء والرياح الجنوبية ، وكانوا يضيفون إليها
الآن البرق والصوت والخوف والحنق واللهب المنتقم . وكانوا
في ناحية ثانية يصنعون للامرس مركبة ، ولمينرفا قيصاً من
الزرد ، وهو الدرع الآجي ذو الاسنان الذهبية ، وكأنها
أسنان الأفاعي ، وفي وسطه رأس الغورغون مقطوعاً عند
العنق ، بعينين دائرتين ، فصاح بهم الإله قائلاً : « كفوا
عن كدكم هذا ، فإن عليكم الآن أن تصنعوا لبطل
سلاحاً » . فانصرفوا عن عملهم ، وتدفق البرونز والذهب
والحديد تدفق الجداول ، وعكف بعضهم على المنفاخ ،
وغطس الآخر الكومة المتأججة في الماء ، ولوى ثالث
التبر بالملاقط .

وصنعوا له خوذة بريشة متمايلة ، وهي تتألق تألق النار ،
وسيفاً ، ودرقة من البرونز الأحمر ، ورانين من الذهب
المصهور مراراً ، ودرعاً نقش عليه قصة مدهشة
لما هو آت ، إذ أوضح الإله قصة روما جميعها . فهنا

في كهف مارس استلقت الذئبة ، وهي ترضع التوأمين اللذين لم يخافاها قط ، وقد أحنت هي عنقها تلحسهما بلسانها . وهناك رجال روما يحملون معهم العذارى السابينيات ، ليتخذوا منهن زوجات لهم ، وعلى مقربة منهم احتدم القتال . وهناك يعقد الملوك ما بينهم سلباً ، ويحتفلون به بالذبائح والضحايا . ونقشت هنالك أيضاً المركبات التي شطرت ميتوس الالبي شطرين لخيانته ، وقد وقف بوسينا يطلب إلى الرومانيين ، وهو يحاصر المدينة ، أن يستردوا ملكهم ، ولكن الرومانيين صمدوا في وجهه مسلحين ، ووقف الملك مخفياً متوعداً ، حيناً رأى كوكليس وهو يهدم الجسر ، وكلوليا العذراء وقد قطعت قيودها ساجحة نحو النهر . وهنالك مانليوس يحرس الكابيتول واقفاً ، وإوزة من فضة تحقق بجناحين ، لفقت حواشيها بالذهب ، وظهر الغوليون على مقربة منه ، وهم يتسترون بالظلام ، فيمرون بالآكام متسلقين قمة الهضبة ، وقد نقشت شعورهم من الذهب كما نقشت ثيابهم ، أما معاطفهم فكانت من ألوان مختلفة متقاطعة ، وجعلت أعناقهم بيضاء كاللبن ، لها مشابك ذهبية ، ولكل منهم رحان وترس مستطيل . ونُقشت عليه أيضاً مساكن الموتى الصالحين منهم والأشرار ، فهنا كاتيلين تدلّى من صخرة ، بينما وقفت ملكات الخوف يتوعدنه

متهددات . وهناك كاتو يضع للشعب الشرائع ، ومن حول هذا جميعاً نقش البحر بالذهب ، ولكن الأمواج زرقاء والزبد أبيض ، وفيه تمرح الدلافين الفضية كما قامت في وسطه معركة عظيمة بين السفن عند راس اكتيوم ، يقود فيها اغستوس رجال إيطاليا من جهة ، وهو يقف عالياً عند كوثل السفينة ، وتأججت النار من صدغيه ، يشاركه في القيادة اغريبا ، وقد ارتدى كسوته ، ووضع التاج البحري على رأسه . ووقف انطوني من الجهة الثانية ومعه جنود برابرة يكتسون مختلف الأزياء ، وهو يقود إلى القتال مصر وفارس وجيوش الشرق ، ووراءه ويا للخزي ، وقفت امرأته المصرية . ولكن المعركة استعرت في جانب آخر ، وكان البحر يُزبد ويرغي من المجاذيف وحيازيم السفن المثلثة ، وقد تعاظم تصادم السفن حتى ليخيل للناظر بأن الجزر قد انشقت عن موضعها ، أو أن جبلاً يلاطم جبلاً . وتطايرت النشابات بنسالاتها المشتعلة ، وتخفضت وجه البحر بالدماء ، ووقفت الملكة كليوباترة في الوسط ، وفي يدها مزهر ، وهي تدعو جيوشها للقتال . ويمكنك أن تشهد وراءها الأفعى التي ستموت بعصتها . وفي جانب منه الكلب انوبيس مع غيره من أشكال الآلهة المسوخة ، يواجههم نبتون وفينوس ومينرفا ، وفي وسطهم مارس وهو

يُرى هائجاً ، وقد نقش بفولاذ مسنم . ونحوتم فوقهم
جميعاً ملكات العرب والشحناء ، تنسل برداء الانشقاق ،
بينما يفوق افلون قوسه ، فيهرب من أمامه المصريون والهنود
والعرب . وفي مكان ثالث امتطى قيصر فرسه يقطع شوارع
روما منتصراً ، وقد انتشت المدينة فرحاً ، واجتمعت ربات
البيوت في المعابد . أما في شوارع المدينة ، فقد انتظم
صف طويل من أمم مختلفة ، أخضعها لحكمه من الشرق
والغرب ومن الجنوب والشمال . هذا هو الترس الذي نقشه
فولكان .

ولما رأت فينوس أن ولدها وحيد - فقد انتبذ من
صحبه جانباً - أحضرت الأسلحة ووضعتها أمامه قائلة :
« انظر هذه الأسلحة ، التي وعدتك بها ، وقد صنعها
لك زوجي إله النار ، ولن تتحاشى معها من عدو ، حتى
ولا طورنوس ذاته » . وقد سرّ سروراً عظيماً برؤيتها ،
ثم جربها عليه ، وعلق الترس على كتفه ، وهو لا يعلم
أيّ أقدار جبارة يحمل فيها لأولاده من بعده .

٢٠

نيزوس واوريالوس

كانت جينو تتحين الفرص لرجال طروادة ، فبعثت
بإيريس رسولة الأرباب إلى طورنوس ، حيث أقام في
كهف أبيه فيلمنوس ، وقالت له : « إن ما لم يجرؤ
أحد الأرباب أن يعيدك به ، أحضره الزمان اليك ، فقد
ترك انياس صحبه وفلكه باحثاً عن مدينة افاندر ، اجل
وباحثاً عن التوسكانيين كذلك ، فاغتنمها فرصة ، وباغت
بها مخيمه في غيابه » .

ثم بسطت جناحيها ، وصعدت السماء على سهم قوس
قزح ، فصرخ طورنوس : « لقد عرفتك أيتها الإلهة ،
وانني متبع لإشارتك » . وبعد أن غسل يديه ، صلى ونذر
للأرباب نذره .

وتقدم الجيش للقتال ، يقود ميسابوس مقدمة صفوفه ،
ويقود أولاد تيروز المؤخرة ، وفي الوسط كان طورنوس .
ورأى رجال طروادة سحاباً عظيماً من الغبار يغطي السهل ،
فصرخ كايكوس عن الأسوار قائلاً : « ما هذا السحاب
الذي أرى ؟ إلى السلاح يا رفاقي ، وتسلقوا الأسوار ،
فلن العدو على الأبواب » . ثم أغلق رجال طروادة
البوابات ، وحصنوا الأسوار ، فقد أوصاهم انياس بذلك
قائلاً : « لا تشبكوا في معركة مهما وقع لكم ، ولا
تسلموا بأنفسكم إلى السهل ، بل دافعوا عن أسواركم » .
ولذا أغلقوا بواباتهم ، ومكثوا ينتظرون اقتراب العدو .
وقدم طورنوس أولاً يمتطي جواداً تراقياً ، يصحبه عشرون
من الفتيان ، وصرخ يقول : « هل منكم رجل يجرؤ على
المهجوم ؟ » ورمى نباله يفتح المعركة . وصرخ رجاله
عالياً ، وهم دهشون لالتزام رجال طروادة داخل أسوارهم ،
وعدم خروجهم إلى المعركة . وعكف طورنوس على
الأسوار يتفحصها علّه يجد لاختراقها سبيلاً . وكما يُعسّس
الذئب حول الحظيرة ، وقد أمنت الحملان إلى جانب
أمانيها ، تشغو ثغاء اهتاج لسماعه ، وجُن جنونه حقداً
وجوعاً ، وجف لسانه عطشاً للدماء ، هكذا أخذ الهياج
طورنوس حول المخيم ، وهو يدبر أمراً يقدر معه على

استدراج رجال طروادة إلى السهل . وفكر أخيراً بالسفن
الراسية بجانب المخيم ، فطلب إحضار مشاعل من الصنوبر ،
وتبعه رجاله يتصايحون ، وتصاعد الدخان إلى السماء .

ووقعت الآن معجزة ، فحينما كان انياس يني سفنه
على جبل إيذا ، خاطبت سيبيلا أم الأرباب الإله جوبيتر
قائلة : « هب يا ولدي هذه السفن التي ينيها انياس من
صنوبري - فقد أعطيته إياها منحة - هبها النجاة من
الرياح والأمواج » . ولكن جوبيتر أجاب : « ما هذا
الذي تطلبين يا أمّاه ، أتريدين الخلود لسفن فانيّة ؟
لا بل سأمنحه هذا : إن أية سفينة من هاته تبلغ أرض إيطاليا
سالمة ، تصبح حورية من حوريات البحر » . وقد حلّ
الآن اليوم الموعود . وسمع صوت مرعب يقول : « لا تخافوا
يا رجال طروادة ، ولا تهتموا بالدفاع عن سفنكم » . ثم
قال الصوت للسفن : « اذهبي ! وكوني من الآن وصاعداً
من حوريات البحر » . ويا للعجب ! ها قد تقطعت
الأسلاك في الحال ، وحلت مكان السفن أشكال نسائية ،
فكانت مكان كل سفينة امرأة .

وعجب اللاتينيون أشد العجب لهذا ، وأوقف تير
مجرّاه ، ليشاهد ما حدث ، ولكن طورنوس لم يأخذه

رعب ، بل قال : « إن هذه المعجزة تعني لرجال طروادة شراً . فإن سفنهم لا تتحمل هجومنا . ولم يعد لديهم ما يقدرّون معه على الهرب من أمامنا . أما القدر فلا أبالي به . فقد قُدرّ على رجال طروادة أن يبلغوا أرض إيطاليا ، وقدر علي أن اهلك هذه السلالة اللعينة ، فقد سرقوا مني زوجي ، وألحقوا ضرهم بأناس غير مانيلا . وقد كان يكفيهم حقاً أن يهلكوا مرة ، ولكن لم يعاودون خطيئتهم ؟ وقد كان من الخير لهم أن يعافوا الجنس النسائي بعد ذلك . ام انهم يظنون أن هذا الحاجز سيقوم بحمايتهم ؟ ألم يروا الأسوار التي بناها نبتون تنهار في النار ؟ والآن من منكم يأتي معي لهدم مخيمهم ؟ فأنا لست بحاجة إلى أسلحة تخرج من محدة الإله فولكان ، ولا إلى ألف سفينة ، وليس لهم أن يخشوا أعمال التخفي والظلمة ، فإننا لن نختبئ في حصان خشبي ، بل سنحرق أسوارهم في وضح النهار . وان فتيان إيطاليا هم حقاً ليسوا كفتيان الإغريق الذين ألزمهم هكطور الحدود عشرة أعوام » . ثم اصدر الأمر بمحاصرة المخيم ، واقام ميسافوس على مراقبة البوابة ، وجعل أربعة عشر زعيماً من الروتاليين مع كل منهم مائة شاب حراساً على الأسوار ، وأقاموا الليل بطوله يرقبون ، ويحتفلون ، ويشربون ، ويمرحون .

ولكن رجال طروادة أكبوا على العمل في هذه الأثناء ، يدعمون بواباتهم ، ويقوّون أبراج أسوارهم . وكان منيئوس وسرجستوس سريعين في أوامرها وفي حثها الرجال على العمل ، فقد أقامها انياس لمثل هذا إذا مست الحاجة إلى ذلك في غيابه .

وكان الودّ العظيم يجمع بين نيزوس حارس البوابة ، وهو محارب باسل ، وأورياالوس أجمل فتى بين الطرواديين ، فقال نيزوس لصاحبه ، وهما يحرسان : « لا أدري إذا كانت هذه دعوة من الأرباب أم انها حافز من نفسي ، فإن في قلبي لرغبة شديدة هذه الليلة ، ألا ترى الأعداء كيف يستسلمون لنومهم ثملين ؟ ألا أقدر أن أنال بعض الشرف ، وأحمل انباء هذه الأمور إلى انياس ؟ فهناك عند الهضبة تُسلك الطريق إلى مدينة افاندر » .

فأجابه اورياالوس : « كلا يا نيزوس إنني لن أدعك تذهب وحيداً ، ولن تتركني ، فإن والدي اوفلتيس لم يدرّني على سفالة كهذه ، ولم أحمل نفسي على مثلها في صحبتك ، وحقاً انني أحسب أن الحياة تستحق ان تضحي في سبيل شرف كهذا » .

فقال نيزوس : « إنني لم أظن بك سوءاً ، ولعلّ جوبيتر يرجعني سالماً ويُنيلني شرفاً ، أما إذا أصابني سوء ،

فلأنني أودّ ان نحيا لاسترجاع جثتي ، وإذا ما تعذّر هذا
فلتكريم روعي ، ثم فكرت بأملك التي قدمت إلى إيطاليا من
دون أمهات طروادة جميعاً حباً بك .

ولكن اوريالوس ، قال : « إنك لتأتي بالواهي من
الأعداء ، فقد عزمت عزماً راسخاً على الذهاب معك ،
فلنسرع إذن » . ثم أيقظا أولئك الذين سيأخذون مكانهما
عند البوابة ، وقصدا الزعماء يطلبان منهم الإذن بالكلام ،
فوجداهم يعقدون مجلساً ، وقد وقفوا في وسط المخيم متكئين
على رماحهم ، فقال نيزوس إن لديه ما يقوله ، وإن
الأمر يستدعي السرعة ، فدعاه يولوس إلى الكلام فأجاب :
« ان العدو يستسلم إلى النوم ثملاً عند الأسوار ، وان
نيرانه لتخبو ، وإذا ما اسعفنا الحظ ، فسنظفر بشقّ طريقنا
إلى انياس ، في بلدة افاندر ، ونذبح الكثيرين ونربح
الأسلاب .

أما الطريق فنعرفه ، وقد علمنا بمسالكه حينما كنا نصطاد
في هذه الأنحاء » . عندها قال العجوز ايتيس : « لا ريب
في أن طروادة لن تهلك ، ولديها قلوبٌ مثل قلوبكم » .

ورمى سلاحه عندهما وهو ينتحب ، فقال يولوس :
« أرجعاً أبي الينا ، فلا يكون إلا الخير ، وسأعطيكما

كأسين من الفضة نقشا بصور الرجال ، أخذهما أبي من
بلدة اريسبا ، وإذا ما أخضعنا أرض إيطاليا ، فإن جباد
طورنوس وسلاحه ستكون من نصيبك يا نيزوس ، وستنال
معها اثنتي عشرة أسيرة ، واثني عشر رجلاً بأسلحتهم ،
مع مملكة الملك لاتينوس . أما انت يا اوريالوس فانك
أقرب إليّ سناً وستخلفني في كل الامور » .

فأجاب اوريالوس : « إنني أطلب اليك المزيد من أمر
آخر . فإن لي أمّاً من نسل فريام ، ولم أذهب لوداعها ،
لأنني لا أقدر على احتمال دموعها ، فارغتها بعنايتك
إذا ما ثكلتني » . فقال يولوس : « إنها ستكون لي
مثل أمتي » .

ثم أعطاه سيفه بغمده العاجي ، كما ان مينيزوس أعطى
نيزوس جلد أسد ، وأعطاه البتيس خوذة . وشيعوهما
جميعاً إلى البوابات بالأدعية والنذر . أما يولوس ، وهو
الذي يتصف بحكمة تفوق سنيه ، فقد أرسل إلى أبيه
رسائل كثيرة .

ثم قطعاً الخندق ، وأتيا الأعداء ، وهم نيام ، وقد
مشى نيزوس إلى الأمام ووراءه اوريالوس مراقباً ، لكي
لا يهاجمها أحد من وراء . فذبح نيزوس رانيس وهو

نائم : وهو العراف الذي كان لطورنوس فيه ثقة شاملة ، ولكنه لم يتنبأ عن هلاك نفسه . ثم ذبح الخدم الثلاثة ، وحامل الأسلحة ، وسائق مركبة ريموس . ثم عكف على ريموس ذاته ، فقطع رأسه ، وذبح آخرين بينهم سرانوس الفتى الجميل ، الذي كان المجليّ في رياضة هذه الليلة ، وقد كان من الخير له لو أطل هذه الرياضة إلى الفجر . وذبح أوريالوس الكثيرين كذلك ، وكلهم كانوا يغطون في نومهم ، ما عدا روتوس ، وهو الوحيد من بينهم الذي كان يقظاً ، وحاول عبثاً الاختباء وراء قلة كبيرة للمياه ، ولما أوشك ان يذبح ميسابوس ورفاقه ، صرخ نيزوس وقد رآه مأخوذاً بحب الذبح ، قائلاً : « كُف الآن ، فقد اقترب النهار ويكفي أننا وجدنا في وسط الأعداء سبيلنا » . وتركوا وراءهما كثيراً من الأسلاب ، ولكن أوريالوس أخذ من رانيس حزام سيفه المرصع بمسامير ذهبية . - وهو حزام كان كيديكوس قد أعطاه لريمولوس التيبوريّ ، وهذا أعطاه لحفيده ، وربحه منه رانيس في الحرب - ووضع على رأسه خوذة ميسابوس . وهكذا رحلوا عن المخيم .

ولكن حدث أن كان ثلاثمائة من الفرسان يقودهم

فولستر قادمين إلى المخيم من المدينة ، ولما اقتربوا لمح أحدهم خوذة أوريالوس على ضوء القمر ، وقد وضعها لصغر سنّه وتهوره على رأسه ، فصرخ فولستر : « من أنت ؟ وإلى أين تذهب ؟ » .

ولكنهما لم يجيبا ، بل أسرعا بالهرب . فأصدر عندئذ فولستر أمره بتطويق الغابة من كل ناحية ، وكانت شديدة الكثافة ، لما بها من أشجار الشربين الداكنة اللون والعوسج ، وقد تاه أوريالوس عن الطريق حقاً ، فقد ثقل عليه ما يحمل من أسلاب ، وتملكه الخوف . أما نيزوس فقد نجا بنفسه ، ولكنه حينما أتى الأسطبلات التي تحفظ فيها أبقار الملك لاتينوس وجد نفسه وحيداً ، ونظر حوله باحثاً عن رفيقه ، فلم يجد له أثراً ، فعاد على أعقابهِ يبحث عنه في أنحاء الغاب حتى سمع أصوات الفرسان تقترب ويا للهول ! فإن أوريالوس كان في الوسط يطلب النجاة ، ولا يقدر عليها . وقد دعا هذا ديانا أولاً ، علّها تقدّم له العون ، فيقدر على تبديد هذه الجماعة ، ثم رمى رمحه فوراً . فاخترق ظهر سولو نافداً من قلبه ، وحينما تطلّع الجميع دهشين ، رمى رمح آخر نفذ من رأس تاغوس من الصدغ إلى الصدغ . فأخذ الحنق من فولستر كل مأخذ ، وهو يرى ذبحاً كهذا ، ولا يعلم كيف حدث ، فصاح قائلاً : « إنك ستجزى على

أعمالك هذه على كل حال » . وهجم على اوريالوس ،
ولكن نيزوس لم يقدر على رؤية هذا ، فأسرع من مجابهة ،
وصرخ قائلاً : « لا ! إنني أنا الرجل الذي أقدم على
هذا الصنيع ، فحوّل سيفك إليّ . أما هذا فلم يقم ،
ولا يقدر أن يقوم بأعمال كهذه ، ولم يزد على أن كان
يتبع صديقه » . ولكن سيف فولستر مع ذلك لم يتأخر عن
اختراق جنب اوريالوس ، فانثق الدم يسيل على جسمه
الجميل ، وتدلّ رأسه كما تتدلّ زهرة قطعها حدّ المحراث
في الغاب ، أو كزهرة من الحشخاش قطع منها ساقها .
ثم هجم نيزوس إلى الوسط وهو لا يفكر إلا بوسيلة ،
يفتك فيها بفولستر ، ولم يقدر الأعداء على وقفه ، بل
أرسل سيفه إلى فمه وفتك به ، ثم وقع قتيلاً فوق جثة
صديقه ، بعد أن أصيب بجروح كثيرة .

ولكن لما قدم الفرسان إلى المعسكر شاهدوا المذبحة التي
حدثت هناك ، ولما بزغ النهار أقاموا القتال صفّاً ضد
رجال طروادة ، ووضعوا رأسي اوريالوس ونيزوس على
صاريتين وأروهم إياهما .

ولما بلغت هذه الأنباء مسامع أم اوريالوس ألقت بمغزها
جانباً ، وأسرعت تحترق المعسكر ، وحينما قدمت السور
صرخت قائلة : « أمكذا أراك يا بني ؟ لم لم أمنح هبة

توديعك ؟ ولن أغض الآن عينيك ، أو ألقك بالأكسية
التي صنعت وأنا اتسلى عن همومي بالعكوف على المنوال .
فافتكوا بي برماحكم أيها اللاتينيون ، أو فاضربني بصاعقة
من لدنك يا جوبيتر العظيم ، ما دمت لا أقدر على الخلاص
بطريقة أخرى من هذه الحياة البغيضة » .

ولكنها مسّت بنديها قلوب الرجال ، فأنستهم شجاعتهم ،
ولذا ذهب النيونوس ويولوس وأحضرا ايزوس واكتور
وأمرهما بأن يأخذا بيدها ويحملاها إلى مسكنها .

ثم قدم ميزنتيوس التوسكاني يهز في يده مشعلاً من
الصنوبر ، وهدم ميسزافوس الاستحكام طالباً مرقاة يتسلقها
إلى الثغرة .

وكان يعلو السور برج قصد اللاتينيون إلى الاستيلاء
عليه ، ودافع عنه الطرواد برمي الحجارة والسهام من داخل
الثُلَم . وإلى هذه الثلم صوب طورنوس شعلة ، بغية
إشعال النار في السور فثار اللهب تزيده الرياح ضِراماً ،
وامتد متصاعداً من طبقة إلى طبقة . وحينما هرب مَنْ
بداخله إلى النواحي التي لم تمسها النيران بعد ، حدث
ويا للهول ! أن انهار البرج ، فهلك من به جميعاً ، ولم
ينج منهم إلا اثنان هما هلنور وليكوس ، وكان هلنور
أكبرهما سناً ، ولما رأى الأعداء يطبقون عليه من كل
ناحية ، أصبح مثله كمثل الحيوان الذي يضيق عليه
الصيادون الدائرة ، ويأخذه الحلق يائساً ، فيرمي بنفسه في
شباكهم متلقياً رماحهم ، وهكذا رمى هلنور نفسه بين
صفوف اللاتين ، حيث الرماح على اكتفها فقتل فوراً .
أما ليكوس السريع الخطى ، فقد بلغ الأسوار ، وود لو
قدر على تسلقها . ولكن طورنوس أمسك به قائلاً : « هل
تفكر في النجاة مني ؟ » ووضع عليه يديه وهو يتدلى من

المعركة في المخيم

ونفخ في البوق أن أعلن القتال ، وتقدم الفولسيان أولاً
نحو السور ، وحملوا تروسهم فوق رؤوسهم ، وجمعوها
صفاً متراصاً ، فبدوا وكأنهم في إهاب السلاحف ، وملاً
هؤلاء الخندق ، ثم دكوا الأسوار . وصعده بعضهم على
مرقاة ، بينما كان رجال طروادة يرشقونهم بالنبال، ويرمون
عليهم الصواري .. وقد حذقوا حقاً هذا النوع من القتال
عن الأسوار ، ثم احتموا وراء تروسهم ، ورموا صخرة
ضخمة ، فتناثرت أجزاؤها ، وبعثرت الرجال الذين لم
يعد بمقدورهم متابعة القتال على هذه الصورة ، بل كانوا
يرسلون على الطرواد النشابات وما يشابهها من السلاح .

الأسوار ، وسحبه وهو يجر وراءه قسماً كبيراً من السور ،
وقبض عليه قبضة النسر على بطة ، أو قبضة الذئب على
حمل صغير ، ثم ثارت ثائرة المعركة ، ووقع القتلى من
هؤلاء وأولئك ، فضرب الينوس لوسيتيوس ، وهو
يحاول إشعال النار بالأبواب ، وفتك كابيس بريفرونوس ،
وبعد أن رمى ميزنتوس رمحه قذف من مقلاعه بقذيفة
سحقتها قوته ، على ابن أرسيس .

أما يولوس ، الذي لم يعمل قوسه من قبل إلا في
اصطياد حيوانات البر ، تراه يحولها الآن نحو رجل ، وهو
نيانوس الذي كان لأخت طورنورس زوجاً . وقد حسب
نيانوس هذا انه رجل "عظيم فوقف في الصف الأول يتحدى
الطرواديين قائلاً : « ألا تنجلون من حصاركم هذا ، وقد غلبتم
مرتين إلى الآن ؟ وأي جنون دفعكم إلى إيطاليا ؟ إننا قوم
قساة ، نغطس أطفالنا في مجاري المياه ، ويذهب صبياننا
إلى الصيد في الغابات ، وحينما نصبح رجالاً ، فإن أيدينا
أبدأ إما على المحراث أو على السيف . أما الشيخوخة فلا
تخضعنا أبداً ، وقد يصبح شعرنا أبيضاً ، ولكننا لا ننفك
عن تغطيته بالحوذة ، أما أنتم فعاطفكم من الأرجوان
والزعفران ، وجلابيكم ذات أرداف ، وقلانسكم مزركشة

مزخرقة ، وانكم تحبون النوم ، وتعشقون الرقص ، فإذا
تفعلون هنا يا رجال ، بل يا نساء فريجيا ؟ » .

فلم يطق الفتى يولوس سماع تبجح كهذا ، فثبت على
قوسه سهماً ، وشد الوتر ، وكان من شعر الخيل ، ثم
رمى ، ودعا جوبيتر يقول : « أعني الآن أيها الخالق
العظيم ، وسأحضر لمعبدك عجلاً مذهب القرنين عاماً فعاماً » .
واستجاب جوبيتر الدعاء ، وأرسل الرعد عن اليمين ،
ورن معه وتر القوس يرسل الموت ، وأز السهم في الفضاء ،
فأصمى نيمانوس نافذاً من أحد صدغيه إلى الآخر ، وصاح
به يولوس : « هذا هو الجواب الذي يبعثه إليك رجال
طروادة الذين غلبوا مرتين » . وضج الشعب يهتف فرحاً ،
وتكلم أفلون من عليائه ، وهو يشاهد المعركة ، فقال :
« سيروا كما بدأتُم يا أبناء الأرباب وآباءهم ، هكذا سينهي
أبناء طروادة الحروب بعد الآن » . ثم نزل من السماء إلى
معسكر الطرواديين ، متخذاً شكل بوتيس العجوز ، الذي
كان حامل سلاح النخيس في سالف الأيام ، وهو الآن يتبع
يولوس . وتكلم الإله قائلاً : « يكفيك الآن الفتك بهذا
المتبجح نيمانوس ، إن أفلون النبأ لا يحسدك على مجدك
هذا ، ولكن لا تحاول القتال مرة أخرى » . قال هذا

وثواري عن أعينهم ، وعرف الزعماء من يكون ، وهم يسمعون صليل جعبته عند رحيله ، ولم يدعوا يولوس يجذب قوسه بعد ذلك ، ولكن الحرب احتدم أوارها على طول الأسوار .

وكان هناك شابان هما ولدا الكانور من جبل إيذا ، لهما قامة طويلة كأشجار الصنوبر ، وكانا يدعيان فندروس وبيتياس . وكانا يقومان على حراسة البوابة . ففتحاهما ووقفا عن اليمين والشمال منها وكأنهما يرحبان ، وطلبا إلى الأعداء عبورها . ولما رأى بعض هؤلاء الباب المفتوح ، هجموا يريدون اقتحامه ، فقتلوا على العتبة ، واشتدت عزائم الطرود ، فازداد ضغطهم من فوق الأسوار .

ولما سمع طورنوس هذه الأنباء ، أسرع إلى الباب ، ففتك بأنثينات بن سرمدون وغيره ، ومنهم بيتياس ، ولم يقتله بالنشاب (فلن تعمل النشاب عملاً كهذا) ، بل قتله برمح سغتموي بلغ طول سنه ذراعاً . فنفذ من طبقتين من جلود الثيران ، وطيتين من رداثه ذي الزرد ، فوقع على الأرض يسمع لسقوطه هدير كهدة ركيزة عظيمة ، أقامها الناس عند خليج بايا . ولما رأى أخوه

فندروس أن الأمور تتعثر أمام أهل طروادة ، أغلق الباب ، وهو يدفعه إلى مكانه بمنكيه العريضين ، تاركاً خارجه الكثير من صحبه للعدو ، ومغلقاً إياه على الكثيرين ، وقد أعمته السرعة والخوف ، فلم يفتن إلى وجود الأمير طورنوس بينهم ، وكان هذا هائجاً يطلب الدماء ، وكأنه نمر بين قطعان من الماشية ، ولاذ رجال طروادة بالهرب من أمامه . أما فندروس فلم يخش لقياه ، يحدوه الأمل بالانتقام لأخيه ، وصرخ يقول : « إن هذه ليست بمديتك أردي ، بل هو معسكر أعدائك فلا توغل فيها » . فأجاب طورنوس : « إبدأ إذا كان في صدرك قلب باسل ، واعلم أنك ملاق أخيراً آخر » . ورمى فندروس رمحاً عظيماً ذا قناة معقدة ، ترك عليه لحاؤه ، ولكن جينو نحته جانباً ، فوقع على الباب . فقال طورنوس : « إن سلاحني لن ينجيك هكذا ، ولن تقترف يدي خطأ كهذا » . ورفع سيفه بالضربة ، فشق رأس الرجل وانفلق على كتفيه ، ولو فكر طورنوس بفتح الباب ، ودعوة اللاتينيين إلى الداخل ، لكان في ذلك نهاية هذه الحرب ، بل نهاية الأمة الطروادية ، ولكنه لم يفكر بهذا ، ولم يهجم من الأمر سوى الفتك بالأعداء . وقد ضرب منهم الكثيرين بعضهم من قبل ، وبعضهم من دبر ، وهو هارب

أمامه ، ومن بينهم أميكوس الصياد ، وكليتيوس المنشد ،
الذي أثرته ملكات الفن بحبهن .

وبدأ زعيما طروادة منتوس وسرغنتوس بجمع شمل
الشعب ، والهجوم على طورنوس ، وصرخ الأول قائلاً :
« إلى أين تفرون ، هل لكم أسوار غير هذه ، يحدث
رجل فرد مذبحه كهذه في المدينة ؟ ألا تفكرون قليلاً
بمليكم أيها الجبناء ؟ » عندها استرد الطرواديون قواهم ،
وتجمعوا صفاً متراصاً ، ولم يعد بوسع طورنوس إلا الإذعان
أمامهم ، فكان كالأسد يرده جمعٌ من الناس ، فهو
خائف ومفترس معاً ، ولا تجيز له شجاعته الهرب ،
ولكن أخصامه كثيرون ، فلا يجرؤ على الوقوف أمامهم .
وهكذا كان إذعان طورنوس ، فقد ارتدّ على رجال
طروادة ، وجعلهم يفرون من أمامه ، ولكنهم تغلبوا
عليه في المرتين ، فقد تقارعت على خوذته النبال ، ثم
كسرت بالحجارة ، ونزعت عنها ريشتها ، وتقلقل الترس
بالضربات ، وسال العرق منه ، حتى تعذر عليه
التنفس ، إلى أن بلغ النهر أخيراً فغطس فيه ، ورجع
إلى صحبه .

وبقيت المعركة يستعر أوارها ، ويشتدّ حول الأسوار ،

وصارت حلقة الذين يدافعون عن المعسكر تضؤل وتضعف ،
وقد وقف هنالك أزيوس بن امبرازوس ثم كلاروس وثمانون
أخو سريندون اللّبيقي ، واكمون أخو منتوس ومعهم
غيرهم . ووقف في وسطهم يولوس الفتى برأسه العاري
الجميل ، وكأنه جوهرة نزلت بالذهب أو العاج ، أو
طوقت بالبقس أو البطم .

المعركة عند الشاطئ

كان انياس في هذه الأثناء قد عقد مع تارشون والتوسكان حلفاً ، فإنه حيناً بسط لزعيمهم تارشون أمره شارحاً له كل شيء ، ذاكرأ له سبب قدومه ، تبعه الشعب راضياً ، وهو يعتقد أن كل شيء ينجز الآن حسب مشيئة الآلهة ، فعاد إلى المعسكر في سفنه ، يسير في سفينة في المقدمة ، وعلى مرئحتها نقش أسدان فوقها صورة الإلهة إيذا ، وجلس بجانبه فلاس يسأله حيناً خبر النجوم التي يسترشد بها الناس في سيرهم ليلاً ، وحيناً يسأله عما عاناه هو برأً وبحراً .

وجاء ورائه ماسيكوس يقود سفينة (النمر) ، ومعه ألف رجل من كلوسيوم وكوسي ، ثم اباس يرافقه ستمائة

من بوبلونيا ، وثلاثمائة من ايلفا الغنية بمعادنها ، ثم العراف اسيلاس يقود ألف رجل من بيزا ، ثم أستير أجمل الرجال ، ومعه ثلاثمائة من كيرى ، ومن سهول القمح في مينيو ، ومن فيرجي .

وجاء الليغوريون مع سينيراس بن سيكنوس وكانت ريش خوذته من البط ، أما سفينته فتدعى القنطروس ، وأتى اوكنوس من مانتوا على سفينته مينسيوس ، ومعه خمسمائة رجل . واولستيس على السفينة تريتون ، وبلغ عدد السفن الثلاثين عدداً .

وحلّ الليل ، وبينما كان انياس عند دفعة السفينة ، وقد منعه الهواجس من النوم ، رأى هنالك عجباً ، فقد بدت أمامه مجموعة من الحوريات ، وقد كنّ يوماً سفنه ، واقتربت إحداهن واسمها سيمودوسي من الحلف ، وأمسكت بكوئل السفينة بيدها اليمنى ، وجعلت تسبح باليسرى ، وقالت : « أبقِظْ أنت يا ابن الإلهة ؟ إننا صنوبر إيذا ، وكنا سفنك قبلاً ، وقد قُلبنا الآن إلى حوريات ، حيناً أراد طورنوس حرقنا بالنار ، واعلم أن ابنك محاصر في المعسكر ، فتلاًم الآن لأمتك التي صنعها لك فولكان ، وستلقي غداً بكثير من اللاتينيين إلى الموت » . ودفعت

السفينة بيدها وهي تتكلم فأسرعت السير تشق المياه، وتتبعها السفن الباقية .

ولما أقبل النهار أمر انياس باستعداد الجميع للقتال ، وأصبح المعسكر الآن على مرمى البصر منه ، فوقف عند كوثل السفينة ، ورفع بيده اليسرى ترساً لامعاً ، فابتهج الطرود لهذا المشهد، وهتفوا أشدَّ اهتاف . وعجب طورنوس وصحبه إلى أن نظروا خلفهم ويا لدهشتهم مما رأوا ! فقد غص البحر بالسفن ، يتوسطها انياس ، وكأنَّ اللهب يتدفق من خوذته ، وأما ترسه فله بريق كأنه المذنب يشع في الليل أحمر كالدماء ، أو كأنه النجم الكلي في أيام الصيف الحارة ، ببريقه الضار وهو يجلب للبشر أنواع الحميات .

ولكن طورنوس لم يَهِنْ له عزم ، فهو يبغي احتلال الشاطئ ، ومنع القادمين من النزول ، ولهذا صرخ قائلاً : « لقد أتاكم الآن ما طالما تمنيتُم ، فانظروا ! إن العدو لا يختبئ وراء أسوار ، بل يلقانا وجهاً لوجه ، فاذكروا نساءكم وأطفالكم في ربكم ، واذكروا جليل أعمال آبائكم . فلنذهب للقائهم عند الشاطئ ، قبل أن يثبتوا أقدامهم » .

وكان انياس في هذه الأثناء قد أنزل رجاله من السفن على صقالات ، وقفز بعضهم إلى الشاطئ بعد أن رقب

جزر الأمواج ، وركض البعض فوق المجاذيف ، ولحظ تارشون الاترورياني مكاناً لا تبلغه ضربات الموج ، فأمر رجاله بإرساء السفن فيه . ففعلوا دون أي عائق ، غير أن سفينة تارشون نفسه ، اصطدمت بحرف ، فقذف منها رجالها ولكنهم بعد هنيهة بلغوا الشاطئ سالمين .

ثم قام انياس ضد العدو بأعمال عظيمة . فبدأ بالفتك بشيرون الذي فاق الرجال قامة ، فاخترق الزرد من ردايه ، ثم سيسوس وجياس الذي يحسن استعمال النبايت على طريقة هرقل . وكانا ولدي ميلامفوس الذي صاحب هرقل ، وشاركه بكل مشاقه واتعابه ، ثم أقبل أبناء فوركوس السبعة يهاجمونه ، ورموه بسبعة رماح ارتد بعضها عن مجنه ، وكشط بعضها جسده ، دون أن يناله منها أذى . فصاح انياس على أخات يقول : « هات من الرماح ما فيه الكفاية ، فإن الرماح التي فتكت بالإغريق في سهول طروادة لا يجب أن تُرمى على هؤلاء اللاتين عبثاً » . ثم فتك من هؤلاء السبعة باثنين هما ميون والكنور ، فقد اخترق الرمح من الأول لوحة الصدر والقلب ، أما الثاني فقد ودَّ أن يُنهض أخاه فنفذ الرمح من عضده ، وتابع اختراقه . وجُنْدل الكثيرون من الجانبين ، فقد كانوا

يحاربون وحظوظهم متساوية . انهم يحاربون عند عتبة إيطاليا ذاتها ، فلا الإيطاليون يفسحون المجال ، ولا رجال طروادة ينكصون . وقد رسخت القدم حذو القدم ، واحتك الرجل بالرجل .

وقاتل فالاس مع رجاله الارقادين في مكان آخر من المعركة ، ولكنه رأى أنهم يفرّون لعدم رغبتهم في القتال راجلين (فقد أرسلوا خيولهم لأسباب تتعلق بطبيعة الأرض) ، فصاح بهم يقول : « إنني أتوسل اليكم باسم مليكم إفاندر ، وباسم أملي ، بأن أنال من الشئ ما يناله ، أن لا تعولوا على أقدامكم ، بل يجب أن تجدوا طريقكم نحو الأعداء معتمدين على سيوفكم . فاتبعوني إلى حيث يكون الجمع على أكثفه ، فإن الذين يحاربونكم ليسوا بآلهة ، وليس من ترون إلا رجالاً فاني . » . وهجم الى وسط الأعداء ، وبدأ بالفتك بلاغوس ، فضربه برمح ، بينما كان يتناول حجراً كبيراً من الأرض ، فكانت الطعنة في ظهره ، ثم حاول سحب الرمح ، فأثاه هيسبو يبغي قتله ، وهو يجهد في نزع الرمح ، ولكن فالاس تنبه لقدمه ، فأعمل سيفه في صدره . ثم انثنى إلى ذبح الأخوين التوأمين لاريديس وثمر ، وكانا من الشبه بحيث أنه كان يسرّ

أمه وأباهما أن لا يميزا أحدهما من الآخر ، ولكن فالاس جعل بينهما ميزة لا رحمة فيها ، فقد قطع من ثمر رأسه ، ومن لاريديس ذراعه اليمنى ، ثم قتل روتوس وهو يمرّ أمامه هارباً بمركبته . وهاجت ثائرة فالاس ورجاله الأرقادين للقتال ، فكانوا أشبه بنار يشعلها راع في الغاب ، ويمتد منها اللهب تحمله الرياح . ولما جاء هالوزوس ، رفيق أغامنون ، آملاً أن يصدّ هجومهم ، عاجله فالاس برمح ، بعد أن دعا الإله الخالق تير ، فاخترق صدره ووقع قتيلاً ، ثم جاء لوزسوس ابن الملك ميزنتيوس لنجدة اللاتين ، وقتل اباس البوبولوني وغيره . وتعادلت كفتا المعركة لوقت ما ، إذ كان فالاس يدعمها من جانب ، ولوزوس من جانب آخر ، وكانا جميلي المنظر ، متساويين سناً ، وقد فرض على كليهما أن لا يرجعا إلى موطنهما الأصلي ، ولم يتقابلا في المعركة لأن كلاهما كان يعلم بأن هلاك صاحبه لن يكون إلا عن يدٍ أعظم من يده .

ودعت الآن الحورية جوتورنا أخاها طورنوس بأن يسرع لنجدة لوزوس . ولما حضر نادى على اللاتين قائلاً : « أفسحوا لي الطريق ، فإن عليّ وحدي معالجة فالاس ، وكم كنت أودّ لو أن والده هنا يشهد الأمر بنفسه . »

ودهش فالاس كثيراً لمنظره ، ولرؤية الناس يفسحون له الطريق . ولما كان لا يخامره أدنى خوف ، فقد تقدم إلى المكان الكائن بين الجيوش . ومشى الدم بارداً في عروق الأرقاديين ، وهم يرونه يتقدم . ووثب طورنوس من مركبته ليلقاه راجلاً . ودعا فالاس قائلاً : « إذا كنت يا هرقل ضيف أبي حقاً ، فمدّني بعونك ! » وسمعه هرقل حيث يجلس في السماء ، وبكى لعجزه عن تقديم أية مساعدة . عندها قال جوبيتر : « إن أيام البشر معدودة يا بني » ، ولكنهم قادرون على التخليد بشريف أعمالهم ، وإن البسالة لتوفر هذا لهم على الأقل . ألم يقع الكثيرون من أبناء الآلهة قتلى في طروادة ؟ أجل ومنهم ابني سرفيدون ، أما طورنوس فإن يوم هلاكه . لقريب . قال هذا وحوّل نظره عن المعركة ، فأخذ فالاس رمحاً ، ورمى به طورنوس بكل ما لديه من قوة ، فاخترق منه الترس ، ومر بصداره ، بل كشط أعلى كتفه . وهز طورنوس رمحاً يوازنه قليلاً ، وقال : « أحسب أن الأفضل أن يذهب هذا في سبيله » . ثم أرسله فذهب فخرق الترس ، وجلد الثور الشخين ، ومر بطيات البرونز ، ونفذ الصدر ، وخرجت الطعنة من صدر فالاس إلى ظهره . ومزق فالاس الفولاذ ، عن الجرح ، فانبثقت منه الدماء وخرجت معها

روحه . ووقف طورنوس عند الجسد وقال : « يا رجال ارقاديا ! بلغوا الملك افاندر هذه الكلمات : لقد أعدت فالاس إلى حيث يستحق أن يعاد ، ولن اضمن عليه هبة إكرام الدفن ، وحقاً إن صداقة انياس قد كلفته غالياً » . ثم وضع رجله على الجثة وسحب عنها النطاق ، وهو نطاق عظيم ثقل نقش عليه كلونيوس بالذهب عمل بنات دانويس الحمسين ، وكيف ذبحن أزواجهن في ليلة واحدة ، ولكن اليوم الذي سيندم فيه طورنوس على مسه لهذا السلب أصبح قريباً . وبعد ذلك وضع سحب فالاس جثته على ترس ، وحملوه وهم يندبون ويبكون .

ووصلت الأنباء إلى انياس بأن سوء الحظ يلزم رجاله ، وأن فالاس قد قتل . فأسرع يقطع السهل ، وقد امتلأ قلبه حقداً على طورنوس ، وشفقة على إفاندر العجوز ، فبدأ بأسر ثمانية فتيان أحياء ليزبحهم على القبر ، ثم سدّد إلى لاغوس رمحاً ، ولكن هذا تجنبه بمهارة ، وهجم إلى الأمام ممسكاً بركبتي انياس ، يتضرع إليه ، بروح أبيه ، وآمال ابنه يولوس أن يعفو عنه ، ويأخذ الفدية عن حياته ، ولكن انياس اجاب : « لا تتحدث بالعفو ولا بالفدية ، فقد أصبح لكل فروسية الحرب حد ، بعد أن

فتك طورنوس بفالاس . ثم امسك الرجل من خوذته بيده اليسرى ، وحنى عنقه إلى الخلف ، وأنزل فيه السيف إلى مقبضه ، وعكف على الكثيرين من بواسل الزعماء ، يُعمل فيهم قتلاً وذبحاً ، مثل هيمونيدس كاهن فوبوس ، وديانا ، وتركيثوس بن فونوس ، وكامرس الاسمر بن فولستر ، وقد لقيه الآن أخوان في مركبة واحدة وهما لوكاغوس واليغير . وصرخ هذا وكان يقود الجياد : « ليست هذه الجياد بجياد ذيوميد ، ولا المركبة بمركبة أخيل ، لكي تقدر على النجاة منها. لا ! بل ان نهاية هذه الحروب ، ونهاية حياتك قد أتت » . فلم ينطق انياس بكلمة ، بل أرسل رمحاً معاجلاً لوكاغوس ، وهويتأهب للقتال ، واخترق ترسه ، ونفذ من فخذه ، فوقع إلى الأرض قتيلاً . فقال انياس ساخراً : « إن جيادك ليست بطيئة للهرب ، ولا تخيفها الظلال . فقد تركت مركبتك بملء إرادتك » . وأمسك بالجياد من رؤوسها ، فبسط اليغير يديه نحوه متوسلاً ، وقال : « أتضرع إليك باسم والديك ان ترحمني » . فأجابه انياس : « لا ، انك لم تتكلم هكذا من قبل ، قُتْ ، ولا توحش أخاك » . وضرب بالسيف صدره . وهكذا أعمل انياس الموت في الجيش ، وكأنه الجبار تيفوس ذو المائة ذراع . ولما رآه يولوس

ورجال طروادة تركوا المعسكر متقدمين اليه .

وفكرت جينو بحيلة تنجي بها طورنوس الذي تحبه ، فجعلت شكلاً يشبه انياس يمر من أمام عينيه ، وكأنه يتحداه للقتال ، ولما رغب طورنوس في قتاله ، هرب منه وتبعه طورنوس . واتفق أن رست هناك سفينة شددت إلى صخر عظيم ، وكان الملك ازينيوس قد قدم عليها إلى كلوزيوم ، وإليها هرب انياس الزائف . وجد طورنوس في أثره ، ولكنه لم يجد الرجل . وفيما هو ينظر ، قطعت جينو مراسي السفينة ، وأصبح والبحر يحيطه من كل ناحية ، فنادى قائلاً : « ماذا اقترفت يا جوبيتر العظيم ، حتى أعاني خزيًا كهذا ؟ وماذا سيظن اللاتينيون بهربي ؟ ألا أغرقني أيتها الرياح ، وأيتها الامواج ، أو فخذني بي إلى حيث لا تقع عليّ عينا رجل من بعد » . وقد حاول إلقاء نفسه في البحر ثلاثاً ، كما حاول الانتحار بسيفه ثلاثاً ، ولكن جينو منعه من ذلك ، وأرجعته سالمًا إلى بلد أبيه دونوس .

وانضمَّ الملك ميزنتيوس إلى المعركة في هذه الأثناء ، ولم يفلح جهد الطرواد ، ولا التوسكان في منعه ، ففتك بالكثيرين من بواسل الرجال ، مثل مياس الذي حملت به

تينو في نفس الليلة ، التي حملت فيها ايقاب بفاريس لفريام ،
واكتور الإغريقي الذي ترك عروسه الموعودة ، وجعل من
رمزها الأرجواني شارة له ، وضعها على خوذته ، واوروديس
ذي القامة الطويلة ، وكان هارباً ، فلم يتنازل الملك إلى
قتله في هروبه ، بل لاقاه وجهاً لوجه ، وضربه فصرخ
قائلاً : « كن من تكون ، فإنك لو اجد جزاءك قريباً ،
وإن هلاكاً مماثلاً ينتظرك ، وعلى هذه الأرض ستجد
لحدك » . فضحك ميزنتوس ، وأجاب : « مت الآن
ودع أمري للملك الأرباب والناس » .

وبعد هنيئة لمح انياس ميزنتوس وهو يقاتل ، فأسرع
للقائه ، ولم يتنح الملك ، بل صرخ قائلاً : « فلتكن الآن
هذه اليد اليمنى ، وهذا الرمح الذي أحسن استعماله إلهان يقدمان
لي العون » . وأرسل رمحه ، فضرب ترس انياس ، ولم
ينخرقه ولكنه لم يذهب عبثاً ، بل انحرف فأصاب انتوريس
في جنبه - وكان انتوريس هذا رفيقاً لهرقل ، ولحق من
بعده بالملك افاندر - فوق قتيلاً ، وتذكر وهو يموت
البلدة التي أحبها وهي أرغوس . ثم رمى انياس رمحه
بدوره ، فمضى يخرق إهاب الثور ، بعد أن مرّ بالترس ،
وجاءت الطعنة في حق الملك ، ولكنها لم تكن مميتة . وبلغ

من انياس السرور مبلغه ، حينما رأى الدم يتدفق من الجرح ،
فاستل سيفه وانقض على ميزنتوس ، الذي ثقل عليه الرمح
والجرح ، فأذعن . ولما رأى ابنه لوزوس هذا ، أنّ عالياً ،
وقفز الى الأمام متلقياً الضربة بسيفه . وتبعه صحبه
يتصايحون ، ورموا انياس برماحهم ، يصدونه بها إلى أن
انسحب مليكهم سالماً . ووقف انياس مدة ، تحت وابل
من الرماح ، وكأنه مسافر وقف بقي نفسه العاصفة .
ونادى على لوزوس قائلاً : « ماذا تبغي أيها
الأحمق ، ولم تجازف بما ليس لك قدرة على
احتماله ؟ » فلم يأبه لوزوس لتحذيره ، بل تابع هجومه .
فامتلاً قلب انياس غيظاً ، وأتى اليوم الذي يجب ان يموت
فيه لوزوس ، فقد ضربه انياس بسيفه ، فمرّ بالترس
والرداء المنسوج بالذهب ، واختفى في جسمه حتى حقوه .
وأخذت انياس الشفقة عليه حينما طرح أرضاً ، وفكر في
نفسه كيف كان يودّ هو أن يموت من أجل أبيه ، فتكلم
قائلاً : « ماذا يجب على انياس أن يقدم لك أيها الفتى
السيء الحظ من أجل نبلك هذا ؟ احتفظ بسلاحك الذي
كنت به فخوراً ، وليفعل والدك بجسدك ما يشاء ، وليكن
عزاؤك في موتك أنك قتلت بيد انياس العظيم » . ثم
أنهضه عن الأرض ، وطلب إلى رفاقه حمله .

وكان والده في هذه الاثناء قد عُني بجراحه ، وهو يتكىء على جذع شجرة عند نهر التبر . وقد تدلت خوذته من فرع الشجرة ، وطرحت أسلحته على الأرض ، بينما وقف أتباعه من حوله وهو لا ينفك يسألهم أبناء لوزوس ويبحث إليه من يطلب إليه الرجوع . ولما حملوا إليه جسده على ترس عرفه من بعيد ، فغفر رأسه الأبيض بالغبار ، ووقع على جثته يتحب ويقول : « هل اشتدت رغبتني في الحياة إلى هذا الحد يا بني حتى أجزت لك لقاء سيف العدو عني ؟ وهل نجوت أنا بهذه الجروح ؟ وهل أحيأ بموتك ؟ لقد اقدمت حقاً على الخزي يا بني باساءتي اليك . لكم كنت أود لو قدّمت حياتي الخاطئة لأجلك ! وأنا مائت ولا ريب ، ولن أموت الآن ؛ لأن هنالك عملاً يجب أن أعمله أولاً » . ثم نهض على فخذه ، وأمر بإحضار جواده ، وكان هذا مدار فخره وراحته ، ولكم عاد به ظافراً من حروبه ، وقد كان الحصان شديد الحزن ، فخاطبه قائلاً : « لقد عشت وإياك طويلاً يا روبوس ، إذا كان على الأرض شيء طويل ، ويجب أن ترجع الآن برأس انياس وسلاحه ، لنأثر لحبيبتنا لوزوس ، أو أن تموت معي ، فإنني أعلم بأنك لن تطيق أن تتخذ من طروادي صاحباً » .

وامتطى ظهر جواده ، ممسكاً بكل يد رحماً ، وأسرع لملاقاة انياس ، ودعاه باسمه ثلاثاً . وسر انياس لسماع صوته ، فجهر قائلاً : « فليمنحنا جوبيتر وأفلون بأن يكون هذا حقاً . ولنبدأ القتال » . فأجاب ميزنتوس : « لا تحاولن إخافتي ، فلن تقدر على إيدائي الآن بعد أن قتلت ولدي . لقد أتيتك لأموت ، ولكن خذ هذه الهدية أولاً » . ثم أرسل رمحه وأتبعه بالثاني ، وهو يدور حول عدوه بدائرة كبيرة ، ولكنها لم يكسرها حدة الترس الذهبية ، ووقف انياس ثابتاً يحمل غابة من الرماح على مجته . وطلع انياس أخيراً من وراء ترسه محنقاً ، ورمى رمحه ، فطعن جواد الحرب روبوس بين صدغيه ، فشب الحصان عن الأرض ورفس الهواء برجليه ، ووقع إلى الأرض وفارسه من تحته . وأرسل اللاتين والطرواد صيحة عظيمة ، وأسرع انياس ، وقد استل سيفه ووقف من فوقه وقال : « ابن ميزنتوس الشرس الآن ؟ » فقال الملك وهو يعاود التنفس : « لم تتوعدني بالموت ؟ بل اذبحني ، ولن تسيء بذلك إليّ فإنني لم أعقد معك للحياة ميثاقاً ، كما لم يعقد معك ولدي لوزوس ذلك حينما مات لأجلي . ولكن هبني طلباً واحداً . إنك تعلم أن قومي يُضَمرون لي كرهاً ، فامنع عنهم جسدي حتى لا يمسّوه بسوء ، ودع ابني يلحد معي في قبري » . ثم أسلم عنقه للسيف من غير وجل .

المجلس

وهكذا بلغت المعركة نهايتها . وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني قدم انياس نذوره . فقد أخذ شجرة من السنديان ، وشذب منها فروعها ، ووضعها على رابية ، ثم علق عليها لمارس نصبا حربيا ، مؤلفا من سلاح الملك ميزنتوس ، وقد قطرت ريش الخوذة دما ، والرماح البتراء ، والصدار وفيه اثنا عشر ثقباً ، ثم أوثق المجن إلى اليسار ، وعلق نحو العنق منه السيف ذا الغمد العاجي . ثم خاطب الزعماء الملتفين حوله ، قائلاً : « لقد صنعنا صنيعاً عظيماً ، فإنكم لترون هنا كل ما تبقى من ميزنتوس . فلنأخذ الأبهة إذن للحرب ضد مدينة لاتينوس ، وسنبداً هذا مع انبثاق فجر الغد . أما الآن فلندفن الموتى ، ولنقدم

لهم ما يجب من الإكرام . فلقد اشتروا لنا بدمائهم وطناً . ولكنني سأرسل فالاس أولاً إلى بلد أفاندر .

ثم ذهب إلى الخيمة ، حيث سجدت الجثة ، يحرسها اكوتيس العجوز - وقد كان اكوتيس حامل سلاح أفاندر ، ثم لحق بفالاس ، ولكن الحظ لم يسعده - ومن حول الجثة قامت النساء الطرواديات يندبن الميت ، وقد حللن شعورهن . ولكنهن لما رأين انياس قرعن صدورهن ، وأرسلن الصوت عالياً ، حتى بلغ عنان السماء . ولما رأى الملك الرأس مسنداً إلى حشية ، وشاهد الجرح البليغ في الصدر بكى ، وقال : « آه ! لم شاء الحظ أن يحرمني هذه الهبة ، وهي أن تشهد ملكي وتعود منصوراً إلى بيت أبيك ؟ لم يكن هذا ما وعدت أفاندر حينما عهد بك إليّ ، وقد حذرني بأن رجال ايطاليا بواسل شرسون . وقد تكون أيها الشيخ قائماً الآن على تقديم الأدعية والعطايا من أجله ، وهو لم يعد مديناً لأرباب السماء . وسترى على الأقل بأنه يحمل جرحاً شريفاً ، ولكن أي ابن خسرت يا ايطاليا ! وأي صديق أضعت يا يولوس ! »

ثم اختار عشرة من الرجال ، يذهبون مع الميت ، ويشاركون الأب أساه . ثم صنعوا نعشاً من فروع القطلب والسنديان ، ووضعوا فوقه مفالة من الأغصان ، وسجّوه

عليه ، فكان كزهرة من البنفسج أو الخزام قطفتها يد فتاة ، فبقيت لها نضارتها . وبقي لونها ، ولكن الأرض لم تعد تغذيها . وأخذ انياس رداءين من الأرجوان ، حاكتهما ديدو بنحيط من الذهب ، فلف بأحدهما الجسد ، وبالأخر الرأس . وحملت وراءه الأسلحة التي ربحها بالقتال . وقادوا اكونيس العجوز وهو يقرع صدره ويمزق خديته ، ويرتمي إلى الأرض ، ومشى إيتون الجواد الحربي بجانبه ، تتساقط العبرات الكبيرة على خديته . وحملوا وراءه نخوذته ومجته ، أما الأسلحة الباقية ، فقد استولى عليها طورنوس ، وتبع الجميع رجال طروادة والأرقاديون والتوسكانيون منكسي السلاح . وقال انياس : « إن المهام وويلات الحرب يدعوانني إلى مكان آخر ، فالوداع يا فالاس الحبيب إلى الأبد ! » . ثم برح المكان إلى المعسكر .

وأتى من المدينة سفراء ، وأغصان الزيتون على رؤوسهم ، وهم يطلبون الهدنة ، لكي يتمكنوا من دفن موتاهم ، فأجابهم انياس : « إنكم تطلبون السلام للموتى ، وبودتي لو أعطيه للأحياء . إنني لم آت هذه الأرض إلا بدعوة من الأقدار ، وإذا كان عليكم قد تحول عني ، وعن صداقتي ، إلى طورنوس ، فلا لوم علي ولا تريب . وأحسب أن طورنوس كان يجب أن يأخذ هذا العبء على

نفسه فقط . وإذا شاء الآن أن ينازلني رجلاً لرجل فليفعل . أما أنتم فقوموا بدفن موتاكم » .

ثم عقدوا هدنة تدوم اثني عشر يوماً ، وعكف رجال طروادة واللاتينيون يعملون معاً في تقطيع الحطب فوق الهضاب من الصنوبر والأرز والأجاص ، وبني رجال طروادة ركاماً عظيماً عند الشاطئ ، وحرقوا فوقه جثث أصحابهم ، ومعهم أسلحتهم ، وعمل اللاتينيون عملهم . وقام الذين اختيروا لحمل جثة فالاس إلى المدينة ، بما عهد إليهم ، فأقام له الملك افاندر والأرقاديون مأتماً عظيماً .

ولما انتهوا من دفن موتاهم ، ظهر في المدينة شغب عظيم ، لأن الكثيرين من أهلها فقدوا الزوج أو الأخ أو الولد ، فضجوا يصرخون بأن هذه ما هي إلا حرب خبيثة ، ويلعنون زواج طورنوس ، ويرغبون في قتاله لإنياس وجهاً لوجه ، لكي يكون لهذه الاضطرابات نهاية . ولكن حدث في وسط هذا الشغب أن عاد أولئك السفراء الذين أرسلوا إلى ذيوميذ يصرّحون بأن رجاءهم وعطاياهم كانت عبثاً . ودعا الملك لاتينوس إلى عقد مجلس من الزعماء ، واستوى على عرشه ، ثم طلب إلى الرجال الكلام . فتكلم فينولوس زعيم الزعماء ، قائلاً : « لقد ذهبنا إلى اربسي

إلى مدينة الملك ذيوميد . فقابلنا الرجل ، وسألنا عن سبب قدومنا . ولما أبلغناه ما قدمنا من أجله ، قال : « لم تجازفون بأقداركم يا رجال إيطاليا ؟ ألا تعلمون بأن كل من رفع يده منا ضد رجال طروادة قد لاقى العناء الأليم ؟ فإن اياس الأصغر هلك على صخور يوبيا ، وشرّد مانيلّا حتى بلغ جزيرة بروتوس القريبة من أرض مصر ، ولم ينج أوديس من السيكلوبيين إلا بشقّ الأنفس ، أما الملك أغاممنون فقد قتله زانية في عقر داره . وها نحن أولاء لم يجز لنا الأرباب العودة إلى رؤية الزوجة والوطن . أمّا الطلب الذي تتقدّمون به إليّ ، فجوابي عليه هو أنني لن أعود إلى قتال الطرواد مرة أخرى . والأفضل أن ترجعوا بهداياكم هذه ، وتقدّموها إلى اياس . لقد حاربنا معاً ، وإنني لأعلم بأيّ جبروت يقدم على الضرب بسيفه ، أو الطعن برمح . وسأخبركم بهذا : لو كان للطرواديين اثنان من أمثاله ، لبلغت الحرب أبواب أرغوس ، وللاقت بلاد الإغريق نفس صنيعها ، فإنه مع هكتور هما اللذان حملا الحرب عشر سنوات ضدّ قتالنا ، وكلاهما باسل قويّ ، ولكن هذا كان أثرهما عند الأرباب منزلة ، فسالوه إذا شتم ، واحذروا من لقياه في قتال » .

ولما انتهى من كلامه ، سرت في المجلس غممة ،

فهذا يقول شيئاً وذاك يهمس إلى آخر حتى تكلم الملك لاتينوس عن عرشه ، وقال : « إنه لبئس الظرف للمشورة ، والعدو عند أسوارنا ، ولكنّ أصغوا إلى كلماتي : لقد أتيتُ أمراً إداً بإثارتكم هذه الحرب على رجال طروادة ، وهم أعزّاء على الأرباب ، ولن ينتصر سيف على سيوفهم ، ولقد سمعتم ما قاله الملك ذيوميد ، وأنتم تعلمون إلى أي دركة وصلت بنا حظوظنا ، وحكمي اذن هو هذا : إن لي ملكاً قريباً من التبر ، ينبسط إلى الغرب ، وهو أرض فيها سهول الدرة والمراعي ، فسأقدّم هذا إلى رجال طروادة ، ومعه الغاباب الممتدة على الهضاب ، بل سأقسم ما بيني وبينهم ملكي . أمّا إذا كانوا يفضلون البحث عن أرض أخرى ، فلنبن لهم اثني عشرة سفينة ، ونزيدها إذا ما ملأوها ، وليذهبوا بسلام . والآن فلنرسل إليهم سفراءنا ، وليكونوا مائة رجل يحملون معهم من العطايا وزنات من الذهب والعاج ، ثمّ عرشاً وطيلساناً هما من شعائر الملك » .

ثم تكلم درانس (وكان درانس هذا يضمّر لطورنوس حسداً عظيماً ، فقد كان كريماً جواداً حسن البيان بليغ اللسان ، بارعاً عند المشورة والنقاش ، ولكنه كان ضعيفاً في القتال)

فقال : « إنَّ ما تطلبه منَّا أيها الملك لواضح جليّ ، لا يحتاج الى خطاب ، فإن الرجال جميعاً ليعلمون ما هو أنفع للشعب ، ولكنهم يخشون قوله . وهذا الرجل هو الذي بمنعنا عن الكلام . هذا الرجل - أجل أقول هذا ولو هددني بالموت - الذي دفع الى الهلاك من أجل كبريائه الآثمة ، بالكثيرين من بواسل الزعماء ، بينما يقوم بمظاهر تافهة لشجاعته . والآن أيها الملك ، فإنني لأودّ أن أرجوك إضافة عطية الى عطايك ، قدّم ابنتك لهذا الصهر العظيم ، وحقق بذلك سلماً دائماً . وأنت يا طورنوس ، أذعن الآن من أجل وطنك ، وإننا جميعاً لنطلب ذلك منك ، حتى أنا الذي تحسبني لك عدوّاً . أما إذا رفضت ، وجعلت الزوجة الملكية فوق مصلحة بلادك ، فلا تطلب إلينا الموت من أجلك ، بل اذهب وقابل عدوّك وجهاً لوجه . »

فأجاب طورنوس ، وقد تملك الغيظ قلبه : « إنَّ لك دائماً كلمات في الحكم يا درانس . ولكن أين جرأتك ؟ وأين الذكريات الحربية التي صنعتها يمينك ؟ ألا تقدم عنها الآن برهاناً ؟ ولكن لا ! إنَّ العدو على الأبواب ، فهل نذهب ؟ وهل تتأخّر ؟ أتقوم جرأتك جميعها إذن على لسان متبجح ، وقدم جبانة ؟ إنك لترتاب في شجاعتي

ولا شك ، أؤلم يبلغك مصرع فالاس وبيتياس وفندروس وكلّ من جندلتهم حينما حبسوني داخل أسوارهم ؟ والآن فإنني أتكلّم عنك وعن مجلسك يا أبي ، إذا كنت تعتقد أنّ انكساراً واحداً يكفي ، وأن الحظ لن يتغيّر ، فليكن ما تريد ، ولنصلّ للسلام ، وسعيد ذاك الذي مات قبل أن يرى خزيّاً أحقّ كهذا ! ولكن إذا بقيت لدينا من قوّة وأم وبلدان لا تزال تمدّنا بعونها - وإذا كان رجال طروادة هؤلاء لن ينالوا نصرهم إلا عزيزاً ، فلم تخور منّا العزائم عند العتبة ، ولم ترتجف رعباً قبل أن تنفخ الأبواق ؟ إن ذيوميد لن يكون لنا عوناً ، ولكن لدينا ميسافوس ، والعرفاف تولمينوس ، وزعماء إيطاليا جميعاً . أجل ، ولدينا كامبلا الفولسيانية مع فرقها المتشحة بالبرونز ، وإذا كانوا يرشّون في لقاءه رجلاً لرجل ، فلن أرفض طلباً كهذا ، وليكن جبّاراً كأخيل ، وليتسرّبل بالأسلحة التي صنعها فولكان . وإنني لا أرفض النزال ، فإن حياتي هي لكم والموت لكم . »

وبينما هم في نقاشهم هذا ، قدم الى القصر رسول يحمل أخباراً رائعة ، ويقول ان رجال طروادة قد غادروا معسكرهم وهم يسيرون الى الشمال صفّاً ، فنارت عند ذلك

ضجة عظيمة ، فبعضهم ينادي بطلب السلاح ، والبعض الآخر ينتحب ، وعلت الضوضاء حتى سمع لها صخب كصخب العصافير في غابة سحيقة الغور ، أو كالبط عند فم فو . وصرخ طورنوس يقول : « اعقدوا مجالسكم يا أصحابي ، وتكلموا عن الحرب وأنتم قعود ، ولكن العدو على الباب » . وأسرع خارجاً من مجلس الشيوخ .

المعركة عند المدينة

وأمر طورنوس بأن يكون من الزعماء من عليه أن يرتب المعركة صفاً ، ومنهم من يدعم البوابات ، ومنهم من يتبع خطاه . فقام الرجال يحفرون الخنادق أمام الأبواب ، ويجمعون الركام من الحجارة والأوتاد ، ووقفت النساء والأولاد فوق الأسوار . ولكن الملكة ووجيهاة الأمتهات قصدن إلى معبد فالاس ، ومعهن لافينيا العذراء ، التي أثرت من أجلها كل هذه الأشجان ، وهي تطرق بعينيها الجميلتين إلى الأرض . وتقدمن إلى الإلهة بالبخور والصلاة ، عليها تكسر لهذا النهار رحمة الفريجياني ، وتجنده صريعاً عند أسوار المدينة . وتسليح طورنوس للقتال ، ونزل

راكضاً من القلعة . ولكنه ، ويا للدهشة ! لاقى كامبلا عند الباب مع فصيلة من البذارى يمتطين الخيول . ولما ترجلن عنها ، خاطبته ملكتهن قائلة : « إنني أعدك يا طورنوس بملاقاة فرسان طروادة وتوسكانيا ، فامكث هنا راجلاً واحرس الأسوار » . فأجاب طورنوس بحزم : « أي ثناء أقدمه إليك على صنيع كهذا ؟ ولكن أصغي إليّ الآن ، إن هنالك وادياً في الطريق التي ينوي انياس قطعها نحو هذه المدينة ، وسأقيم عند فم هذا الوادي كميناً ، وعليك أنت لقاء التوسكانيين الفرسان في المعركة ومعهك ميزافوس وفرسان تيبور » . قال هذا وذهب يقيم الكمين لإنياس .

وفي الوقت ذاته خاطبت ديانا ، من حيث تقيم في أعالي السماء ، اوفيس وهي إحدى الحوريات القائرات على خدمتها قائلة : « إن كامبلا قد ذهبت للقتال ، وهي أعز عليّ من كل عذارى العالم ، وهي أثيرة لديّ منذ كانت طفلة . فإنها ابنة الملك ميتابوس ، الذي أجلى عن بلده فريفرنوم لقساوته ، وقد هرب ومعه ابنته هذه ، وكان يحملها إلى صدره ، ولما اشتد ضغط الفولسيان في مطاردته أتى نهر الأمازون ، الذي حدث أن كان يطفح

بالمطر الغزير ، الذي طغى على جانبيه . ولما أراد الملك أن يجتازه ساجحاً ، منعه الخوف على ابنته من أن يفعل ، فما كان منه إلا أن أخذ الرمح العظيم ، الذي كان بيده وأوثقها إليه بسلوخ من لحاء الشجر ، ووازنها في يده قائلاً : « إنني نذرت لك ابنتي يا ابنة لاطونة ، لكي تكون أمة لك إلى الأبد » . ورشق الرمح بكل ما فيه من قدرة فوق على الجانب الآخر من النهر ، ثم ألقي بنفسه في الماء ، ونجا من أرض أعدائه . ولم يتخذ له بعد ذلك من البيوت سكناً ، ولم يأو إلى مدينة ، بل عاش مع الرعاة فوق الهضاب ، وكان يرضع ابنته من حليب الفرس وأشباهه . وما إن قدرت على تثبيت قدمها على الأرض حتى وضع في يدها نشابة ، وأعطاه قوساً وسهاماً . ولم تزين رأسها بالذهب ، أو ترتدي الثياب الطويلة شأن النساء ، بل كان لها زي من الشعر داهما ، فكانت منذ الطفولة ترمي بالنشابة ، وتدهم المملحة من فوق رأسها ، فتصيب الكركي أو البع أو البعوض ، وإن في وسط السحاب . وقد كان يود أن يذهب إلى أهرات التوسكان لو يتخذنها لأبنائهن زوجات ، وإن كان لم يكن لبروقها ، وكنت أتمنى لو لم يأتها الماء ، وإن لم يأتها منها إحدى صويحباتي .

وبما أنني أرى الهلاك يقترب منها ، فإنني أعهد اليك بأمر
يخصّها ، انحدري الآن إلى الأرض ، إلى أرض اللاتين
حيث بدأوا الآن هذه الحرب الشؤمي ، وخذي من جعبتك
سهماً للثأر ، وكل من يقصد هذه العذراء بأذى ، سواء
أكان طروادياً أم لاتينياً سيلقى جزاءه . أما هي ، فسأحملها
عائدة بها إلى موطنها الأصلي ، وليس لرجل أن يسلبها
سلاحها » .

وكان انياس في هذه الأثناء يقترب بجيشه من
الأسوار ، فكرّ الفرسان من الجانبين بعضهم على بعض ،
وهم يُشرعون الرماح أمامهم . والتقى تيرنوس التوسكاني
باكونتوس في هذه المعركة ، فقذفه عن جواده ، فكان
لذلك هزّة كصاعقة تقذف من السماء ، أو كصخرة تهدّ
بزلزال ، فاضطربت صفوف اللاتين ، ولاذوا بالفرار
يتعقبهم رجال طروادة . ولكنهم حينما اقتربوا من الأبواب
كرّ عليهم اللاتين ، وعاد الطرواد بدورهم إلى الهرب .
وكما تهاجم الموجة الشاطئ مدّاً وجزراً ، هكذا ركنوا
إلى الفرار مرتين ، وعادوا إلى الكرّ مرتين ، ولكنهم
التحموا في المعركة مرة ثالثة ، فلم يتخلّ منهم عن مركزه
أحد ، فهلك من الرجال كثيرون ، وصرع من الجياد

عدد كبير ، وطعن أوريلوس حصان ريمولوس بين صدغيه ،
فشبّ الحيوان ، وألقى بفارسه إلى الأرض . ثم فتك
كاتيلوس التيبوريّ بيولاس ، كما فتك بهرمين الذي كان
يحارب بصدر عاطل ، وكتفين عاريتين ، وأنفذ رمحاً فيه
من جنب إلى جنب . وكانت العذراء كاميلاً أشدّهم
قسوة ، فكانت تحارب بصدر عار ، وهي ترسل السهام
عن قوسها تارة ، وتعمل بلطتها تارة أخرى ، وإزاءها
رفيقاتها العذاري ، مثل لارينا وتولا وتارفا يتبعن خطاها ،
فكنّ كالآمازونيّات ، وقد اتخذن تروساً شحذت كدورة
القمر ، واحتشدن حول ملكتهنّ ، ففتكت بأونوس
الطروادي وفاغاس وليريس الاستروكانيّين وغيرهم كثيرين ؛
إذ كانت تقتل بكل سهم رجلاً . وهجم عليها الصياد
اورنتيوس ، وخوذته رأس ذئب بأسنانه البيضاء ، وفي يده
رمح للصيد ، وكان ذا قامة تفوق الرجال ، ولكنها
صرعته ، وهزأت به قائلة : « أحسبت أيها التوسكانيّ
أنك تصطاد الحيوانات البرية اليوم ؟ لا ، بل إن سلاح
امرأة جعل تبجّحك هباء » . ثم فتكت بأورشيلوس
وبوتيس رجليّ طروادة الجبارين ، وقد قتلت بوتيس وهو
يركن إلى الهرب منها . أما اورشيلوس فتظاهرت بالهرب

منه ، ثم دارت على عقبها ، وقابلته وجهاً لوجه ،
وشطرت رأسه شطرين . أما ابن أونوس ، الذي يسكن
أبوه بين الأفونيين ، فقد أخذته الرعدة مما رأى ، وودّ
لو يقدر على الهرب منها بالخدعة والمهارة على طريقة بلاده
ليغوريا ، فقال : « أيّ مجد هذا الذي تنالينه ، إذا ما تغلبت
بسرعة جوادك ؟ فقابلني الآن راجلة ، ولنرّ من منّا
سينال نصراً » . ولما قفزت العذراء عن جوادها ، وأسلمته
إلى رفيقاتها ، لوى عنان جواده ، وأركن إلى الفرار ،
ونادته العذراء قائلة : « هل تحسبن أنك ستنجو مني أيها
الأحمق ؟ إنك لن ترى والدك الماكر أونوس بعد الآن » .
وأسرعت فسبقت جواده ، وأمسكت العنان بيديها ، ووقفت
إزاءه ، ثم فتكت به .

عند ذلك أنب نارشون التوسكاني فرسانه ، منادياً كلاً
باسمه ، وقال : « أيّ رعب هذا ؟ وأيّ حطة هذه أيها
التوسكانيون ؟ أتسوقكم امرأة أمامها ؟ إنكم لتأهبون أبداً
للرقص والاحتفال وتقديم القرابين ، ولكنكم متقاعسون
ممتلكثون في الحرب ؟ » ثم حثّ حصانه نحو فينولوس
التيوري ، وانقضّ عليه قابضاً على ذراعيه ، وحمله بعيداً
كما يحمل البازي أفعى ، بعد أن يقبض عليها ، وتلتفّ

على الطائر متلوّية ، تكافح وتفتح ، ونظر تارشون يبحث
عن مكان يقتله فيه . وجاهد فينولوس بقوة لكي يبعد
السيف عن عنقه ، واشتدّت حماسة رجال طروادة والتوسكان
حينما رأوا زعيمهم يحارب بهذه البسالة .

وكان ارونس يراقب العذراء كاميلاً ، عله يأخذها
على غيرة . وقد كان هنالك رجل يدعى كلوروز ، وهو
كاهن سيّلة ، وكان يحول في المعركة جولات رائعة ،
وكان جواده مسربلاً بزرد من البرونز شبك بالذهب ،
كما تسربل هو بالأرجوان المجلوب من وراء البحار . وكانت
قوسه ليقية وسهامه كريتية ؛ أما القوس فكانت من الإبريز ،
ومن الإبريز كانت خوذته ، وشبك وشاحه الزعفرانيّ
بالذهب ، وقد وُشيّ رداؤه بالتطريز بالإبرة ، كما صنعت
سراويله من مختلف الألوان . فقامت العذراء بملاحقته دون
سواه ، وعميت عما دونه ، يحدوها إلى ذلك حبّ المرأة
لجميل الأسلاب . وكان ارونس يرقبها من الكمين الذي
انبطح فيه ، ولما حان الوقت ، قال : « افلون ، ياسيد
جبل سوراكتة كن لي الآن عوناً ، وإذا ما قت مع شعبي
قبل الآن بالمرور على النار المشتعلة ، تمجيداً لك وتكريماً ،
فخذ يدي الآن ، وأنا لا أطلب سلباً ولا مجداً ، بل دعني

أرجع إلى بلادي دون أي إكرام ، ولكن دعني أفئك بهذه الفتاكة . فسمع الإله بعض دعائه ، واستجاب له ، وذرت بعضه الآخر الرياح ، فقد قتل كاميلا حقاً ، ولكنه لم يرجع إلى وطنه . وحينما رنت القوس اتجهت أنظار الفولسيانيين جميعاً نحو الملكة ، ولكنها لم تنتبه للسهم ، حتى ولا حينما استقرت تحت صدرها ، فركضت رفيقاتها جميعاً ، وأمسكنها وهي تنهاوى ، وقد شاءت أن تنتزع السهم من مكانه ، ولكنه أوغل عميقاً في جنبها . ثم دارت عيناهما باردتين دوران الموت ، وبهت لون خديهما ، الذي كان يشبه لون الورد ، وقد كلمت أكأ أعز صديقاتها لديها ، وهي تلفظ أنفاسها قائلة : « اكأ ، يا أختاه إن قواي تخونني ، فاطلبي إلى طورنوس أن يخوض المعركة ، ويصد الطرواديين عن المدينة » . ثم أرخت العنان من يديهما ، وسقطت على الأرض واستعرت نار المعركة وهي ملقاة .

ولكن لما رأتها الحورية أوفيس صريعة ، أنت ، وصرخت قائلة : « لقيت جزاء عمالك أيتها العذراء ، فقد خاصمت رجال طروادة ، ولم ينفعك كونك لديانا أمة . ولكنها لن تدعك تموتين دون تكريم ، وقد قضي على من

مستك بالأذى بالموت المحقق ، كائناً من يكون » . ثم طارت صاعدة الجبل الذي كان قبراً للورنس ملك البلاد ، ولما رأت ارونس ، وهو يتبجح بعمله - فقد هرب أولاً يتملكه الخوف ، ولكنه عاد فاسترد قواه - قالت : « تعال هنا لكي تلقى هلاكك جزاء فتكك بالعذراء كاميلا » . وشدت القوس حتى تلاقى طرفاها فكانت يدها اليسرى على رأس السهم ، ويدها اليمنى على الوتر ، ولم يكس ارونس يسمع رنين القوس ، حتى ضربه السهم فمات للحال .

ولما ماتت كاميلا ، هربت صاحباتها ، وهرب الروتوليان ، وتبعثر الزعماء ، وتكرت الفرق مهجورة . وعج هنالك عجيح غبار يقرب من المدينة ، وسمع صياح مخيف يتصاعد إلى السماء ، فتقاطر الناس نحو الأبواب ، ووطئ القادمون أولاً تحت ضغط الجماعات التي وراءهم ، فماتوا وهم على مرمى النظر من منازلهم . أما أولئك الذين كانوا داخلاً ، فقد أغلقوا الأبواب ، وهم يحولون بأسلحتهم دون من كان بإمكانهم الدخول . وثار مذبحة وسادت فوضى لا نهاية لها ، حتى أن النساء كن يرمين بالنشابات من على الأسوار ، ويلقين بالأوتاد الخشبية المشتعلة بالنار ، وكانهن يرسلن رماحاً .

وجاءت طورنوس أنباء السوء ، وهو في كمينه في الغاب ، تنبيء بموت كامبلا ، وبأن الغلبة للعدو ، فنهض من مكانه قاصداً السهل ، ولم يكذب يفعل ، حتى اتخذ انياس سبيله في الغاب متخطياً الحافة ، وأسرع كلاهما نحو الأسوار ، ورأى انياس طورنوس فعرفه ، كما رأى هذا انياس ، ولكن الظلام منعها من القتال ذلك النهار .

٢٥

العهد المنقوض

وثارت ثائرة الأمير طورنوس حينما رأى اللاتين وقد فرّوا من المعركة ، ورأى الناس يتطلعون اليه ويطلبون البر بوعده لهم ، بأن يلقي انياس وجهاً لوجه . فكان كالأسد الذي جرحه الصياد ، فكسر السهم الذي طعن به ، ونهض إلى القتال ، وهو ينفذ لبدته ، ويرسل الزئير . هكذا نهض طورنوس ، فكلم الملك لاتينوس أولاً ، وقال : « ليس من أجلي يا أبت ، يرجع هؤلاء الطرواديون الجبناء عما تعاهدوا عليه ، وسألقى هذا الرجل وجهاً لوجه ، وسأصرعه وهو ينظر إليّ . أما إذا كانت إرادة الأرباب بأن تكون له الغلبة عليّ ، فليمتد حكمه عليك ، وليتخذ من لافينيا زوجة » .

ولكن الملك لاتينوس أجابه : « فكر قليلاً يا ولدي ،
فإن لك مملكة أبيك دانوس ، وهنالك غير لافينيا من العذارى
الشريفات في لانيوم لكي تتخذ إحداهن زوجاً ، ألا
يرضيك هذا ؟ فقد حرّم عليّ إعطاء ابنتي لزوج من هذه
الامة كما تعلم . ولما عصيت الأمر ، مدفوعاً بحبي لك ،
وقد توسلت إليّ زوجتي بالعبرات ، فقد رأيت أيّ عذاب
عانيت وعانى شعبي ، بل وعانيت أنت قبل الجميع منذ
ذلك الحين . لقد هربنا مرتين من المعركة ، ولم يبق لنا
الآن إلا المدينة ، وإذا كان لا بدّ لي من الإذعان لهؤلاء
القوم ، فلاذعن لهم ، وأنت ما زلت حياً ، وماذا
سيفيدني موتك ؟ لا بل إن الناس سيصبحون عليّ بالحزني ،
إذا ما أسلمتكم إلى الموت » .

ولزم طورنوس الصمت مدة غضباً ، ثم قال :
« لا يزعجنتك شأني يا أبي ، فإنني لقادر أيضاً على الطعن
بالرمح . أما انياس هذا ، فإن أمه لن تكون على مقربة
منه لتختطفه من أمامي في الغمام » .

ثم نادته أماتا قائلة : « إنني أتضرع اليك أن لا تقاتل
هؤلاء الطرواديين يا بني ، فإن ما يؤلمك سيؤلمني حقاً .
ولن أعيش لأرى انياس لي صهراً » .

وسمعت لافينيا صوت أمها ، فأخذت في البكاء . أرأيت
الى العاج يصبغه الناس بالقرمز ، أو رأيت إلى الورد يمتزج
بالزنابق ؟ هكذا ألهب وجه العذراء ، وهي تنتحب . ورآها
طورنوس فأولع بها حباً ، وأجاب : « لا تُقلقيني بالعبرات
يا أماء ، ولا بكلام لا طائل تحته ، فإنني يجب أن أذهب
إلى هذه المعركة . واذهب أيها الدّاعي ائذمون إلى ملك
الفريجيان ، وقل له عندما تبرزغ شمس الصباح غداً ، دع
الناس ينعمون بالسلام ، أما نحن الاثنين ، فنتنازل وليتخذ
الغالب منا لافينيا زوجة له » .

ثم ذهب إلى اصطبلات خيوله ، وقد أهدتها الريح
الشمالية إلى فيلوموس ، وكانت أبيض من الثلج ، وأسرع
من الريح ، وألقى على كتفيه المعطف المصنوع من الزّرد ،
واعتمر خوذة ، وحمل السيف العظيم ، الذي صنعه فولكان
لدونوس أبيه ، وغمسه هذا في نهر ستيكس ، وقد ابيضّ
لشدّة حراره . وأخذ الرمح الذي كان مسنوداً إلى أحد
الأمراء . وقال : « ساعدني يا رمحي ، فإنك لم تخسني
قبل ذلك قط » ، ساعدني حتى أصرع أرضاً هذا المخنث ،
هذا اللعين الشرّيع ، وأعفّر بالتراب شعره المجمع المضمخ
بالطّين » .

وفي اليوم التالي قام رجال من طروادة ، ورجال من إيطاليا بتعيين مكان النزال ، وأقاموا في وسطه مذبحاً من العشب ، وجلس الجيشان على الجانبين ، وقد غرسوا رماحهم في الأرض ، ووضعوا تروسهم ، وجلست النساء والعُجُز من الرجال على الأبراج وسطوح منازل المدينة ، ليشاهدوا القتال .

ولكنّ الملكة جينو خاطبت جوتورنا أخت طورنوس قائلة : « أنرين هذين وكيف يقتلان الآن وجهاً لوجه ؟ إن طورنوس لذهاب إلى حتفه ، ولا ريب ، أما أنا فلأنني لا أحتمل النظر إلى هذا الميثاق أو هذا القتال . وإذا كنت تقدرين على عمل أيّ شيء من أجل أخيك ، فإنّ الوقت قد حان » . ولما بكت الحوريّة ، وقرعت صدرها ، قالت جينو : « ليس هذا وقت العبرات ، أنقِذي أخاك من الموت إذا قدرت ، أو فاعلمي على نقض هذا العهد » .

وأتى بعد ذلك الملكان ، لكي يبرما العهد بينهما ، فامتطى الملك لاتينوس مركبته تجرّها أربعة جياد ، وعلى رأسه تاج باثني عشر شعاعاً من الذهب ، لأنه كان من نسل الشمس . وأتى طورنوس بمركبة يجرّها جوادان أبيضان ، وهو يحمل بكلّ يد نشابة . أما أنياس فقد

ارتدى الأسلحة التي صنعها فولكان ، وكان معه يولوس . وبعد تقديم القرابين ، أقسم أنياس داعياً الأرباب جميعاً ، وقال : « إذا حالف النصر طورنوس اليوم ، فإن رجال طروادة سيعودون إلى مدينة إفاندر ، فلا يقلقون هذه الأرض من بعد . أما إذا كان النصر حليفي فلأنني لن أطلب بأن يقوم اللاتين على خدمة رجال طروادة ، بل ليكن الشعبان متساويين أحدهما بالآخر ، وسنقوم معاً بعبادة الأرباب الذين أحضرتهم معي ، ولكنّ الملك لاتينوس سيارس الملك كالسابق ، وسيبني لي الطرواديون مدينة جديدة ستدعوها لافينيا باسمها » .

وأقسم الملك لاتينوس داعياً الأرباب المقيمين منهم في السماوات العلى ، أو في الطبقات السفلى قائلاً : « إن هذا العهد يجب ان يدوم إلى الأبد ، مهما حدث . وكما أنه أمر محقق لا شك فيه بأن هذا الصولجان الذي أحمل - وقد كان قبلاً شجرة أحاطها صانع ماهر ، وألبسها البرونز لكي تكون للوك لاتيوم فخراً - لن ينبت أبداً غصناً أو ورقاً ، هكذا سيحفظ هذا الميثاق حقيقة لا شك فيها » .

ولكن الأمر لم يرق للاتين ، فقد كانوا حقاً يظنون بأن المعركة لن تتساوى بين الاثنين ، ولكنهم الآن أكثر

يقيناً ، بعد ان رأوها قادمين معاً ، ورأوا طورنوس مطرقاً بعينه إلى الأرض ، وقد اصفر وجهه وامتعق لونه . فسادت بين الشعب غممة ، ما ان أحست بها جوتورنا حتى اتخذت شكل كاميرس الذي كان بينهم أميراً ومحارباً عظيماً ، ومرت بين الجيش تقول : « ألا ينجلكم يا رجال إيطاليا قيام رجل واحد بالقتال من أجلكم جميعاً ؟ ألا قوموا بعد هؤلاء الرجال ، فإنكم لا تكادون تجدون منهم واحداً مقابل اثنين ، وإذا ما غلب طورنوس فأني خزي ستلقون ! إنه سيموت حقاً ، ولكن مجده سيطاول السموات العلى ، أما أنتم فستعانون ذلّ خدمة هؤلاء الغرباء إلى الأبد » .

ولما رأت أنها قد حركت حفيظة الشعب ، أرسلت إشارة من السماء ، فهناك ، نسر يسوق أمامه سرباً من طيور البحر ، وقد انقضّ هاوياً إلى الماء ، وقبض على بطة كبيرة ، وبينما كان الإيطاليون ينظرون ، رجعت الطيور الهاربة ، وصارت تلاحق النسر . وساقته أمامها حتى أفلت البطة ، وولى هارباً ، وصاح الإيطاليون حيناً رأوا هذا المنظر ، وتأهبوا للقتال . وجهر العراف تولومينوس صوته قائلاً : « هذا هو الرمز الذي كنت أنتظر ظهوره .

إن هذا السر ما هو إلا الغريب ، وأنتم الطيور التي هربت قبلاً ، وستضطره إلى الهرب الآن » .

ثم ركض إلى الأمام ، ورمى رمحه فأصاب رجلاً من أرقاديا في حقوه تحت نطاقه ، وكان أحد إخوة تسعة ، من أمّ توسكانية وأب اغريقي ، فلما رأوه صريعاً ، قبضوا على سيوفهم ورماحهم ، وتقدموا هاجمين ، ثم بدأت المعركة في الحال .

وبدأوا بدكّ المذبح ، لكي يأخذوا منه جذوات، وهرب الملك لاتينوس من المكان ، ثم ساق ميزانوس جياده ضد الملك اوليستس المنتوي ، الذي كان يود الهرب ، فتعثر الآن فوق المذبح ، ووقع على الأرض طريحاً . وطعنه ميزافوس برمحه الذي كان يشبه ركيزة الحائك ، قائلاً : « إن هذا لضحية أليق ولا ريب » . وكان أوبيسوس على وشك طعن كوريوس الأرقادي ، ولكن هذا اختطف من المذبح جذوة ، وأشعل النار في لحية الرجل ، ثم أمسك بشعره قبل أن يعود إلى نفسه ، وضرب به الأرض فألقاه صريعاً . ولما لاحق فولاديريوس الراعي ألسوس ، وأشرع سيفه متأهباً للطعنة ، دار هذا عليه ببلطة ، وشرط رأسه من الجبين إلى الذقن . وكان انياس الصالح في كل

هذه الأثناء ينادي على القوم ، وهو عاري الرأس لا يحمل
رمحاً ولا سيفاً ، ويدعوهم قائلاً : « ماذا تقصدون ؟
وأني حمت هذا ؟ إن العهد قد أوثق ، ولي فقط الحق في
القتال » . وطعنه وهو يتكلم سهم فجرحه ، ولكن ليس
من رجل يعلم مَن أرسله عليه ، ومَن هو الذي سيتبجح
حقاً بأنه قد جرح انياس ! ؟ ثم بارح المعركة .

٢٦

موت طورنوس

ولما رأى طورنوس أن انياس قد بارح المعركة ، طلب
مركبته ، فما إن امتطأها حتى ساقها يخرق فيها جيش
العدو يفتك منه بالأبطال البواسل ، مثل سينلوس وفولوس
وابني امبرازوس اللقيي ثم غلوكوس ولاديس . ثم شاهد
اوميليس بن ذولون (وذولون هذا هو الذي أراد
التجسس على معسكر الإغريق ، وقد وعد بجياد أخيل
جزاء له ولكن ذبوميد قتله) ورماه بنبله من بعيد .
ولما وقع أرضاً ، أقبل عليه ووضع رجله فوقه ، وطعنه بالسيف
في عنقه ، وهو يقول : « الآن ستكون لك الأرض التي
تقصدها ، فارقد هنا ، واذرع إيطاليا لنفسك » . ثم فتك

بالكثيرين ، وكان الجيش يفرّ من أمامه ، ولكن رجلاً يدعى فيغوس وقف في وجهه ، وكاد يصدّ مركبته ، وقد أمسك بلبجام الجياد بيديه . وبينما كان يتعلّق بالمركبة ، وهو يجرّ على الأرض ، ضربه طورنوس برمح ، فشقّ درعه وجرحه . فاتخذ من مجنّته ستاراً ، وتقدّم نحو طورنوس بسيفه ، ولكنّ العجلات أتت عليه وألقته أرضاً ، فضربه طورنوس فيما بين الخوذة ولوحة الصدر ، وفصل رأسه عن الجسد .

وكان انياس في هذا الحين يتّجه نحو المخيم يقوده منيوس وأخوات ويولوس وهو يتكىء على رمحه ، وقد نال منه الحلق ، وأخذ يجاهد في نزع السهم من جرحه . ولما عسر عليه الأمر ، طلب اليهم فتح الجرح بالموسى وإرجاعه إلى المعركة . وقد قام الطبيب يافيس على علاجه ، وكان يافيس هذا أعزّ بني البشر على الإله أفولون ، ولما أراد الإله منحه الفنون جميعها ، ومعها العرافة والموسيقى والتبالة ، اختار من بينها معرفة فضائل الأعشاب ، وفنّ الشفاء ، لكي يكون قادراً على إطالة حياة أبيه الذي كان على أهبة الموت .

وقد جاء يافيس وهو يشمّر عن أثوابه ، شأن الطبيب

الشافي ، وحاول نزع السهم بالملاقط فلم يفلح . وكانت المعركة تقترب ، وهو في محاولته هذه . وقد عجّت سحب الغبار حتى غطّت السماء ، وتكاثفت النبال متساقطة على المخيم . ولما رأت فينوس ما يحيق بابنها من أسى شديد ، ذهبت إلى جبل إيدا ، وهو جبل في كريت ، وأحضرت منه العشبة ويتاني ، وهي عشبة ذات ساق وبرّيّ وأزهار أرجوانية ، وقد عرفتھا الماعز البرية ، حينما كانت تصاب بالسهم وتجرح . هذه العشبة أحضرتها فينوس ، ثم أخفت وجهها ، وغمستها بالماء ، ورشتها هناك مع العنبر والدواء الطيب الشدا .

ولم يفتن يافيس لما حدث ، فاستعمل له الماء الشافي ويا للعجب ! ها قد توقّف الألم ، وجفّت الدماء ، ولُفّظ السهم خارجاً دون أن يسحبه رجل ، وعادت إلى انياس قواه السابقة ، فقال يافيس : « لم يشفك فنّي يا بنيّ » ، بل ان الأرباب يدعونك لمهمتك . ثم عاد لإنياس إلى تسلّحه ، وبعد ان قبّل يولوس مودّعاً ، ذهب إلى المعركة ، وصحبه الزعماء جميعاً ، فتشدّدت عزائم رجال طروادة وأرجعوا اللاتين . ثم وقعت مذبحة عظيمة ، فتك فيها غياس بيوفنس ، زعيم الاكيانيين ، وقتل فيها

تولينوس العراف العظيم ، الذي كان أول من نقض العهد بقتله رجلاً برمح . أمّا انياس فقد استكبر عن أن يحرك نحو رجل يداً ، ولم يكن يقصد غير طورنوس ينزله . وما أن رأت الحورية جوتورنا ذلك ، حتى أخذها الخوف على أخيها ، فاقتربت من مركبته ، ورمت عنها سائقها متيسكوس وهو يمسك الأعنة ، وجلست في مكانه ، وقد اتخذت هيئته شكلاً وصوتاً ، وصارت تسوق المركبة هنا وهناك ، كأنها سنونوة تطير في أبهاء رجل ثري ، وبين قناطر بيته ، تبحث لأطفالها عن طعام . وكان انياس ما ينفك يتبعه منادياً إياه ، طالباً إليه الوقوف ، ولكنه كان كلما كاد أن يدركه ركضاً ، حوّلت جوتورنا الجياد ، وهربت بها . وألقى عليه ميسافوس رمحاً وهو يراقب طورنوس ، ورآه انياس مقبلاً فجثا على ركبتيه ، واحتفى منه وراء مجنّه ، فضربه الرمح بقمة خوذته ، وأطار عنها شعارها ، وأشعل بذلك حنقه ، فهجم على جيش العدو يقتل منه كما يشاء .

ثم كانت مجزرة عظيمة من هؤلاء وهؤلاء ، وأوحت فينوس إلى انياس بعد فترة من الزمن بأن يحوّل جيشه نحو المدينة ، فدعا زعماءه ، ووقف على راية في وسطهم ، وقال : « أصغوا الآن إلى كلماتي ، ولا تتلكأوا في اتباعها .

لا ريب في أن جوبيتر معنا ، وقصدي اليوم أن أدك مدينة اللاتين هذه إلى الأرض ، إذا ظلوا على رفض الطاعة ، ولم أبقى منتظراً لطورنوس حتى يرضى عن نزالي في المعركة » .

عندها انتظمت الصفوف متجهة نحو أسوار المدينة ، وكان بعضهم يحمل جذوات النيران ، وبعضهم سلام التسلق ، وذبح بعضهم حراس الأبواب ، وألقوا النبال على الواقفين فوق السور . وثار في المدينة نزاع عظيم ، فمنهم من يريد فتح الأبواب ليدخل منها رجال طروادة ، ومنهم من أسرع للدفاع عن الأسوار ، فتراكضوا هنا وهناك بجلبة وضوضاء ، فكانوا كالنحل في الخلية في قلب صخرة ، قد ملأها الراعي دخاناً بعد أن اغلق عليها المنافذ .

وقد وقع للاتين ما زاد حظهم سوءاً ، فإن الملكة أماتا شاهدت من سطح قصرها اقتراب العدو من الأسوار ، ولما لم تر لجيش اللاتين أثراً ، فقد حسبت أن طورنوس قد صرع في المعركة . فولدت تقول بأنها هي السبب في كل هذه الضحايا ، وعمدت إلى ردائها الأرجواني ، الذي كانت تلبسه ، فشقت منه جبلاً علقته على ركيزة على السطح وشنقت نفسها به .

وعمّ العويل عند ذلك أنحاء المدينة ، وصارت النساء
يندبن ويقطعن شعورهن . أما الملك لاتينوس فقد شق
ثوبه ، وهال التراب على رأسه .

وبلغ الصباح المتصاعد من المدينة أسماع طورنوس ،
حيث كان يقاتل في أقصى السهل ، فأمسك بالأعنة ،
وقال : « ماذا تعني أصوات الضجة والنحيب هذه التي
أسمع ؟ » . وأجاب متيسكوس الزائف الذي لم يكن سوى
أخته قائلاً : « دعنا نحارب هنا يا طورنوس حيث منحتنا
الأرباب ظفراً ، وهناك عدد كاف لحماية المدينة » .

فأجاب طورنوس : « كلا يا أختاه ، وقد عرفت من
أنت منذ البداية ، إن هذا لن يكون ، ولم هبطت من
السماء ؟ ألكي تشهدي مصرع أخيك ؟ والآن ماذا يجب
أن أفعل ؟ ألم أشهد مقتل مورانوس ويوفنس الايكيناني ؟
وهل أسمع بنحرا ب هذه المدينة ؟ وهل يجب أن تشهد هذه
الأرض فرار طورنوس أمام اعدائه ؟ فخذوني برأفتكم
يا أرباب الموتى إنني أعلم بأن أرباب السماء تكرهني ،
وسأتيكم روحاً صالحة تليق بآبائي » .

وقدم إليه وهو يتكلم ساسيس يمتطي حصاناً ، غطاه

الزبد ، وقد جرحه سهم في وجهه فصرخ قائلاً : « إن
آخر آمالنا لمنوطة بك يا طورنوس ، فقد كاد إنياس يدك
المدينة ، وجذوات النار ترسل الآن على السطوح ، والملك
لاتينوس في محنة عظيمة من الشك المريب ، وقد قضت
الملكة على حياتها ، وليس إلا ميسافوس وأتيناس الآن
يقبضان على المعركة ، والقتال يستعر أوارده حولها ، بينما
تسوق أنت مركبتك في هذه السهول الفارغة »

فبقي طورنوس هنيهة لا يبدى ولا يُعيد ، وقد
امتلاّت نفسه بالحزي والأسى والجنون ، فتطلع إلى المدينة ،
ويا لهول ما رأى ! إن النار تتصاعد ، فتبلغ البرج الذي
بناه بنفسه فوق الأسوار ، ليكون للمدينة حرزاً يصد عنها
غارة الأعداء . ولما رآه صاح : « كفى يا أختاه ! إنني
ذاهب إلى حيث يدعوني الأرباب ، وسألقى إنياس وجهاً
لوجه ، وأحتمل هلاكي » .

وقفز من مركبته ، وهو يتلفظ بهذه الكلمات ، وركض
يقطع السهل ، حتى اقترب من المدينة ، حيث كانت
الدماء على أغزرها تروي الأرض ، والسهام على أكثفها
تشق الفضاء ، وأوماً بيده إلى الإيطاليين قائلاً : « أوقفوا
سهامكم الآن ، فقد أتيت أخوض المعركة عنكم جميعاً » .

ولما سمعوه أخلوا في الوسط مكاناً . وبلغ انياس اسم طورنوس ، فكف عن مهاجمة المدينة ، وأتى للقائسه ، فكان عظيمًا يشبه ارتوس أو اريكس ، أو كأنه الأب افينيوس رافعاً رأسه الأبيض إلى السماء . وراع منظرهما الطرواد واللاتين والملك لاتينوس ، لما بدا على كليهما من قوة جبارة .

فبدأ برمي رجليهما أحدهما على الآخر ، ثم ركضا معاً ، واصطدم ترسهما فصلاً صليلاً بلغ عنان السماء ، وأمسك جوبيتر الميزان في الأعالي وهو يزن هلاكهما ، ثم راح طورنوس يضرب بسيفه ضربة صرخ لرؤيتها رجال طروادة واللاتين جميعاً ، ولكن السيف الحائن كُسر وهو ينقض . ولما رأى المقبض الفارغ في يده ، ركنَ إلى الفرار ، ويقال إن طورنوس ، وهو يسرع إلى امتطاء مركبته ذلك النهار ، أخذته السرعة ، وأخذ سيف متيسكوس مكان سيف أبيه دون انتباه ، وقد خدمه حقاً حينما كان يطارد أمامه رجال طروادة ، ولكنه كسر كما يكسر الجليد حينما لامس الترس الذي صنعه الإله فولكان . وهكذا هرب طورنوس يلحق به انياس . مع ان جرحه كان يعيقه في جريسه ، وكما يلاحق كلب صيد ايتلاً حُصر في رقعة

ضيقة ، فصار يهرب هنا وهناك والكلب الامبرياني القوي يجدّ في ملاحقته ، حتى أوشك على الإمساك به ، وهو يصرف بأسنانه ولكنّه لم يعضه - هكذا لاحق انياس طورنوس ، وهو يجدّ وراءه ، وصرخ طورنوس طالباً أن يُقدّم له سيف ، وتوعد انياس بحرق المدينة ، إذا ما قام أحد بمعونته ، وطافا بالمكان خمس مرات ، ولم يكونا يكدحان لنيل جائزة ، بل في سبيل حياة طورنوس . وكان في السهل جذع شجرة زيتون برية قديمة ، وكانت الشجرة مقدسة عند فونوس ولكن قطعها الطرواد ، ولم يبق منها إلا الجذع ، واليهما ركز انياس رمحه ، لكي يحوله لطنع طورنوس ، حينما رأى ان ليس بإمكانه اللحاق به ركضاً . وما إن رأى طورنوس ذلك ، حتى دعا فونوس قائلاً : « إيه فونوس إذا ما كنت قد حافظت لك على قداسة ما استباحه رجال طروادة فأمسك هذا الرمح عني . » فاستجاب له الإله ، ولم يقدر انياس على إرسال رمحه . وبينما كان ينهمك في عمله ركضت جوتورنا متخذة أيضاً شكل متيسكوس ، وسلمت طورنوس سيفه ، ولما شاهدت فينوس ذلك ، استلت الرمح من جذع الشجرة ، ووقف الاثنان وجهاً لوجه .

وخطب جوبيتر جينو ، حيث جلست في سحابة ترقب

المعركة ، وقال : « حتى مَ تحاربين الأقدار ؟ وأيَّ مقصد تحملين الآن في قلبك ؟ هل كان من الخير أن تسلم جوتورنا لطورنوس سيفه - وهي لا تقدر على عمل ما من غير مؤازرتك - لقد طوّحت برجال طروادة فوق البرّ والبحر ، وأشعلت نار حرب مروّعة ، ومزجت أغاني العرس بأصوات الحداد ، فلن تذهبي إلى أبعد من هذا » .

وأجابت جينو نخضوع : « إنها إرادتك أيها الأب العظيم ، ولولاها لما مكثت هنا بل لنزلت المعركة أعمس القتل في رجال طروادة . أجل لقد كلّمت جوتورنا لمساعدة أخيها ، ولكنني لا أعلم عن أي شيء سوى ذلك ، وأنا اذعن الآن ، ولكن هبني هذه المنحة ، لا تُجز بأنّ يُسمّى اللاتين باسم طروادة . ولا أن يغيّروا كلامهم أو كساءهم ، ولتبسط روما سلطانها على العالم ، ولتُبَدَّ طروادة إلى الأبد » .

وتكلّم صانع الأشياء كلها باسماء ، وقال : « إنك لابنة ساتورن حقاً وصدقاً ، وما أعنف هذا الحقد في نفسك ! والآن فلاني مانحك ما تطلبين ، إن الإيطاليين لن يغيّروا اسمهم ، ولا كلامهم ، ولا كساءهم ، وسيندمج فيهم رجال طروادة ، وسأعطيهم عبادة جديدة ، وأدعوهم

جميعاً لاتينيين ، ولن تقدّم لك أمة من الإكرام ما سيقدمون »

وأرسل جوبيتر إحدى ملكات الرّعب من أعماق الجحيم ، فأتخذت شكل طائر ، لم يكن إلا البومة ، التي تسكن البيوت المهجورة ليلاً ، وطارت أمام وجه طورنوس ، وصفتقت جناحيها على مجنّته ، فأخذت طورنوس رعدة شديدة ، حتى قفّ شعر رأسه ، وعلق لسانه في حلقه . ولما عرفت جوتورنا بصوت الطائر الزّائف ومن هو صاحبه ، صرخت رعباً ، وتركت أخاها هاربة ، تخفي نفسها في نهر التّيبير .

ولكنّ انياس قدم يهزّ رمحاً ، وكأنه شجرة ، وقال : « لمَ تتلكأ يا طورنوس ؟ ولمَ تراجع ؟ إذا قدرت على الهرب الآن فاصعد في الهواء ، أو فاخطف في باطن الأرض » . وأجاب طورنوس : « إنني لا أخشى وعيدك ، بل إنّ خشيتي من الأرباب ، ومن جوبيتر ، الذين يعاكسونني في هذا اليوم » .

ورأى وهو يتكلم حجراً عظيماً قريباً منه ، وهو علامة لحدود أرض ، ولا يكاد اثنا عشر رجلاً مختارين مسن رجال هذه الأيام أن ينهضوه على أكتافهم ، فحمله عن

الأرض ورمى به عدوه ، وهو يركض إلى الأمام مع
الرمية . ولم يعلم لاضطراب نفسه ما إذا كان يركض أو
يرمي ، فقد اصطكت رجلاه من تحته ، وبرد دمه رعباً .
ووقع الحجر قريباً غير بالغ هدفه . وحدث لطورنوس
ما يحدث للنائم وهو يحلم ، وقد ران على عينيه نعاس ثقيل
كثيب ، فإذا أراد الركض خذله رجلاه ، وإذا أراد
الكلام امتنع عليه الصوت ، فقد نظر إلى اللاتين ، وإلى
المدينة ، ورأى الرمح الرهيب يقترب ، فلا هو يجد سبيل
الهرب ، ولا هو يعلم طريق القتال ، وليس بقادر ان
يستبين مركبته وأخته . وكان انياس في هذا الحين ،
لا يزال يهزّ رمحاً ليتأكد من صحة الهدف ، ورماه أخيراً
بكل ما لديه من قوة ، فذهب كالزوبعة نافذاً من طبقات
الترس السبع ، حتى اخترق الفخذ ، فانشنت ركبتا طورنوس
من تحته ، ووقع على الأرض ، ورنّ صوت رجال
طروادة عالياً لرؤيته ، وتوسّل هو الى انياس يقول :
« لقد نالتُ القضاء الذي أستحقه ، فخذ ما ربحته ، ولكن
لعلّ الرأفة تأخذك بأبي الشيخ العجوز ذونوس ، فقد كان
أبوك أنخيس مثله ، فتسلّمني إلى قومي ، وأنت است
معطيهم إلا جثتي ، ولقد انتصرت عليّ ، ورآني اللاتين
أستعطيك حياتي ، فأرجوك الآن اذن ان تحبّ من حنّك » .

ووقف انياس هنيهة ، وهو في شك من الأمر ، وقد
كاد أن يعفو عن الرجل لما رأى ويا للداهية ! لقد لمح
على كتفيه نطاق فالاس ، الذي فتك به ، فاشتعل غيظه
شديداً ، وصاح بصوت مخيف : « أتنجو مني الآن أنت
يا من ترتدي أسلاب رفاقي ؟ إن فالاس يفتك بك الآن
بهذا الجرح ، ويثأر من دمك اللعين » . ثم صوّب السنان
إلى صدره ، ومضت الروح الحاقدة بزفرة واحدة إلى
الظلمات .

فهرست

١٢٧	١٣ . سبيل
١٣٤	١٤ . مساكن الموتى
١٥٠	١٥ . الملك لاتينوس
١٥٩	١٦ . حنق جينو
١٦٧	١٧ . اجتماع الزعماء
١٧٣	١٨ . الملك إفاندر
١٨١	١٩ . أسلحة انياس
١٨٩	٢٠ . نيزوس وأوريا لوس
٢٠٠	٢١ . المعركة في المخيم
٢٠٨	٢٢ . المعركة عند الشاطئ
٢٢٢	٢٣ . المجلس
٢٣١	٢٤ . المعركة عند المدينة
٢٤١	٢٥ . العهد المنقوض
٢٤٩	٢٦ . موت طورنوس

٥	مقدمة
١١	١ . الحصان الحشي
٢٠	٢ . نهب طروادة
٢٩	٣ . انياس وأنخيس
٣٨	٤ . فوليدوروس - دلوس - كريت - الهاريون
٤٧	٥ . الملك هيلانس - السيكلوبيون
٥٩	٦ . تحطم السفينة
٦٥	٧ . قرطجنة
٧٥	٨ . ديدو
٨٥	٩ . حب ديدو وموتها
١٠١	١٠ . مباريات مآتم أنخيس
١١٢	١١ . مباريات مآتم أنخيس (بقية)
١١٩	١٢ . إحراق السفن - السفر إلى إيطاليا

هكذا الكتاب

الانيادة ملحمة شعرية لاتينية تدوّن احداثاً تعتبر ، كما تعتبر الاوديسة ، تنمة لأحداث الالياذة . ومع أن مؤلف الملحمتين السابقتين هو هوميروس اليوناني ، ومؤلف الانياذة هو فرجيل الروماني فأنها تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً إذ انها تتابع قصة الامير الطروادي انياس الذي نجا بعد سقوط مدينته طروادة واستقر في غربي ايطاليا .

والانيادة ثالث اشعار فرجيل ، كما انها اطولها وآخرها . وهي تروي قصصاً اسطورية تصور الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمان طويل . وقد نظمت بطريقة الشعر البطولي الذي عرف في القرون القديمة .

وكانت الانياذة لسنين طويلة الكتاب الرئيسي لعالم الغرب ، وكان يعاد طبعها مرة كل عام على الاقل . فكانت بذلك اكثر الكتب تداولاً في اوروبا وأشهرها منذ ايام الرومان .

التمن : ٨٠٠ ق . ل . أو ما يعادلها